

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٥

١١ ذو القعدة سنة ١٣٧٤

جريد

- ٢ -

شعره

أظهر مزية في شعر جرير مزية الطبع ، يسهل عليك الشعور بها كما يسهل عليك الشعور بجمال الصور الجميلة أو الأصوات الحسنة . وقد يكون جرير أوضح مثال للشاعر المطبوع ، يرسل الشعر على معيته ممحاً سهلاً كما يرسل الحمام سحبه لا يتكلف ولا يتصنع . وهذا النوع من الشعر يصدر عن القلب فيرد على كل قلب ، ويترجم عن النفس فتأنس به كل نفس ، يسهل على قائله روايته ومنشده وسامعه . والشاعر المطبوع إذا تناول بعيداً أبرزه قريباً واضحياً ، وإذا قصد إلى معنى متداول جلاء بديعاً محيياً كأنه سبق إليه . يجعل السامع يشاركه في أحاسيسه وخوارج من غير أن يحوجه إلى إدامة تبصر أو إطالة تفكير . وهكذا شعر جرير تروكك بساطته وانسجامه وسهولته وعذوبة خورسه

وجزائه ؛ وقد تأخذك وأنت تنشده نشوة لا تصيبها في شعر من يتقحون شعرهم ؛
 ؛ يفوضون على المعاني ويحلون في سماء الخيال ؛ فإذا رجعت الى نفسك تسألها
 عن سر هذه النشوة ؛ وجدت أنها البساطة وعدم التصنع والطبع يتمثل عارياً
 عن التكلف والتمويه . أنت لا تقع في شعر جرير على معانٍ مخترعة أو فكر
 عميقة أو خيال واضح أو وصف متالٍ . ولكنك تسمع الحاناً منسجمة
 وتبين حساً مرهفاً وطبعاً فياضاً وترى نفساً وثابةً أشبه ما تكون بنفس الطفل
 تسرع في الرضا والغضب والحب والبغض ؛ تقدم إذا استدرجت وتجهم إذا
 'خوفت' ؛ تستفزها كلمة وتطمئنهما أخرى ؛ أضف إلى ذلك خفة في الروح
 وصفاء في الفطرة .

يتمثل طبع جرير بعذوبة ألفاظه وسهولة مأخذه والقوة على الاستمرار والإفصاح
 عن المعنى بأوضح السبل وعدم التقيّد بتتالي المعنى تتالياً منطقياً ؛ فكل بيت
 وحدة تامة والأبيات التي يعالج بها غرضاً واحداً لا تربط بينها صلة واشجة ؛
 بل هي أفكار متداعية أو لمحات مختلفة يمت بعضها الى بعض برحمٍ ولكن غير
 ماسة . ولعل ذلك ما عناء الفرزدق بقوله : (إني وإياه لنفتقر من بحر واحد
 وتضطرب دلاؤه عند طول النهز^(١)) . وقال المبرد : (الفرزدق يجيء بالبيت
 وأخيه ، وجرير يأتي بالبيت وابن عمه^(٢)) .

ولا يرسله الشعر بلا تعمل وعدم الأخذ بالتساوق بكثير من الالتفات في
 الضمائر فمن المفرد الى الجمع ومن المخاطب الى الغائب بل ربما نادى من يتغزل بها
 بأسماء مختلفة في القصيدة الواحدة . قال : (الديوان ص ٥٩٤)

يا أم عمرو جزاك الله مغفرةً ردي عليّ فؤادي كالذي كانا
 يلتقي غريمكم من غير عسرتكم بالبذل بخلاً وبالإحسان حرمانا

(١) الأغاني ج ٨ ص ٨ .

(٢) الموشح للرزاني ص ١٢١ .

يا أمّ عثمان ان الحبّ عن عرضٍ يصي الحليم ويبي العين أحيانا
ضنت بموردة كانت لنا شرعا تشفي صدى مستهام القلب صديانا
وقد تعجبه اللفظة أو إعادتها فيكررها في البيت الواحد مرتين فيزيد اللفظ
حلاوة والمعنى قوة ، قال : (ديوان جرير ص ١٣٣)

حي المنازل بالأجزاء غيرها مرّ السنين وآباد وآباد
وقال : (الديوان ص ١٥٢)

كم دون بابك من قومٍ نخاذلهم يا أمّ عمرو وحدّادٍ وحدّادٍ
وقال : (ص ١٩٨)

يأشبّ ما زال في قبسٍ لا تفكم رغمٌ ورغمٌ وأوتارٌ وأوتارٌ
وهو بعدٌ من أقل الشعراء صنعةً تقل في شعره أنواع البيان والبديع ، فاذا
وردت كانت عن غير قصدٍ ولا تتبع .

ومزينة العاطفة في شعره أعظم بكثير من مزينة الخيال ، فهو مقتصد في
خياله لا يخلق بأجنحته وقلمه تجل له صورة تامة من صور الخيال ، ولكنك تشعر
بعاطفته تتلظى في أكثر شعره ، من ذلك قوله : (ص ٣٩٦)

أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل مذ بنتٍ قلبي كالجنّاح الخافق
وقوله : (ص ٥٧٠) :

أخطأ الرّيح بلادهم فتجنّوا ولهم أحبت كلّ يماضي
صدع الظمآن يوم بنّ فؤاده صدع الزّجاجة مالذاك تدان
ومعانيه مطروقة ولكن حسن التعبير عنها وبراعة التصرف بها يربقان عليها
من السحر ما يجعلها تستهوي القلوب . ولعل هذه الخاصة من أعظم ما خص به
الشعراء المطبوعون وفي طليعتهم جرير ، مثال ذلك قوله : (ص ٩٦)
يقول الماذلات علاك شيبٌ . أهذا الشيب بمنعني سراحي

وقوله : (ص ٤٥)

وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمي ولبس معي شبابي
ولكل ما تقدم من الخصائص التي مصدرها الطبع قالوا : « جرير بعرف
من بحر » وهو نفسه يشعر بهذه الخاصة فيقول مفتخراً :

بني مالك جاء القيون بمعرفي إلى سابق يجري ولا بتكاف
أما أوزانه فلا يكاد يخرج عن البحور الطويلة التي اعتاد الجاهليون النظم منها
كالطويل والبسيط والوافر والكامل ، وله مقدار يسير من الأراجيز بكثير فيها
الغريب جرياً على عادة الرجاز . وهاك مثلاً على شعره المطبوع المنسجم
قال : (ص ٥٠٣) :

سمعت حمامة طربت بنجس
مطوقة ترنم فوق غصن
سقى الله البشام وكل أرض
وقال : (ص ٥١٢)

متى كان الخيام بذى طلوح
أقول لصحبي لما ارتحلنا
تمرؤن الديار ولم تعوجوا
أقنموا إنما يوم كيوم
بنفس من تجبه عزيز
ومن أمسي وأصبح لا أراه
أتنسى إذ تودعنا سليمي
ومن شعره ما يظهر عليه الإحكام والمتانة وشدة الأسر والجزالة حتى يكون
أشبه بشعر الخطيئة . من ذلك قوله : (ص ٢١٤)

ونبتتُ تيماً قد هجوني ليدكروا فهذا الذي لا يشتهون من الذكر
لقوا وابلاً فيه الصواعق ترمي أواذيه ترمي الجناحين بالصخر

وقوله : (ص ١٤٢)

إذا ذكرت نفسي تيماً تذكرتُ أموراً تنسبني الضغائن والحقدا
فكيف تقول السيفُ يحملُ نصله إذا فارق السيفُ الحامل والقمدا
شكرونا إلى سعدى جوى وصبايةً وما كل حافي النفس تحبسه سعدى

وقوله : (ص ٤٦٢)

تمنى رجالٌ من تميم لي الردى وما زاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي
كانهم لا يعلمون مواظني وقد علموا أني أنا السابق المبلي
ولو شاء قومي كان حلي فيهم وكان على جهال أعدائهم جهلي

وقوله : (ص ٢٣٣)

يا أهل جزرة إني قد نصبتُ لكم بالنجنيق ولما يرسل الحجرُ
ومن العناصر التي أثرت في شعر جرير أو تقضت عليه ألواناً خاصة : البداة
المائلة بساطتها في كل شعره حتى ليجد منه عبق الشيع والقيصوم وتحس لفحات
المواجر وتفتح العشايا وتراه ينتزع تشبيهاته واستعاراته وإشارات من البادية
وأجوائها ، بل ترى روح البادية شائعة في كل ما يقول ، وأخلاق البداة
متمثلة فيه كالعصية للقبيلة ، والتمدح بالقوة والبأس والكرم ، وازدراء الصناعة
والزراعة فاذا هجا الفرزدق لقبه بالقين (والقين الحداد ويطلق على كل صانع)
(ص ٥٥٨) :

هو القين وابن القين لا قين مثله لنطح المساحي أو لجدل الأدايم

وقال يهجو البعيث بالنسج : (ص ٥٤٤)

فتؤخذ من عند البعيث خريبةٌ وبترك نساجا بدارين مسلماً

وقال يهجو بني حنيفة بالزراعة : (ص ٦٠٠)

أبناء نخلٍ وحيطانٍ ومنزعةٍ سيوفهم خشبٌ فيها مساحيها
ولبداوته لا يكاد يصف في شعره غير الفلوات والأغوار والأنجاد والقيعات
والأباطح والأبل ، وكثيراً ما يذكر أسماء الأمكنة بنجد مثل اليمامة ودهي
والوريفة وسمانين وفليج وكثير غيرها .

والى هذه البداوة ترى أثر الإسلام والقرآن واضحاً جلياً في شعره ، يفخر
بالإسلام ويعظم شأنه ويستعمل الألفاظ والمصطلحات الإسلامية كبعض أسماء
الله الحسنى وأسماء الأنبياء والرسل والكتب المنزلة والملائكة والإيمان والكفر
والشرك والنفاق والجنة والنار والمساجد والمنابر والدعاء والمعاد والتوكل والتسبيح
والقضاء والقدر وليلة القدر والمفصل والثاني ويوم القيامة وإبليس والأعور الدجال
وأشباهها . من قوله : (ص ١٧)

دعا الحجاجُ مثل دعاء نوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا
ولو لم يرضَ ربك لم ينزل مع النصر الملائكة الغضابا
وقوله : (ص ٦٣) :

أقد حلت بينك إني إمامٌ أقام الحدَّ واتبع الكتابا
وقوله : (ص ٧٩)

له حوض النسي وساقياه ومن ورث النبوة والكتابا
وقوله : (ص ٩١)

ولقد كسرت سنان كل منافقٍ ولقد منعت حقائب الحجاجِ
وقوله : (ص ٩٨)

ثقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنجاحِ
وقوله : (ص ١٢٦)

ولقد حكمت فكان حكمك مقنعا وخلقت زين منابر ومساجدِ

وقوله : (ص ١٣٦)

وتدعو الله مجتهداً ليرضى
وأنت ابن الخصارم من قريش
وتذكر في رعيته المعاد
ثم نصروا النبوة والجهاد

وقوله : (ص ١٤٩)

وإني أهل الضلالة خالفكم
أمايهم كما لقيت ثمود

وقوله : (ص ١٥٩)

الله أعطاك توفيقاً وعافية
مثبت بكتاب الله مجتهد
فزاد ذو العرش في سلطانكم مدداً
في طاعة الله تلقى أمره رشداً
أعطيت من جنة الفردوس مرتفقاً
من فاز يومئذ فيها فقد خلداً

وقوله : (ص ٢٧٥)

نال الخلافة إذ كانت له قدراً
كما أتى ربه موسى على قدر

وقوله : (ص ٢٠٣)

دعت المصور دعوة مسموعة
ومع الدعاء نصر ع وحذار

وقوله : (ص ٢٧٩)

فما أحصنته بالسعود لملك
ولا ولدته أمه ليلة القدر

وقوله : (ص ٣٢٤)

قوم لم خص إبراهيم دعوته
فحن الذين ضربنا الناس عن عرض
إذ يرفع البيت سورا فوق تأسيس
حتى استقاموا وهم أتباع إبليس

وقوله : (ص ٤٢٣)

قنس البراجم شر الخلق كلهم
أخزاهم رب جبريل وميكائيل

وقوله : (ص ٤٥٧)

لنا الفضلُ في الدنيا وأنتك راغمٌ ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ

وقوله : (ص ٤٧١)

ياضبُّ إنَّ هوى القيون أضلكم كضلالِ شيعَةِ أعورِ الدجالِ

وقوله : (ص ٤٧٤)

فعلبك جزية مشرٍ لم يشهدوا لله أنْ محمدًا رسولُ

وقوله : (ص ٥٦٧)

لحى اللهُ الفرزدقَ حين يمي مضيقاً للمفصل والثاني

وقد يستعير بعض معاني القرآن وألفاظه ، ويشير الى بعض قصصه وحوادثه فيمثل الشاعر العربي الإسلامي الذي ولد في الإسلام ووعى القرآن ، ولم يشهد الجاهلية ، فاقبس من بيان القرآن من ذلك قوله : (ص ٣٥)

كونوا كيوسف لما جاء إخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تريبُ

الله فضله والله وفقه توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب

وقوله : (ص ١٥٣)

من يهده الله يهتد لا مضلَّ له ومن أضلَّ فما يهديه من هادر

لاقوا بعوثَ أمير المؤمنين لم كالريح إذ بعثت نوحاً على عادٍ

فيهم ملائكة الرحمن ما لم سوى التوكل والتسبيح من زاد

أنصار حقٍّ على بلقيس مؤمنة أمداد ربك كانوا خير أمداد

وقوله : (ص ٤٦٤)

ضللت خلال السامري وقومه دعاهم فظلموا عاكفين على عجلٍ

وقوله : (ص ٥٠٦)

وحبل الله تعصمكم قواه فلا تخشى لعروته انقصاما

وقوله : (ص ٥٠٢)

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقوله : (ص ٥٧٦)

يُعطى كتاب حاسبه بشماله وكتابنا بأكناف الأيمان

ومن آثار الإسلام في شعره أنه لم يذكر الخمر إلا على سبيل الهجاء والنقيض ،
ولعل جريراً من أكثر الشعراء الإسلاميين تأثراً بالإسلام والقرآن لأنه كان
دينياً تقياً ولا يفوقه بالنأثر بالقرآن إلا الفرزدق لأنه كان يحفظه .

وللعصر الذي عاش فيه جرير ولحوادثه أثر غير ضئيل في شعره ، فلقد
كان عصرًا مفعماً بأعظم الحوادث ، قام في الحجاز عيد الله بن الزبير فبأبعه
بالخلافة أهل الحجاز وكثير من أهل العراق ، - وثار بالعراق المختار الثقفي .
ثم فرمى عبد الملك بن مروان الحجاز بالحجاج ففضى على ابن الزبير ، ثم ولاء
العراق فأخذ النواثر ، واستقر الأمر لبني أمية بعد قتل عديدة ، فوجهوا مهمهم
نحو الفتوح وبخاصة في عهد الوليد بن عبد الملك فقد بلغت جيوشهم الهند في
الشرق وفتحت الأندلس في الغرب ودخروا الروم في آسية الصغرى وتغلغلوا فيها .
ثم كانت ثورة ابن المهلب في أيام يزيد بن عبد الملك وما إلى ذلك من الأحداث
في الداخل والخارج مع الحوادث اليومية الهامة . ولكل منها أثر في شعر جرير
يشير إليها بمناسبة شتى وبخاصة في المدح ، ولعل جريراً من أكثر شعراء
عصره إشارة إلى الفتوح الأموية ومدح الخلفاء والأمراء والعمال والقواد بها ،
والشواهد على ذلك من شعره غير قليلة ، نورد منها ما يدل بوضوح على تأثره
بحوادث عصره ، وما يصح أن يكون وثيقة على تلك الحوادث من ذلك قوله
بمدح الحجاج من قصيدة : (ص ١٨)

كأنك قد رأيت مقدمات بصين أستاذ قد رفعوا القبايا

وذلك أن الحجاج كتب الى محمد بن القاسم الثقفي الذي فتح له السند والى قتيبة بن مسلم الباهلي وهو على خراسان : أبكما سبق الى الصين فهو والـ على صاحبه .

وقوله يمدح مسلمة بن عبد الملك بالفتوح : (ص ١٠٤)

مسلم جرار الجيوش الى العدى . كما قاد أصحاب السفينة نوح

وقوله في معاوية بن هشام (ص ١٥٥)

حتى أتتك ملوك الروم صاغرة
يوم أذل رقاب الروم وقعته
مقرنين بأغلال وأصفاد
بشرى لمن كان في غور وأنجاد

وقوله في معاوية أيضاً : (ص ١٨٣)

وجدوا معاوية المبارك عزمه
يلقى العدو على الثغور جياد
صلب القناة عن المحارم مذودا
أبدأن ثم ثنين فيها عودا
أما العدو فقد أجمت ديارهم
فتح الآله على يدبك يرغمهم
ولقد أجمت من العقاب^(١) منازل
لما رأتك على العقاب ملوكهم
إلا تركت عظيمهم مستعبدا
رخو الأخادع في الكبول مقيدا
كان ابن سين طاغيا فرددته

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك بسعة الفتوح : (ص ٣٨٤)

وأدت اليك الهند ما في حصونها
وأرض هرقل قد قهرت ودا^(٢) بهرا
ومن أرض صين أستان تيجي الطرائف
وتسعى لكم من آل كسرى التواصف

(١) المبلد : المتوي بالأرض اللاصق بها .

(٢) العقاب : قلعة في بلاد الروم فتحها معاوية بن هشام .

(٣) داهر : ملك الديلم قصة السند (تاج المروس) .

وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد : (ص ٤٣٤)

وللترك من عبد العزيز وقيةٌ وللروم يومٌ ما قتم حوامله

وقال يشير الى ثورة ابن الأشعث وابن المهلب : (ص ١٥٤)

لاقى بنو الأشعث الكندي إذ نكثوا وابن المهلب حرباً ذات عصواد^(١)

وقال أيضاً : (ص ٢١٩)

آل المهلب فرطوا في دينهم وطفوا كما فعلت ثمود فباروا

وقال في حبس عمر بن هبيرة : (ص ٣٨١)

أبا حنص مخافة كل ظلم عليك وكيف يهجع من يخاف

وأدعو الله فيك وأن يجلي عماية ما يزالها انكشاف

وقال في عمر بن عبد العزيز حين منع المكس : (ص ٤١٥)

ولقد نعت بما منعت تخرجاً مكس العشور على جسر الساحل

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك ويشير الى بنائه الجامع الأموي بدمشق :

(ص ٤٩٢)

إنت الوليد خليفة خليفة رفع البناء على البناء الأعظم

فعلا بناؤكم الذي شرقتم ولكم أباطح كل وادٍ مقعم

إن الكنيسة كان هدم بنائها فسراً فكان هزيمة الأخرم^(٢)

وقال يشير الى حوادث مروان بن الحكم : (ص ٥١١)

قد جربت مصر والضحاك أنهم قوم إذا حاربوا في حربهم قوهم

هلا سألت بهم مصر التي نكشت أوراها طام يوم يحيى الراية البهم^(٣)

(١) الصواد : الجلبة والاختلاط في ضرب أو خصومة .

(٢) الأخرم : ملك الروم .

(٣) البهم : جمع بهيمة وهو الشجاع الذي يستبهم على اقترانه مأثاه .

أما مذهبه السيامي فقد كان أمويًا صرفًا لم ينتصر ابن الزبير يده ولا بلسانه ،
فلما تمَّ الأمر لعبد الملك بن مروان وفد عليه ومدحه ونال من ابن الزبير وأخيه
مصعب وأثنى على سياسة الشاميين كما سيأتي في فصل المدح .

والبلدان التي كان يقصدها في سبيل المدح أثر ضئيل في شعره لا يتجاوز
في غالب الأحيان تسمية الأمكنة إلى الإيلاج إلى بعض صفاتها ، ولكنه
كان يسهب في وصف الفلوات التي كان يقطعها إلى الحواضر ، لما ركب
في طبعه من البداوة .

والكتابة وأدواتها أثر في شعره يدل على أنه لم يكن أميًا بالرغم من بداوته
من ذلك قوله : (ص ٣٨٦)

كأنه بعد تحنات الرياح به رقٌ تبينُ فيه اللامُ والألفُ
وقوله : (ص ٤٨٨)

حي الديار كوخ الكاف والميم ما حظك اليوم منها غير تسليم
وفي هذه القصيدة يقول : (ص ٤٨٩)

تقفى القضاة على تيم وإن رغمت فاكتب قضاءك واطبع بالخواتيم
ويقول من أخرى : (ص ٢٩٦)

تحت المناطق أسماء مصلبة مثل الدوامسها الأتقاس والليق
ويقول : (ص ٤٩٨)

كأن أخا اليهود يخط وحيًا بكافٍ في منازلها ولامٍ

وجرير على بداوته وعصبيته العربية لا يخلو شعره من أثر - ولو ضئيل -
للفرس مباشرة أو بالواسطة ، فقد مدحهم ببضعة أبيات من شعره ونوه بمفاخرهم ،
وظنهم من أولاد اسحق فدعاهم بأبناء عمه وذكر أنه كان فيهم نبوة وملك .
وقد أعجبه سخن دهاقينهم وهيئاتهم وحسن ألبستهم وتريثهم واختيالهم في مشيهم

فشبه بهم ثيران الوحش ، كما استعمل عدداً من الكلمات الفارسية في شعره ،
ولذلك كان الموالي يحبونه ويتحفونه بهداياهم ؛ قال يشبه ثيران الرصافة بالمرازبة :
(ص ١٤٧)

بها الثيران تحسب حين تضحي مرازبة لها بهراة عيد
المرازبة جمع تمرزبان وهو الرئيس من القرس .
وقال : (ص ٥٨٧)

يمشي بها البقر الموشى أكرعه مشي المرازبى حجوا بيعة الزون
المرازبى : أصحاب بيوت النار ، والزون : الصنم .
وقال : (ص ٢٥٢)

يمشي بها كل موشى يربار موشم الأكرع فيها جبار
هز روقيه كهز الاسوار
الاسوار من أساوره القرس وهو الراعى أو الفارس .
وقال : (ص ٣١٢)

إنت الفرزدق والبعث وأمه وأبا البعث لشر ما إستار
الاستار : أربعة وهو معرب جهاز بالفارسية .
وقال : (ص ٤٠٥)

وبنا يدافع كل أمر عظيمه لبست كنزوك في ثياب الكرق
لاخير في غضب الفرزدق بعدما سلخوا عجانك سلخ جلد الرودق
سبعوث والوصفاء مهر بناتنا إذ مهر جعثن مثل حر البيدق
الكرق : هو الكرقج فارسي معرب وهي لعبة يلعب بها المختنون . والرودق :
الحمل وأصله بالفارسية روده . والبيدق : الصغير من الغلات .
وقال : (ص ٤٨٢)

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرقج وجلاجله

وقال : (ص ٤٣٥)

كاد مجيبُ الخيـثُ تلقى بينه
والطبرزين فارسي وتفسيره فأس السرج .

وقال : (ص ٤٦٦)

رُفِعَ المطيُّ بما وسمتُ مجاشعا
والزُبَيْريُّ يوم ذو الأجلالِ
الزُبَيْري : ضرب من السفن .

وقال من قصيدة يفخر بأبناء إسماعيل وإسحق ظاناً أن الفرس من أبناء إسحق :
(ص ٢٤٢)

وأبناء إسحق الليث إذا ارتدوا	محامل موتٍ لابسين السَنَوْرَ ^(١)
فيوما سراويل الحديد عليهم	ويوما ترى خزا وعصبا منيرا
إذا افتخروا عدوا الصبيـهـة ^(٢) منهم	وكسرى وآل الهُرْمُزَانِ وقيصرا
ترى منهم متبصرين على الهدى	وذا التاج يضحى مرزباناً ^(٣) مسورا
أعر شبيهاً بالفتيق إذا ارتدى	على القبطريُّ الفارسيُّ المزورا
وكان كتابٌ فيهم ونبوة	وكانوا بامسطخر الملوك وكسترا
أبونا أبو إسحق يجمع بيتنا	أبٌ كان مهدياً نبياً مطهرا
أبونا خليلُ الله والله ربنا	رضينا بما أعطى الآلهة وقدرا

(يتبع)

خليل مردم بك

(١) السَنَوْر : الدروع والسلاح (معرب) .

(٢) الصبيـهـة : فارسي معرب ومنناه القائد والأمير وهو علم الملوك طبرستان .

(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس .

اللغة العربية في أفغانستان

يرجع في الغالب تأثير لغة على لغة ثانية الى عوامل دينية أو ثقافية ، ومن اللغات التي كان لها تأثيرها الكبير على غيرها من اللغات هي اللغة اللاتينية واللغة السانسكريتية واللغة الصينية واللغة اليونانية القديمة واللغة العربية . ونجد أن اللغة العربية واللاتينية كانتا من أكثر اللغات تأثيراً في غيرهما من اللغات .

ويمكن أن نلم باديء بدء بصورة موجزة بأثر اللغة اللاتينية في اللغات الغربية ، ثم تنتقل الى بيان أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية . فاللغة اللاتينية ولا شك لعبت دوراً هاماً في الحياة الثقافية للأمم الأوروبية . وأصبح من المسلم به لدى علماء الغرب ما يلي :

١ - تولدت من اللغة اللاتينية اللغات التالية وهي الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية والرومانية والريتيية وثلاث الانجليزية .
٢ - ثم دخلت كلمات كثيرة من أصل لاتيني الى سائر لغات أوروبا بعوامل سياسية ودينية وعلمية .

٣ - أصبحت اللغة اللاتينية لغة علمية في أوروبا كلها واستعملت في كل المعاهد العلمية حتى قبل (١٥٠) سنة .

٤ - أصبحت اللغة اللاتينية لغة الدين المسيحي وبقيت لغة دينية للدين المسيحي الكاثوليكي حتى اليوم .

٥ - كانت لغة سياسية حتى حلت محلها اللغة الفرنسية في القرون المتأخرة أي منذ ٣٠٠ سنة .

- ٦ - كانت اللاتينية اللغة الرسمية في بعض الممالك كملكة الحجر التي اتخذتها لغة رسمية وأعلنت بها كل قوانينها وأوامرها حتى عام ١٨٦٢ م .
- ٧ - كانت لغة أدب لفئة من الناس لا يتون الى اللاتينية بنسب ٤ ، وإن آخر شاعر معروف نظم باللاتينية هو البابا ليو الثالث عشر والذي توفي عام ١٩٠٣ م .
- ٨ - كان النحو اللاتيني ومصرفه أساساً لتدريس الصرف والنحو في اللغات الغربية حتى ان معظم الاصطلاحات - إن لم تكن كلها - مأخوذة عن اللاتينية . هذا ما كان من أثر اللغة اللاتينية في اللغات الأوروبية ؛ فما هو أثر اللغة العربية في اللغات الشرقية ؟

- ١ - إن اللغة العربية الفصحى حفظت وحدتها رغمًا عن اللهجات الدارجة واللغات العامية ، وليس بالإمكان أن تنقسم لغة الضاد الى لغات فرعية وليست المالطية إلا استثناءً منعيًا أرادته السيادة الانجليزية .
- ٢ - أثرت اللغة العربية في سائر لغات الأمم الإسلامية تأثيراً عميقاً كاللغة الفارسية والأردية والباشتوية والنح ٠٠٠ حتى انها أثرت في اللغة اليوغوسلافية في بوسنا سراي المسلمة .

وإن النقطة الدقيقة في هذا التأثير ، هي أن اللغة العربية في ترتيبها ذات شكل لا يشبه شكل سائر اللغات المذكورة لأن العربية لغة سامية في حين ان التركية لغة ملزقة أرا لاتائية . واللغات الفارسية والباشتو والأردية والنح ٠٠٠ لغات آرية . فكان في دخول الفاظ اللغة اللاتينية الى لغات كاللغات الجرمانية والسلافية أمر هين لأن تركيب تلك اللغات مثل تركيب اللغة اللاتينية بينما احتاج دخول كلمات عربية الى لغات تخالفها في ترتيبها مقدرة عظيمة .

- ٣ - إن اللغة العربية كانت لغة العلم والبحث في مشرق البلدان الإسلامية ومغربها .
- ٤ - اللغة العربية هي لغة دينية أكثر من اللغة اللاتينية لأن اللاتينية

خضت بالقساوة بينا العربية بقيت لغة دين لعامة الناس في البلدان الاسلامية باستثناء تركية الحديثة .

٥ - كانت اللغة العربية لغة سياسية لدرجة قوية وذات مكانة دولية سياسية لاسيا في القرون الوسطى حيث كانت اللغة العربية لغة السياسة في المشرق .
٦ - كانت اللغة العربية لغة رسمية وبقيت أيضا حتى اليوم ، فلا تنسى أن لغة المحاكم الشرعية الاسلامية كانت العربية وقد سعى السلطان عبد الحميد العثماني الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) إلى أن يجعلها لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها ، هذا وتوجد حركة في الباكستان الآن تسعى لاتخاذ العربية لغة رسمية فيها .

٨ - لم يكن صرف اللغة التركية والفارسية والاردو والباشتوية ونحوها إلا تقليداً لصرف اللغة العربية ونحوها لدرجة كبيرة .
وسنذكر الآن أثر اللغة العربية في بلاد الأفغان .

انتشرت اللغة العربية وآدابها مع انتشار الدين الاسلامي المبين ، رغم جهل الأمراء والسلاطين اللغة العربية ، وتجنبهم تعلمها ، حتى أن يعقوب بن الليث الصفار أمر بترجمة المدايح العربية التي قرئت في الجامع الى اللغة الفارسية لجهل العربية . ولكن مع ذلك ظهر شعراء وعلماء في أفغانستان أحسنوا في الشعر والنثر العربي . ومنهم أبو الحسن شهيد بن حسين البلخي الفيلسوف ^(١) .

ويشار بن برد الذي ولد عام ٩٥٠هـ / ٧١٣م في طخارستان وتوفي في بغداد عام ١٦٢هـ / ٧٨٣م وهو شاعر مشهور اشتهر بأهاجيه الخليفة المتصور العباسي ^(٢) .
وأبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش وهو نحوي كبير

(١) محمد كريم خان ترميزي تاريخ ادبيات افغانستان كابول ١٣١٤ هـ / ١٩٣٣ م

١٣٥٢ هـ ق ص ٢٠١ .

(٢) ترميزي ص ٢٠٧ .

وكتب (بحر الخبب) ^(١) وتوفي في عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ثم ابورجا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريق بن عبد الله البغلاني الذي ولد عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م وكان عالماً في علم الحديث . وأبو معشر بن محمد بن عمر البلخي الذي كتب أكثر من (٤٠) كتاباً ^(٢) في علم الحديث ^(٣) وتوفي عام ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م وأبو حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي ، كان من أصل أفغاني لأن جده أمر عند فتح مدينة كابول ونقل الى الكوفة وشرح مذهبه أفغاني آخر هو أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي في كتابه الفقه الأكبر ^(٤) .

وكانت قرب بلغ العائلة البرمكية أيضاً ولها تأثير مهم في الآداب العربية كما هو معروف . ويقال ان أبا عثمان عمرو بن عبيد (بن باب) الذي أسس الطائفة المعتزلية بالاشتراك مع أبي حذيفة واصل بن عطاء الذي ولد عام ٤٠ هـ / ٦٦٠ م وتوفي عام ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م هو من أصل أفغاني ^(٥) . أما أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكمي الذي أسس الطائفة الكمية وهي قسم من المعتزلة فهو بلخي بدون شك وتوفي عام ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م في بلغ . أما في هراة فقد ظهر أدباء وشعراء وفلاسفة أيضاً وبينهم أبو الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري الذي توفي في عام ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م ^(٦) وأحسن في

(١) هو الأخفش الأوسط ، وقد زاد في المروض بحر (الحَبَب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر ، وفي الأعلام للزركلي أنه توفي في عام ٢١٥ هـ - ٨٣٠ م .

(٢) بروكلمان تاريخ الأدبيات العربية ذيل الجلد ١ ص ٢٨٤ .

(٣) كان أولاً من أصحاب الحديث ، ثم صار عالماً بأحكام النجوم والتاريخ .

« المجلة »

(٤) شراينير : تاريخ اللاهوت الاسلامي ، في مجلة العلوم الشرقية الألمانية جلد ٥٢ ص ٥٢٩ .

(٥) ولد عام (٨٠) هـ ، وتوفي عام (١٤٤) هـ (٦٩٩ - ٧٦١ م) وكان جده من سي فارس .

(٦) الصحيح أنه توفي عام (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م) كما في الأعلام نقلاً عن المقرئ ، ووفيات الأعيان .

« المجلة »

في علوم الآداب وله شعر في الشطرنج ^(١) . وأبو أسامة وأبو سهيل ^(٢) وهما لغويان وأبو ذر عبد الله بن أحمد ويظن كثير ^(٣) أنه مؤلف كتاب المستدرك على الصحيحين ويظن يروكيان ^(٤) أن مؤلفه هو محمد بن عبد الله بن (محمد) ^(٥) الحاكم النيسابوري بن اليعم . وأبو زيد أحمد بن سهل البلخي ولد في شامستان بقرب بلخ وكان أبوه معلماً وتوفي في بلخ وتعلم في العراق عند الكندي وأحسن إليه أمير بلخ عبد الله بن سهل بن هاشم المروزي وكتب في عام ٢٠٩ هـ / ٩٢١ م كتابه الجغرافي المشهور كتاب الأشكال أو صور الأقاليم وتوفي في عام ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م وبهذا الكتاب سلسلة من نشرات علماء جغرافية العرب المشهورين وبين كتبه الصغار كتاب (فضائل بلخ) . وأبو المظفر محمد بن آدم الهروي وهو نحوي وأديب ، وأبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي ^(٦) وكتابه كتاب مفاخر المقالة وهو معلم للأزهري . ومنصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي ^(٧) ولد في ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م في هراة وأمره بعض الأعراب عند رجوعه من الحج إلى بيت الله . واستفاد من الأسر وتعمق درس اللغة العربية حيث أصبح معلماً مشهوراً ومؤلفاً بعد رجوعه من الأسر إلى هراة ومن آثاره القاموس المشهور (تهذيب اللغة) ، ومحمد يوسف الهروي وهو عالم في علم الحديث وتليذه أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

(١) من كتبه «نظم الجمان» و «الفاخر» و «الشامل» كلها في علوم العربية .

«المجلة»

(٢) له : سهل بن هارون أبو عمرو وهو فارسي الأصل . «المجلة»

(٣) تزيبي ص ٢٠٨ .

(٤) ب ج ١ ص ١٦٦ وذيل ١ ص ٢٧٦ .

(٥) هو ابن حمدويه الضبي . «المجلة»

(٦) قد تقدم ذكره قبل أسطر . «المجلة»

(٧) ب ج ٢ ص ١٢٩ وذيل ١ ص ١١٧ - تزيبي ص ٢٠٨ .

المهروي الذي توفي في عام ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م وله (كتاب الغريبين في القرآن والحديث) وكتب غيره ^(١) ، وأبو الحسن علي بن محمد المهروي ^(٢) وهو انهوي ونحوي وخطاط مشهور .

أما في العصر ال ٦ الهجري (ال ١٢ الميلادي) فقد فتح الغزنويون أفغانستان وأصبحت اللغة الفارسية لغة الشعراء والأدباء والعلماء ولكن الكثيرين منهم ظلوا يؤلفون بالعربية ومنهم شهاب الدين أديب صابر بن أديب اسماعيل الترمذي وأمير امام رشيد الدين سعد الملك محمد بن محمد بن عبد الجليل عمر المسمى رشيد الدين الوطواط وهو بلخي وأكبر شهرته في شعره الفارسي . وقد ألف أيضاً ديواناً عربياً و ١٥ كتاباً بالعربية وترجم مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الأصل العربي الى اللغة الفارسية وعنوان الترجمة هو (مطلوب كل طالب) وتوفي في عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م .

وأبو الفضل محمد بن حسين البيهقي عاش ٣٩ سنة في حاشية ملوك غزنة وخصوصاً عند محمود الغزنوي وكتب تاريخ الغزنويين المشهور وتوفي في عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م وألف أشعاراً ومؤلفات عربية أيضاً ^(٣) ثم الصوفي المشهور أبو اسحاق بن أبي علي عثمان الجلاني الهجويري صاحب كتاب (كشف المحجوب) وكتاب (البيان) توفي في ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م وله مؤلفات عربية أيضاً ^(٤) . والقاضي حميد الدين أبوبكر عمر بن محمود البلخي نشر مؤلفات في الفقه باللغة العربية واستعمل أولاً السجع المأخوذ من الأدب العربي في الأدب الفارسي .

(١) ب ج ١ ص ١٣١ وذيل ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) لم نجد (المهروي) بهذا الاسم إلا الملا علي القاري المشهور وهو علي بن محمد سلطان

المهروي ولد في هراة وسكن مكة الى أن توفي عام (١٠١٤ هـ - ١٦٠٦ م) .
« المجلة »

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الجزء الأول عمود ٦١٦ .

(٤) تزيي ص ٢٢٢ ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ع ١٦٦ .

أما شيخ الاسلام الامام أبو اسماعيل عبد الله بن أبي منصور محمد بن أبي معاذ علي الخرزجي الأنصاري المروزي فقد ولد في عام ٣٩٦ هـ / ق ١٠٠٥ م قرب هراة وتوفي في هراة عام ٤٨١ هـ / ق ١٠٨٨ م وهو من أشهر مؤلفي التصوف نشر شعراً وثراً عربياً وفارسياً وكتابه الأشهر هو كتاب (منازل السائرين) الذي نقل وطبع مراراً وتكراراً وهو نظريات ومقامات التصوف وكتاب (ذم اللام) وهو كتاب فلسفي والكتابان باللغة العربية^(١).

وابن سينا والبيروني وهما من أكبر مؤلفي العرب ولا لزوم لتعريفهما للقراء ، فهما أكبر من أن يعرفا فالبيروني عاش في مدينة غزاة عند محمود الغزنوي وكتب هناك أشهر آثاره ، وصلات ابن سينا بالسلطان محمود معروفة . ثم تذكر أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخري وهو عالم في الحديث والفقه والعلوم الأدبية قتل عام ٤٦٢ هـ / ق ١٠٧٥ م وألف ديواناً عربياً وكتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) ترجم فيه ١٢٥ شاعراً عربياً حياةً وشعراً^(٢).

ومحمد بن علي بن محمد المعروف بأبي سهل ولد في هراة عام ٣٧٢ هـ / ق ٩٨٢ م وتوفي في القاهرة عام ٤٣٣ هـ / ق ١٠٤٢ م وهو كبير في علم الحديث^(٣) . ثم آدم بن أحمد بن أسد المروزي المعروف بأبي سعد الذي درس أولاً في بلخ ثم حج وأسس مدرسة في بغداد وتوفي عام ٥٣٦ هـ / ق ١١٤٢ م وكان عند تدريسه في بلخ معلماً لرشيد الدين الوطوط ودرس الأدبيات والحديث وألف

(١) ب ج ١ ص ٤٣٣ وذي ١ ص ٧٧٣ .

(٢) تزيهي ص ٢٣٧ .

(٣) هو لنوي ، كان مؤذناً بجر وتوفي فيها ، له « شرح فصح ثلب - ط »

و « مختصر » و « أسماء الأسد » و « أسماء اليف » (الأعلام ، سن

بنية الوعاة ٨٣ ، والكتبانة ٤ : ١٦٧) « المجلة »

(كتاب الاصراف في أدب القضا وغوامض الحكومات) ^(١) أما أبو المظفر محمد ابن آدم بن كمال الهروي الذي توفي في عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م فقد ألف شرحاً لديوان الحماسة وشرحاً آخر لديوان أبي الطيب المتني وغيره ^(٢) ، وأبو نصر احمد بن حسين الباخري المتوفى عام ٤٣٥ هـ / ١٠٤٤ م ، وأبو ذر الهروي المتوفى عام ٤٣٤ هـ / ١٠٤٣ م ، واحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الفقيه المتوفى عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، وعبادي الهروي الفقيه الشافعي المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م في بلخ وقد ألف (كتاب قبول الأخبار ومعرفة الرجال) و (تحفة الوزراء) و (كتاب المقالات) ^(٣) . وأبو يعقوب اسحاق بن أحمد اسحاق ، ويعقوب القراب المتوفى عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م في هراة كتب (فضائل الرعي في سبيل الله) ^(٤) . وأبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الذي ولد في بغشور بين هراة و مروالروز المتوفى عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م في مروالروز و كتب (كتاب مصايح السنة) وثلاثة كتب غيره ^(٥) .

وما زالت الفعالية المتحررة في أزمنة الغول في العصر السابع الهجري أي في العصر الثالث عشر الميلادي . أما العناية بالعربية فكانت قليلة في زمان التيموريين أي في العصر الثامن الهجري أو العصر الـ ١٤ الميلادي حيث ظهر عمر بن اسحاق الغزنوي الدولتآبادي المتوفى عام ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م وكتب (شرح المغني) وهو فقيه ^(٦) . وعلي شهاب الدين الحسيني الحداني الأمير الكبير الصديق للسلطان قطب الدين وهو الصوفي المشهور والذي ولد عام ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م

(١) ب ١ ص ٤٠٣ وتزيي ص ٢٢٧ .

(٢) تزيي ص ٢٢٨ .

(٣) ب ج ١ ص ٣٦٣ و ب ذيل ج ١ ص ٦١٩ .

(٤) ب ذيل ج ١ ص ٦١٩ .

(٥) ب ج ١ ص ٤٦٣ و ٣٦٤ و ب ذيل ج ١ ص ٦٢٠ .

(٦) ب ج ٢ ص ٢٢٠ .

في همذان والمتوفى عام ٧٨٦ هـ ق ١٣٨٣ م في تيراه في ياغستان ودفن في ختلان في بدخشان وهو صاحب كتب عربية كثيرة^(١) ، وعلي بن محمد الجرجاني السيد الشريف ألف كتباً عربية كثيرة تقرب من (٤٤) كتاباً عاش وتعلم في هراة من سنة ٧٦٦ هـ ق / ١٣٦٥ م الى ٧٧٠ هـ ق / ١٣٦٨ م^(٢) ، ثم نشطت العربية في أفغانستان مجدداً في العصر التاسع الهجري (ال ١٥ الميلادي) والعصر العاشر الهجري (ال ١٦ الميلادي) وكان أكبر المعنيين بها الشاعر عبد الرحمن بن احمد الجامي النقشبندي قوام الدين وقد ألف كثيراً بالعربية علاوة على ما ألفه من الكتب المتعددة باللغة الفارسية وله اثنا عشر كتاباً ترجم منها الى العربية كتابه الشهير (نفحات الأنس)^(٣) وتوفي عام ٨٩٨ هـ ق / ١٤٩٣ م في هراة ، ثم نذكر الغبك شاهرخ بن تيمور الذي حكم هراة من ٨٥٣ هـ ق / ١٨٤٨ م الى ٨٥٣ هـ ق / ١٤٤٩ م وألف آثاراً كثيرة في علم الفلك باللغة العربية ، ونور الدين أبا القاضي بن أحمد البلخي الذي ألف كتابين في علم الفلك (المدخل في علم النجوم) وغيره^(٤) ، ثم زين الدين بن علي بن احمد المعبري الملباري الصوفي المولود في كوشات عام ٨٧٢ هـ ق / ١٤٦٢ م والمتوفى في قنات ٩٢٨ هـ ق / ١٥٢٢ م وكتب بالعربية (هدايات الأذكياء الى طريق الأولياء)^(٥) وله شرح كتبه ابنه عبد العزيز وعنوان الشرح (مسلك الأذكياء) وكتب عبد الباقي بن محمد حاجي صدر الدين الصيراني في قندهار في عام ٩٥٠ هـ ق / ١٥٤٣ م الكتاب اللغوي (رسالة في تمام المشترك)^(٦)

(١) ب ج ٢ ص ٢٢١ وذيل ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) ب ج ٢ ص ٣٠٥ وذيل ج ٢ ص ٢١٦ و ٢١٧ .

(٣) براون تاريخ ادبيات الفرس ٣ ص ٥٠٧ وما بعدها وبروكلمان ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٤) ب ج ٢ ص ٢١٢ وذيل ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) ب ج ٢ ص ٢٢١ .

(٦) ب ج ٢ ص ٢١١ .

وكتب شرف الدين القاضي بن حسين المدراغي الغزنوي الذي توفي عام ٨٥٤هـ/ق ١٤٥٩ م (التنف الحسان في الفتاوى) ^(١) وكتب معين الدين بن شرف الدين حاجي محمد الفراجي الهروي المسكين الذي توفي سنة هجرة عام ٩٠٢/١٥٠١ (بحر الدرر) ^(٢) ، وكلال الدين حسين بن علي البهقي الكاشفي الواعظ عاش في هجرة حيث توفي عام ٩١٠هـ/ق ١٥٠٥ وكان شاعراً فارسياً معروفاً ^(٣) وكتب بالعربية (لوائح القدر) وابنه نجر الدين علي بن حسين الواعظ الكاشفي الهروي المولي الصافي كتب الكتاب الصوفي المشهور (رشحات عين الحياة) ^(٤) ، ونظم عبد المعين بن أحمد بن البكاء البلخي الحنفي في عام ٩٢٢هـ/ق ١٥٦٤ م ديوان شعر بعنوان (غواشي الأسواق في معاني العشاق) ^(٥) وكان عصام الدين ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفرائيني المتوفى عام ٩٤٤هـ/ق ١٥٣٢م قد قضى الشطر الأوفى من عمره مدرساً في مدرسة شاهروج موسى في هجرة وكتب (میزان الأدب في العلوم الثلاثة الصرف والنحو والبلاغة في لسان العرب) و (رسالة في علم الحجاز) وكتباً غيرهما كثيرة ^(٦) .

وكتب محمد بن يوسف اللبيب الهروي في عام ٩٢٤هـ/ق ١٥١٨م كتاباً طيباً عنوانه (بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية من العربية واللاتينية واليونانية) . وكان كتاباً مشهوراً ثم كتب كتباً عديدة غيره ^(٧) ، ومحمد رحيم

(١) ب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) ب ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٣) براون ج ٣ ص ٤٤١ و ٤٠٣ .

(٤) ب ج ٢ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .

(٥) ب ج ٢ ص ٥٧٠ .

(٦) ب ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ و ذيل ج ٢ ص ٥٧١ ،

(٧) ب ذيل ج ٢ ص ٥٩٢ .

ابن الحاج محمد الهروي كتب (أنيس المستوحشين) وهذا في العصر ال ١١ الهجري (ال ١٧ الميلادي) ، أما في العصر ال ١٣ الهجري (ال ١٩ الميلادي) فنذكر صاحبزاده محمد عمر مبال المحمدي الذي ألف كتاب (برهات الأصول) و (لائق السماع في تحقيق الجمعة) ، وملا أحمد الله البشاورى صاحب (تحفة الإخوان في التفرقة بين الكفر والإيمان) وملا دوست محمد بن ملا أمين الكابلي الذي كتب في عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧١ م (تحفة الاخلاء في عصمة الأنبياء)^(١) .

هذا وإن من أهم الشخصيات التي بشرت بالوحدة الإسلامية وتفتحت روح الوحدة العربية وتعدتها الى (الوحدة الشرقية) السيد جمال الدين الأفغاني وليس من اللازم أن نعرفه لقراء هذه المجلة وهو هو وثم عالم أفغاني شرح مؤخراً تطوره الروحي نحو العروبة^(٢) .

وفي تدريس الأفغانين اليوم للعربية شاهد على عنايتهم بها وتوجد مدارس كثيرة في أفغانستان تدرس العربية مستقلة أو بالاشتراك مع الديانة وفي المدارس الثانوية المصرية أصبح تدريس العربية إجبارياً . ولعلمي اللغة العربية الأفغانين معرفة جيدة بالعربية ومثلنا على ذلك زميلنا العزيز الذي يدرس العربية في مدرستنا (النجاة) الثانوية وهو القاضي عبد الطاهر السامي الذي درس العربية بالأزهر فهو يتكلم العربية بسهولة واتقان مبغها حب العربية .

وأهم المدارس التي تدرس العربية في الأفغان هي دار العلوم العربية ثم المدارس التي تدرس فيها الديانة على الطراز القديم وبينها دار العلوم في كابل ويدرّس فيها (١٣٠) طالباً ، ونظر المدارس في هراة يدرس فيها (٢٢٠) طالباً . ونجتم المدارس في حده وهي قرب جلال آباد ويدرّس فيها (٥٠) طالباً .

(١) ب ذيل ج ٢ ص ٨٤٩ .

(٢) سيد أحمد شاه خان هاشمي (سيد جمال الدين ومفكورة اتحاد اسلامي) في مجلة عرفان كابل عام ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ثم بركلمان ذيل ج ٣ ص ٣١١ وما يليها .

ومدرسة الاسديّة في منار الشريف وتضم (١٠٠) طالب ، ومدرسة ظاهر شاهي في ميسنة وفيها (٣٠) طالباً ، ومدرسة تخارستان في كندز وتحوي على ستين طالباً ونور المدارس في غزنة وتضم ثلاثمائة طالب والمدرسة المحمدية في قندهار وفيها ستون طالباً وغيرها في المدن الصغيرة والقرى وهذه المدارس تحت إدارة وزارة المعارف الأفغانية وأكثرها نظامية لاسيما مدارس التدريس المسلّكي أي التدريس الصناعي وإدارة هذه المدارس موحدة ورئيسها الآن الدكتور محمد حيدر ومعاونهُ الأستاذ محمد هاشم المجددي الذي درس سنوات كثيرة في الجامع الأزهر الشريف ويميّد العربية بطرز كامل وهو من عائلة لها مقامها وإن عمه السيد هاشم المجددي أسس مدرسة نور المدارس المذكورة وأخوه السيد محمد صادق المجددي كان سفيراً للأفغانستان في مصر وهو ملم بالثقافة العربية . أما نجر التدريس العربي في أفغانستان الحديثة فهي دار الفنون العربية في بغمان بقرب كابول وتضم (٢٠٠) طالب في القسم الثانوي و (١٠٠) طالب في القسم الجامعي . وإن التدريس العصري هو الغالب اليوم وهناك أساتذة يدرّسون على الطراز القديم وتستخدم الحكومة الأفغانية ثلاثة مدرّسين من بلدان العرب اثنان من العراق وهما السيد عبد الجبار ومحمد الطيّبي وواحد من مصر وهو الأستاذ خياط وهم يدرّسون على الطراز الجديد ويتكلمون مع التلامذة بالعربية ويدرسون كتباً عربية وجرائد . ويميّد أكثرية أساتذة هذه المدرسة اللغة العربية . ونعجبني سهولة تكلمهم بها وعجوبة المتعلمين والتلفظ الكامل ، والطلبة الأفغانيون يلفظون أحرف الضاد والعين والهمزة بوضوح ويصعب على المرء أن يعرفهم أفغاناً حين يتكلمون العربية إلا بتلفظهم الخاص نلألف الممدودة فقط . ونرى أن أولئك التلامذة لا تعادل فرحتهم فرحة لمعرفتهم العربية .

ويوجد مسرحيات في كابول ما زالوا تحت تأثير الأدب الفرنسي ووجهه ولكن السيد رشيد اللطيفي وهو مدير سابق وكان يشتغل في السفارة الأفغانية في مصر (القاهرة) استوحى من المسرح المصري فنه وترجم روايات عربية عديدة وأكثر ما ترجمه للأستاذ توفيق الحكيم وهكذا دخل المسرح المصري على المسرح الأفغاني وأخذ يغزوه .

وجمهرة الناس تطرب اليوم للفن المنبعث عن الأدب العربي : وتستسيغه أكثر من الأدب الفرنسي ويعود ذلك لجهود الأستاذ رشيد ولتأليفه وشخصيته المحبوبة .

وهكذا نجد أفغانستان تحتل مكاناً ممتازاً في البلدان المسلمة غير العربية من حيث الآداب منذ أقدم العصور حتى اليوم

كارل شتولز

كتاب المجلس والآنيس

للمعافى بن زكرياء النهرواني

تمهيد

قبل أكثر من سبعين سنة أي في سنة ١٨٨١ م نشر وليام رايت (William Wright) كتاب الكامل للمبرد في كبريج ، ومن ذلك التاريخ أظهر الاختصاصيون اهتمامهم بهذا الكتاب ، ورغمما كان لهذا الكتاب من قيمة كبيرة في أوروبا كان له قيمة أكبر في العالم الإسلامي القديم ، وكان بعد المبرد صاحب مدرسة البصرة في عهده كما كان زميله في ذلك الوقت ثعلب صاحب مدرسة الكوفة ، إن هذا الكتاب يعد بدون مبالغة من أهم الكتب الأدبية التي أخرجت في القرن الثالث الهجري . وقد ظهر بعض الأدباء الذين أخذوا على عاتقهم انتقاد هذا الكتاب ومن جملتهم كان القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود الطارار الجريزي النهرواني^(١) ، لقد توفي المبرد في سنة ٢٨٥ وأما المعافى فقد ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٣٩٠ وهذا يعني أن المعافى توفي بعد مائة سنة تقريباً من وفاة مؤلف الكامل .

ولد المعافى في إحدى قرى كورة النهروان وكانت لمدة ما نائباً لقاضي باب الطاق الواقعة مشرق مدينة بغداد ، وكان منذ طفولته يميل إلى الشرع الإسلامي وتنقده به وأصبح فقيهاً كبيراً يشار إليه بالبنات .

(١) انظر بروكلمان (C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur) الطبعة الثانية ١ : ١٩٥ وتكملة ١ : ٣١٢ .

وكان يدعى الجريري نسبةً الى أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مؤسس المذهب الجريري ، وما يجب ذكره أن زميله في ذلك الوقت ابن النديم أتى على ذكره في كتاب الفهرست في فصل مذهب الطبري وأتباعه (١) ، ويعدد ابن النديم ثمانية عشر مؤلفاً للمعاني ، ويضيف أن المعاني نفسه ذكر له أنه صنف أكثر من خمسين مؤلفاً في الفقه والأصول والنحو وغيرها ، ومن بين الكتب التي عددها ابن النديم ما هو في اللغة وما هو في التفسير ، وينتهي الى امتداح كتاب الجليس الذي أتمدث عنه .

إن العنوان الكامل لهذا الكتاب القديم الغني الذي نعتى بنشره هو « كتاب الجليس الصالح الكافي والأنبس الناصح الشافي » والكتاب مقسم الى مائة مجلس يقرأ مجلس منها في كل اجتماع ، وكثيراً ما يبدأ المجلس بمحدث نبوي تليه شروح لغوية وتفسيرات معنوية يستخدم فيها بعض القصص التاريخي النافع أو الحكايات المسلية أو القطع الشعرية .

نسخ المخطوطة ووصف النسخة الأصلية

وقبل أن نتحدث عن مادة الكتاب نحاول أن نتعرف ، بإيجاز ، الى النسخ المختلفة للمخطوطة ثم الى مصادر الكتاب .

لقد كان للأستاذ ريتز (Hellmut Ritter) الفضل في أنه دلّني على المخطوطة الأصلية ، أعني نسخة سراي احمد ٢٣٢١/٣ في استانبول ، ولم يذكر الأستاذ بروكلمان هذه النسخة في كتابه تاريخ الأدب العربي وإنما وصفها الأستاذ ريتز في Oriens ٢ : ٢٧٩ - ٢٨٢ ، وهي في ٢٥١ ورقة ومكتوبة بخط نسخي جميل وهي المخطوطة الوحيدة التي تقدم لنا النص الكامل للكتاب ، وتاريخ نسخها يعود الى ٢٩ شوال من سنة ٦٢٩ .

(١) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ١ : ٢٣٦ ،

وأما النسخ الأخرى التي عرفت لها هذا الكتاب فليست كاملة وإنما تتضمن بعض الأجزاء أو المجالس ، ومن بينها نسخ أهميتها ترجع إلى قدمها .
وأما نسخة مرآي أحمد ، التي ستكون أساساً في نشر الكتاب ، فقوبلت على نسخ أخرى مقابلة كاملة من أولها إلى آخرها ، ويشير إلى ذلك تاريخ المقابلة الوارد في آخر الكتاب وهو ١٠ جمادى الآخرة من سنة ٦٨٤ أعني بعد ٥٥ سنة من كتابة المخطوطة ، وقد قام بالمقابلة عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الصابوني الشيباني السلامي القشوطي ^(١) الذي ظلّ قيم المكتبة المستنصرية يقداد حتى وفاته .

وعلى النسخة ختم السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح .
وهناك أشياء كثيرة مما يمكن أن نقوله في وصف هذه المخطوطة ، ومنذ كره في مقدمة الطبعة ، كما أننا سنتحقق ، عن طريق كتاب المعافي نفسه ، من كل الذي كتبه عنه مترجموه وما كتبه ابن النديم بوجه خاص .

شيوخ المعافي

وقد كان للمعافي عدد من الشيوخ ، وكتب التراجم تذكر أشهرهم ، كالغوي ويحيى بن محمد بن صاعد من المحدثين ، وتفطويه اللغوي الكوفي ، وهناك عدد آخر من شيوخه أقل شهرة من هؤلاء ، غير أننا يجب أن نضيف إلى هذه الأسماء أسماء أخرى يطلعنا عليها كتاب المجلس نفسه ، فإذا استعرضنا المجالس العشرة الأولى مثلاً وجدنا أكثر من أربعين شيخاً يروي عنهم المعافي ، ومن بين هؤلاء الأربعين لا تحتل الأسماء السابقة المكان الأول وإنما تحتل مكاناً ثانوياً .

(١) بروكلمان تكملة ٢٢ : ٢٠ .

والشيخ الذي يتردد اسمه في أكثر المرات هو اللغوي الكوفي ابن الأنباري ،
ثم اللغوي البصري ابن دريد ، يليهما الحسين الكوكبي وهو غير ذي شهرة
واسعة ^(١) ، ثم الصولي ، ثم زكرياء والد المعاني الذي نعرفه بابنه ^(٢) .
وكذلك نجد من شيوخ المعاني أبا جعفر أعني الطبري شيخ المذهب الجريري ،
ويظهر أن المعاني اتصل به منذ طفولته لأن الطبري مات سنة ٣١٠
والمعاني ولد سنة ٣٠٣ أو ٣٠٥ ، وبين الحين والحين يذكر المعاني تفسير الطبري
تحت اسم « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » (ق ١٣ (و)) .

الشعراء الذين استشهد بشعرهم

إن الشعراء الذين ذكروا المعاني في هذه المجالس العشرة الأولى واستمد
منهم شواهد على تفسيراته اللغوية يبلغون سبعين شاعراً ، وهم موزعون على
كل العصور : العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الأموي والعباسي ،
وأكثر من ذكروا المعاني وأمرؤ القيس وحاتم الطائي وجريز وذو الرمة
وأبو العتاهية وابن الرومي ، ولا يسمى المعاني الشاعر الذي يستشهد باسمه في
أغلب الأحيان وإنما يكتفي باستعمال الجملة المعروفة « وقال الشاعر » . . .
ويبدو من استعراض أسماء هؤلاء الشعراء السبعين أنه لا يفضل شاعراً من
عصر على شاعر من عصر آخر وأنه يستخدم شعراء العصور المختلفة على السواء
في الاستشهاد .

ويبدو المعاني من خلال هذه المجالس شاعراً ولكنه ليس بالشاعر الفحل ،
والآيات التي هنا أكثر عدداً من الآيات التي تطلقنا عليها كتب التراجم .

(١) بروكلمان تكملة ٣ : ١٣١٥ .

(٢) نسخة استانبول ق ١٤ (ظ) و ١٧ (و) و ٦٨ (و) و ١٤٦ (ظ) و ٢١١ (و)

و ٢٤١ (و) وغيره .

مؤلفات المعافى

ومن خلال الاشارات المقتضية في هذه المجالس نستطيع أن نضيف جديداً الى قائمة المصنفات التي ذكرها ابن النديم والتي أشرنا اليها في مطلع هذه المقالة .
إن المعافى يشير الى طائفة من كتبه الفقهية بتعابير أو يجمل عامة كقوله « فيما ألّفنا من كتب الفقه » . مثال ذلك أنه يتحدث عن المصلي خلال الصلاة هل يجب أن يقطع صلاته إذا سئل فقال « القول في هذا النحو مستقصى فيما ألّفناه من كتبنا في الفقه » (ق ٦ (و) من نسخة استانبول) ، وفي موضع آخر يضع المعافى أماننا التعبير التالي : « من كتبنا في فرائض المواريث » (ق ١٨ (و)) .

أما عن كتبه في المسائل النحوية واللغوية فالمعافى يشير الى شرحه مختصر أبي عمر الجرمي^(١) (الفهرست يسميه خطأ « شرح كتاب الحزمي ») ، كما يشير الى « رسالة مفردة مستقصاة » في تصريف فيعل شكراً متعدياً الى المفعول (شكره) أو متعدياً بحرف الجر (شكر له) .

إن هذه الكتب التي تحدثنا عنها هي الكتب التي صنفها المعافى ، غير أننا نلمح من خلال دراسة كتاب الجليس أن هنالك مجموعة كتب كان ينوي أن يصنفها في التفسير بوجه خاص ، ولما كان المعافى مسناً حين صنف كتاب الجليس - إذ كان بلغ الثمانين - فمن ترجح أنه لم يستطع أن يكتب هذه الكتب التي بشر بها أو تحدث عنها .

وهو لا يحدد أسماء هذه الكتب التي بشر بها وإنما يتحدث عنها بتعابير عامة كقوله « كتبنا في القرآن » (ق ٦ (ظ)) و « في علوم القرآن »

(١) ق ١٣ (و) وانظر معجم البلدان لياقوت نشر وستنفلد (Wuestenfeld)

(ق ٧ (و) و ٧ (ظ)) و «في علوم تنزيل القرآن وتأويله» (ق ١٣ (و)) ،
إلا أن هنالك مؤلفاً يشير إليه دائماً ويذكر اسمه الواضح هو «البيان الموجز
عن علوم القرآن المعجز» (ق ٣ (ظ) و ٤ (ظ) و ١٣ (و) و ٢١ (ظ)) ،
ومن الممكن أن نفترض أن أكثر مؤلفاته القرآنية التي يتحدث عنها بالصيغ
العامة المبهمة هي نفس كتاب اليات الموجز .

والمعاني يتكلم عن كتابين في القراءات ويتحدث عنها بلفظ «في القراءات»
أو «في علل القراءات وتفصيل وجودها» (ق ٤ (ظ)) ، ويبدو مقبولاً
أنهما لم يكتبتا كذلك ، بينما يُظن أنه كتب كتاباً «في القراءات وعلوم
القرآن على الشرح والبيان» (ق ٢٣ (و)) ، إن ابن النديم لا يتحدث إلا
عن «كتاب في تأويل القراءات» .

مادة الكتاب

لكي تعرف الى مادة الكتاب يجب أن نتوقف عند مقدمته ، وهي
مقدمة ذات أهمية بالغة لأن المؤلف يعرفنا فيها بهدف الكتاب ويصور لنا
هيكله المجلد :

«فلاج لي أن أنشي كتاباً أضمته أنواعاً من الجدل الذي يستفاد ويعتمد
عليه ومن الهزل في أثنائه ما يسر استماعه ويستراح اليه ، فإن اختلاف الأنواع
يسهل النظر فيها وينشط الوقوف عليها ويوفر الاستماع بها ، وأن أضمته علوماً
غزيرة وآداباً كثيرة وأجعله مجالس موزعة على الأيام والليالي ولم أشرط فيه
مبلغاً من العدد محصوراً ولا قدراً من المجالس محظوراً» .

ومن الغريب أننا نجد نفس الأفكار ونفس التمايز عند المبرد الذي يقول
في مطلع الباب ٤٦ من كتاب الكامل^(١) :

(١) الكامل من ٤٠٩ ، نشر رايت (Wright) .

« نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقاري »
وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجذب بشيء يسير
من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس » .

ومن مقارنة هذين النصين نلاحظ أن المؤلفين معاً يعملان شرط كتابهما
الاستراحة والاستطراف وتجنب الملل والإتعاب .

ويمضي المعافي في المقدمة فيذكر لنا أسماء مؤلفات مماثلة لكتابه فيعدد
كتاب « الجواهر » و « زاد المسافر » و « الزهرة » و « أنس الوحدة » ،
وتعجبه هذه الأسماء وتروقه على أنها عناوين كتب بينما لا يروقه ولا يعجبه
عنوان كتاب المبرد : الكامل ، فهو بعد أن يمدح بعض فضائله ينقده بعنف
ويذكر أنه لا يجد فيه شيئاً من الكمال ويقول عنه أنه لا يستحق العنوان
الذي أعطاه إياه المبرد .

ثم ينقد المعافي بشكل أكثر اعتدالاً الصولي الذي روى عنه بعض الأحاديث
ويتكلم عن كتابه « الأنواع » الذي لا نعرف عنه إلا اسمه الذي ورد في
خزانة الأدب ^(١) ، ويقول عنه إن هذا الكتاب حسن التقسيم ولكنه لا يعالج
موضوعه معالجة عميقة ، ثم يتكلم عن كتاب آخر للصولي مجهول تماماً واسمه
كتاب « النوادر » .

ثم يعود الى ذكر كتابه فيقول عنه :

« وضمنته كثيراً من محاسن الكلام وجواهره وملحه ونوادره وذكرت فيه
أصولاً من العلم أتبعها بشرح ما يتشعب منها ويتصل بها بحسب ما يحضر في
الحال ، مما يؤمن معه الملل ، ومن وقف على ما أتيت به من هذا علم أن كتابنا
أحق بأن يوصف بالكمال » .

(١) خزانة الأدب ٣ : ٥٣ .

ويوجه هذا اللوم الى « كامل » المبرد لنقص الأسانيد فيه ، وليس المعافى وحده هو الذي لاحظ على المبرد حذف الأسانيد ، وإنما هناك آخرون اتجهوا الى نفس الملاحظة كما نجد عند ياقوت في « إرشاد الأريب » حيث تطالعنا كلمة لنقطويه : « مارأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد والي العباس ابن الفرات » (١) .

ويجب القول بأن المعافى يذكر كل خبر بإسناده وبذكر تاريخ الإسناد أحياناً ، ومن النظر في هذه التواريخ نلاحظ أنها تمتد بين سنة ٣١٤ - ٣٢٩ ، وإذن فالمعافى استمد مواد كتابه مما أحفظه أو تعلمه وهو صغير بين سن التاسعة وثنى عشرة والعشرين .

وسيكون من محاولتنا أن ندرس كتاب الجليس وأن نعرف الى أي حد كان المعافى أميناً على هذا المنهج الذي تحدث عنه في المقدمة ، وليس في وسعنا أن نحلل الكتاب كله ولذلك سنكتفي بالنظر في مجلس واحد ، دون تعيين ، وليكن المجلس الرابع .

المجلس الرابع

يبدأ المجلس برواية حديث عن عائشة :

« حدثنا أحمد بن اسحق بن يهلول إملاء في يوم الاثنين خمس ليال بقين من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة قال حدثنا أبي عن أبيه عن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الشعر حكماً وإن أصدق بيت تكلم به العرب قول الشاعر : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

(١) إرشاد الأريب لشر مارجوليوت (Margoliouth) ٧ : ١٣٨ .

ثم يأخذ المعافي بالشرح فيذكر اسم الشاعر والشطر الثاني من البيت والبيت الذي يليه :

« قال القاضي أبو الفرج (بمعنى المعافي) : هذا البيت الذي حكاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قائله من الشعراء هو لليد بن ربيعة افتتح به كلمة فقال في أولها :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وبعده :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويهيّة تصفرّ منها الأنامل » .
ثم يروي عن عثمان أنه « لما سمع قوله : وكل نعيم لا محالة زائل » قال :
كذب ، نعيم أهل الجنة لا يزول » .

وعلق على رأي عثمان بقوله : « وهذا القول من عثمان يدل على أن مذهب القوم في العموم هو جاري في لغتهم على الشمول عند تجرّده واستغراق الجنس بإطلاق لفظه » .

ويقف عند كلمة « دويهيّة » الواردة في بيت لبيد فيقول : « وأما قول لبيد في البيت الآخر دويهيّة على التصغير ، فمن الناس من يقول : هو تصغير معناه التكبير ، وجعله مثبتو الأضداد في اللغة من الأضداد ، وقال بعضهم : بل هو على تصغيره وإنما أريد به أنه إذا كان التصغير منه يبلغ هذا المبلغ ويؤثر هذا الأثر فكبيره أعظم وأبلغ » .

وهذا التناقض بين شكل الكلمة « تصغير » ومعناها « تكبير » يدعو المعاني إلى الاهتمام بالمسألة وإبداء رأيه الخاص في صيغ التصغير ودلالاتها فيقول :

« ولي في هذا مذهب استخرجته بنظري وما علمت أحداً سبقني إليه ولا تقدمني فيه ولكن الله الذي يؤتي الحكمة من يشاء ينهي إليه ، وهو أن الاسم المصغر إنما قصد به الدلالة على صغر ذاته وقلة أجزائه < ا > وتعلقه بجزء

يسير في نفسه ؛ فأما الصغير في ذاته وقلة أجزائه فكالحجيرة الصغيرة التي ليست حجرة كبيرة ، وأما المتعلق بشيء يسير فكقولك : أثبتك قبيل العصر أو بُعِثَ الفجر ، فبُني < على > أن المتقدم من الزمان في قولك "قبيل" يسير قليل والمتأخر منه في قولك بُعِثَ قصير ليس بطويل ، ونحو هذا قد يدبئة وورثية في "قدام" ووراء يجري الأمر فيه من جهة الأمكنة مجراء فيما قدّمناه من باب الأزمته كما قال الشاعر :

قد يدبئة التجريب والحلم أنني أرى عَقَلات العيش قبل التجارب
فطن من قال : إن التصغير في هذا الباب تكبير لما رأى ، أن القصد من قائله الإشمار بأمر عظيم وخطب كبير جسيم ، ولو تأمل هذا الظان الأمر في هذا لبان له أن الصغير على صفوه ، فانه نتج كبيراً أو أدى إليه عظيماً في نفسه أو ضرره ، وكل واحد من الأمرين على حقيقته في نفسه وخصوصيته في جنسه ، فالدويبة هنا صغيرة جرّت أمراً كبيراً .

ويستمر المعاني على هذه الفكرة الأخيرة بقوله : « كما قال :

رُبَّ كبيرٍ حاجه صغيرٌ وفي الجورِ تفرقُ الجورُ

وقول القائل من المتحدثين :

لا تحقرنْ مُبْتَبِئاً كم جَرَّ أمراً مُصِيبٌ

ثم يمضي المعاني فينقل لنا أن بعض الذين استمعوا الى رأيه هذا انتقدوه فيورد الانتقاد ويرد عليه ويقول :

« وكان بعض من يتعاطى الأدب وبدأب في طلب المعاني واستنباط لطيفها سمع مني ما ذكرته في هذا الفصل بعد أن طعن على من قدّمت الحكاية عنه في هذا الباب وقال : كيف يكون الصغير كبيراً ؟ وإذا جاز هذا جاء منه أن يصح قول من قال : الداء هو الدواء ، والسقم هو الشفاء ، وهذا مما عبرت عن معناه بلفظي دون لفظ المتكلم به ، لأنني لم أصمد لحفظه ولأنه كان

غير بليغ في نفسه ولا مستقيم في ترتيبه ، فحكيت معناه بلفظ لم آل في
إيضاحه وتهذيبه . وقال هذا القائل : إن الذي اجتنبته في هذا غير مخالف
للقول الثاني الذي قدّمت حكايته عن قائله . فكان من جوابي لهذا القائل
أن قلت له : إن الفرق بين قولي وقول من رغبت عن قوله ونسبتي إلى
موافقته أن هذا الذي حكيت قوله يزعم أن الصغير المذكور إذا جرّ إلى
ضرر فكبيره أبلغ في الضرر منه ، وأنا ذهبت إلى أن هذا الصغير يؤثر تأثيراً
كبيراً من حيث كان جنسه يؤثر نقعاً أو ضرراً بكيفيته دون كميته ، وضربت
لهذا المخاطب مثلاً قرّبت به هذا الفصل عليه لما بعد عنه إدراكه إذ كانت
الفرق بين هذين القولين لطيفاً جداً وكان بينهما من بعض الوجوه تناسب وشبه
وتقارب ، فقلت له لما كان من الأشياء ما يكون عند قليل أجزائه منفعة
جسيمة أو مضرّة عظيمة كاللدرياق والسم بولغ في العبارة عن المنافع بها
لاشتهار هذا المعنى لقول الحباب بن المنذر : أنا جُذِّلُها المحكك وعُدِّيَقُها
المرجّب ، وفي الاخبار عن الجنس الضارّ قول لبيد :

دويبة تصفرُّ منها الأنامل :

ويلخص رأيه ورأي معارضيه بقوله :

« وجملّة الفصل بين قولي وقول من خالفته وتوهمت أني وافقته أنه عني
بالكمية وعنت بالكيفية ، وقد يكون من الأشياء ما يؤثر قليله وينتفي تأثيره
عن كبيره ، كالحرور والحباب والصرد والقيرقيس والبعض من الجنس
الواحد ، وكنوع من الحيات ذوات الأجسام اللطيفة وعظيم ضررها وقصور
الحية الكبيرة المسماة الحفقات في ذلك عنها وإن كانت أعظم خلقاً وأشنع
منظراً ، وقد قال أهل العلم بصناعة الطب إن السقمونيا يُنتفع بتناول مقدار
منه يسير ذكره ويقاربه في النفع والضرر ما قاربه من الأجزاء في المبلغ والقدر ،
وإنه إذا بلغ من الكثرة مقداراً متفاوتاً لم يضرر كبير ضرر ولم يظهر سيق

أخذه ما يظهر بتناول قليله من الأثر في تقع ولا ضرر . ولقد حدثني بعض متفهمي القضاء أن قوماً حسوا شيئاً كثيراً من السقمونيا في بعض المطاعم الحارة لرجل كانوا يعاشرونه وكان معروفاً بكثرة الأكل وإنه أكل جميعه وانصرف عنهم ، فندموا على ما كان منهم وأشفقوا على هذا الرجل وعملوا على الفحص عن أمره واستعلام خبره ، فجاءهم بتأوه ويقول لهم : أي شيء أطعمتموني ؟ فقد عرض لي قولنج يروح بي . وأما قول هذا المخاطب لي : كيف يكون الداء دواءً والسقم شفاءً ؟ فإن هذا قد يوجد معنى ويستعمل لفظاً ، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خماراً العارض عن الشراب المسكر يشفي منه شرب شيء مما تولد الخمار عنه .

ثم يتابع المعاني في هذا الطريق فيستشهد بطائفة من الشعر ، ويذكر بعض حكايات ، ويورد طائفة من الأقوال الشائعة عند العرب كقولهم : رُبَّ مخنة حدثت عن لحظة ، ورُبَّ حربٍ جُنبت من لفظة ، والقليل إلى القليل كثير ، والدَّؤد إلى الدود إبل ، وقد يملأ القدر الإثاء فينعم ، وغيره . ويكون في بعض ما يقوله : « واستقصاء هذا الباب وما يضاهيه ويتشعب منه يطول ولا يليق بهذا المجلس الزيادة عليه » .

ولا ينسى المعاني وهو يردد بعض الآيات من شعر أبي نواس والأعشى أن يذكر بعض آيات من نظمه :

« وكنت في الحداثة أنشأت كلمة مسطرة على نحو قصيدة مدرك الشيباني في عمرو النصراني ، فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان نعمته ونسبت الكلمة به :

سقم أرى أحسن عين تطرف تقوى به وللقلوب تضعف
كالسم في الأفعى بقي ويحتف نجبا به وللنفوس تتلف

ثم قلت :

دواء من أفسده بسقمه تكراره نحو حرامه مسبه
كالأفعوان يشتقى من سمه بشرب درياق كربه طعمه
وقلت أيضا من كلمة :

وشفائي بسقم مقلة ظيـ
سقمها لي شفاء دائي إذا جاـ
قد قلبي منه بأحسن قد
دت دواء إذا تصدعت إصد
وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته .

وفي نهاية المجلس يحرص المعاني على أن يذكر بعض الحكايات والقصص المسلية التي يختلط فيها النثر بالشعر والطرافة بالتأثير ، فمن ذلك الحكاية التالية :

« حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو معاذ خلف بن أحمد المؤدب عن ابن اسحق الزبدي قال حدثني رجل من العرب قال : كان بيننا وبين قوم حرب فلقوتنا فهزمنام ، فاذا فتى منهم قد صبر لنا فجعل لا يحمل على ناحية من عسكرنا إلا كشفها وهزمها ، ثم احتولناه بأرماحننا فأشفقنا عليه فعرضنا عليه الأمان فقال :

أذل الحياء وذُلُّ الماتـ . وكلاً أراه طعاماً ويلا
فإن كان لا بد من واحد فسيري الى الموت سيئراً جميلاً
ثم حملنا عليه فقتلناه فاذا هي امرأة » (١) .

* * *

لقد تحدثنا عن المجلس الرابع الذي بدأ برواية الحديث وتفسيره وانتهى الى شعر وقصص وحكايات مسلية ، والملاحظ أن المؤلف يضيع نظام البحث كما نفهمه الآن ويحكمه الاستطراد ، فتفسير كلمة في بيت من الشعر يدعوه الى الاستشهاد ببيت جديد أو الى ذكر الآيات الماثلة وهكذا .

(١) انظر الأغاني (بولاق ١٢٨٥) ٤ : ٩٢ .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن الأفكار تتوالد أحياناً الأولى من الأخرى بطريق سببي أعني أن فكرة تسبب فكرة . وفي دراسة مثل هذه الكتب الأدبية القديمة يجب أن ندع جانباً الطريقة الأوربية المعاصرة التي تجعل الموضوع مركزاً تدور حوله الحوادث أو فكرة محدّدة نتركز حولها الأفكار الثانوية الأخرى ، ذلك لأننا هنا أمام تأليف من نوع آخر ، وفي كتاب أدبي مثل كتاب الجليس يستطيع القارئ أن يجد كل الأشياء الممكنة مصفوفة بعضها إلى جانب بعض لا على طريقة التركيز والترابط الفكري .

ويستحق أن نلاحظ أن الحكايات الصغيرة التي يوردها المعافي في خلال المجلس أو في نهايته تستخدم لناحيتين : لتطويل بعض المجالس القصيرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإنهاء المجلس بأثر نفسي طيب بعد المناقشات اللغوية المتعبة ، وبصورة عامة نستطيع - بالمقارنة مع كتاب الكامل - أن نقول أن كتاب الجليس مرتب باتجاه أكثر قاعدية وقسوة من كتاب الكامل . ولا يبدو المعافي تابعاً لمدرسة لغوية معينة فهو ينتقل بين مدرسة البصرة وبين مدرسة الكوفة .

وكتاب المعافي نافع في الدراسات التاريخية لأن أكثر القصص والشعر في هذا الكتاب تعود إلى العصر الأموي وهو عصر ليس غنياً بالمصادر القديمة ، وفي هذه الناحية التاريخية يظهر الحجاج بن يوسف هو الشخصية التي يهتم بها المعافي ، ولكن يجب القول هنا أنه في كتاب الجليس ليست الحوادث التاريخية الواقعية ولا التاريخ الواقعي المحض هو الذي نجده فيه ، وإنما نجد معلومات تاريخية ، والمسألة هي : إلى أي حد نستطيع أن نعتبر هذه المعلومات التاريخية وقائع معينة متطابقة مع الحقيقة ؟ ^(١) .

(١) انظر H. Ritter في Oriens ٢ : ٢٧٩ و ٢٨٠ و J. Sauvaget .

Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman ص ٣٩ - ٤٢ .

لقد وصفنا كتاب الجليس في أول المقال بأنه كتاب أدب غني قديم ، وأظن أن هذا التعريف يجعلنا نعتقد بأن هذه الأوصاف ليست مبالغة . والغريب أن كتاب المعاني لا يذكر إلا قليلاً وبمحكم النادر في كتب الأدب العربي بينما هو لا يقلّ عن كتاب الكامل للمبرد حجماً وفائدة وطرافة ، وأخيراً نجد قصص كتاب المعاني مذكورة غالباً في «مصارع العشاق» للسراج^(١) ، ويذكر المعاني عالمك بالشعر ونحوها في «تاريخ دمشق» لابن عساكر^(٢) ، ويجري ذكره في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي^(٣) ، وفي كتب التاريخ المؤلفة على أساس السنين وفي كتب التراجم وكتب الأنساب .

والمعاني أحد رجال المذهب الجري ، وذلك يفسر لنا لم أهمل ، فكأنه انطفأ مع انطفاء المذهب ، وليس هو وحده الذي أهمل بل أهملت معه مؤلفاته الفقية وبقية كتبه الأدبية .

الدكتور ألبرت ديتريش

—••••—

-
- (١) مصارع العشاق لسراج (طبعة استانبول ١٣٠١) ص ٣١٠ و ٣١٤ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ وغيرها .
- (٢) تهذيب ابن عساكر ٢٠ : ٤ و ٤٤١ و ٦٥ : ٥ و ٢٤١ وغيرها .
- (٣) تاريخ بغداد للخطيب ٢٤٩ : ٨ و ٢٣٠ : ١٣ وغيرها .

فهرست مؤلفات
محيي الدين ابن عربي
(٥٦٠ - ٦٣٨ هـ)

بقلم
عُني بتحقيقه
كور كيس عوآر

— ٥ —

- (١١)
١٣٧ — شجرة الوجود والبحر المورود (١) .
١٣٨ — شجون المشجون وفتون المفتون (٢) .
١٣٩ — شرح تائية ابن الفارض في التصوف (٣) .
١٤٠ — شرح حديث قلمي ومسائل (٤) .
١٤١ — شرح حزب البحر (٥) .

-
- (١) دار الكتب ١ : ٣١٩ ولله كتاب « شجرة الكون » المطبوع في بولاق سنة ١٢٩٢ هـ في ٢٢ ص . ومنه نسخة خطية في الأزهر ٣ : ٥٨٧ .
(٢) الأوقاف بغداد ٩٧٤٣ - ٩٧٤٥ دار الكتب ١ : ٣٢٠ (نسختان)
الظاهرية (زيات . ص ٦٢) الفهرس التمهيدي ص ١٣٥ عمر الواعظ
(فهرس سباط ٦٥٨) برلين ٢٩٣٣ .
(٣) كشف الظنون ٢ : ٨٦ قال : انه قدر خمس كراريس .
(٤) مكتبة المشهد الرضوي ٥ : ١٠٦ الرقم ٥٧٠ .
(٥) عقود الجواهر . ص ٣٤ .

- ١٤٢ - شرح حكم الولاية^(١) .
- ١٤٣ - شرح خلع النعلين^(٢) .
- ١٤٤ - شرح رسالة الاستخارة^(٣) .
- ١٤٥ - شرح روعية الشيخ علي الكردي^(٤) .
- ١٤٦ - شرح مقامات العارفين في الاخلاص الى درجة مراتب اليقين^(٥) .
- ١٤٧ - شرح منظومة الحروف التي مطلعها : « الحمد للنور المبين الهادي »^(٦) .
- ١٤٨ - شمع الايمان^(٧) .
- ١٤٩ - شفاء الغليل وبرء العليل^(٨) . في المواعظ .
- ١٥٠ - شق الجيب ورفع حجاب الريب في إظهار أسرار الغيب^(٩) .
- ١٥١ - شمائل النبي^(١٠) .
- ١٥٢ - شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة^(١١) .
- ١٥٣ - شمس الفكر المنقذة من كلمات الجبر والقدر^(١٢) .

-
- (١) عقود الجواهر . ص ٣٤ .
 - (٢) كشف الظنون ٣ : ١٧٢ : ٤ : ٣٧ .
 - (٣) عقود الجواهر . ص ٣٤ .
 - (٤) دار الكتب ١ : ٣٢٢ .
 - (٥) الأوقاف ببغداد ١٠٠٩٢ : (١) .
 - (٦) عقود الجواهر . ص ٣٤ .
 - (٧) كشف الظنون ٤ : ٤٩ .
 - (٨) عقود الجواهر . ص ٣٤ .
 - (٩) دار الكتب ١ : ٣٢٧ (٣ نسخ) . وقد طبع ضمن « مجموعة الرسائل الالهية » لابن عربي (مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٥ هـ) . وهو خامس ما في المجموعة .
 - (١٠) عقود الجواهر . ص ٣٤ .
 - (١١) الأزهر ٣ : ٥٩٨ دار الكتب ١ : ٣٢٧ .
 - (١٢) كشف الظنون ٤ : ٨٠ .

١٥٤ - الشواهد (١)

١٥٥ - الصحف الناموسية والصحف الناموسية (٢) .

١٥٦ - الصلاة الأكبرية (٣) .

١٥٧ - الصلاة الفيضية (٤) .

١٥٨ - صلوات محي الدين ابن عربي (٥) .

١٥٩ - صيغة اليوم بمحوادث الروم (٦) .

١٦٠ - صيغة الصلاة (٧) .

١٦١ - الطب الروحاني في العالم الانساني (٨) :

١٦٢ - الطريقة (٩) .

١٦٣ - العبادة (١٠) .

(١) دار الكتب ١ : ٣٥٤ ولي الدين ١٨٣٢ (٢) فاتح ٥٣٧٦ أسد ١٣٢٣
برلين ٢٩٣٤ .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٢٧ .

(٣) برلين ٣٦٤٤ (٢) . وقد طبعت في القاهرة سنة ١٣٠٣ و ١٣١٠ هـ .

وفي دار الكتب المصرية (١ : ٣٢٣) : « شرح صلاة محي الدين بن عربي
لعبد الغني النابلسي (٣ نسخ) ، ومؤلف مجهول ، ولمحمد بن عمر بن عبيد
الجميل البغدادي . وفي الظاهرية (حبيب زيات : ص ٦٢) شرح لها للشيخ
أبي عصبه .

(٤) قولة ١ : ٢٤٩ .

(٥) دار الكتب ١ : ٣٢٩ (نسختان مختلفتان) .

(٦) برلين ٢٧٤٣ باريس ٢٦٦٩ (١) .

(٧) في دار الكتب (١ : ٣٠٨) : رسالة في شرحها ، لعبد الغني النابلسي .

(٨) برنست ٩٣٤ .

(٩) Krafft ٤٩٥ .

(١٠) المتحف المراقي ١٩٨٩ (١) (نبذة منه) برلين ٢٩٧٩ باتنا ٢ : ٤١١

الأزهر ٣ : ٦١٨ دار الكتب ١ : ٣٤٧ . (العبادة طائفة من الأولياء

عليهم منة ، تسموا بعبد الله) .

- ١٦٤ - العجالة في التوجه الأتم (١) .
- ١٦٥ - العروش (٢) .
- ١٦٦ - عظة الألباب وذخيرة الأكتساب (٣) .
- ١٦٧ - عقائد الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (٤) .
- ١٦٨ - العقد المنظوم والسر المختوم (٥) .
- ١٦٩ - علوم الحقائق وحكم الدقائق (٦) .
- ١٧٠ - العلوم من عقائد علماء الرسوم (٧) .
- ١٧١ - علوم الواهب (٨) .
- ١٧٢ - عين الأعيان (٩) .
- ١٧٣ - العين والنظر في خصوصية الخلق والبشر (١٠) .
- ١٧٤ - عيون المسائل (١١) .
- ١٧٥ - الغرباء (رسالة) (١٢) .

-
- (١) الأزمهر ٣ : ٦٠٢ : برلين ٢٩٤٦ .
 - (٢) عقود الجواهر . ص ٣٥ .
 - (٣) دار الكتب ١ : ٣٤٥ (نسختان) الفهرس التمهدي . ص ١٣٩ الظاهرية تصوف : ٣٤٨ المجلس المكي (طهران) ٦٦٣ غوطا ٣ : ١٦ باريس ١٣٤٤ .
 - (٤) كشف الظنون ٤ : ٢١٥ .
 - (٥) كشف الظنون ٤ : ٢٣٥ .
 - (٦) عقود الجواهر . ص ٣٥ .
 - (٧) إسكوريال ٤١٧ (٢) .
 - (٨) عمومية ٣٧٥ .
 - (٩) المتحف العراقي ٥٩٧ (١) وهي بخط المؤلف .
 - (١٠) كشف الظنون ٤ : ٢٨٤ .
 - (١١) دار الكتب ١ : ٣٣٣ .
 - (١٢) دار الكتب ١ : ٢٠٣ .

- ١٧٦ - الغنى في المشاهدات (١) .
- ١٧٧ - الغوامض والعوامم (٢) .
- ١٧٨ - الغوثية (٣) .
- ١٧٩ - فائدة (٤) .
- ١٨٠ - الفتوحات المدنية (٥) .
- ١٨١ - الفتوحات المصرية (٦) .
- ١٨٢ - الفرق الست الباطلة وذكر عددها (٧) .
- ١٨٣ - فضائل مشيخة عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي (٨) .
- ١٨٤ - الفناء في المشاهدة (٩) .
- ١٨٥ - فهرست مؤلفات محيي الدين ابن عربي (١٠) .
- ١٨٦ - قاعدة في معرفة التوحيد (١١) .

- (١) باتا ٢ : ٣٤٣ .
- (٢) كنف الظنون ٥ : ١٢٨ .
- (٣) الأزهر ٣ : ٥٧٥ فهرس التمهيد . ص ١٣١ الاسكندرية : تصوف .
- ص ٣٤ غوطا Pers ٥ (٧) المتحف البريطاني ٧٥٤ (٥) اسكوريال ٢ : ١٧٤ (٢)
- برمنكهام ٦٧٨ [رسالة الغوث]
- (٤) غوطا ١٢٧٨ .
- (٥) عقود الجواهر . ص ٣٥ .
- (٦) عقود الجواهر . ص ٣٥ .
- (٧) المكتب الهندي ٦٥٧ (٥) قال وهي : الرافضة ، الخارجية ، الجبرية ، القدوية ، الجهمية ، المرجئة .
- (٨) تفح الطيب ١ : ٤٠٤ .
- (٩) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن عربي (حيدرآباد ١٣٦٣ ٥ : ٩٠ ص)
- وهو أول ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : برلين ٢٩٤٥ فينة ١٩١٠ (٧)
- تذكرة النوادر ٣٦٩ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٧) جون ريلندز ١٠٦ (٩) .
- (١٠) وهو هذا الذي تبشره في نسخة من خزانة .
- (١١) دار الكتب ١ : ٣٤٠ .

- ١٨٧ - قبس الأنوار ومهجة الأسرار (١) .
- ١٨٨ - القربة وفك القربة (٢) .
- ١٨٩ - قصيدة في مناسك الحج (٣) .
- ١٩٠ - القطب والامامين والمدلجين (٤) .
- ١٩١ - القطب والنقاء (٥) .
- ١٩٢ - القول النفيس في تفليس إبليس (٦) .
- ١٩٣ - كتاب الكتب (٧) .
- ١٩٤ - كتاب النفس (٨) .
- ١٩٥ - كتاب المعارف (٩) .
- ١٩٦ - كشف الأسرار وهتك الأستار : وهو تفسير القرآن في عشرين مجلداً (١٠) .

-
- (١) لندن ١٢٢٠ .
 - (٢) طبع ضمن «مجموع الرسائل الإلهية» لابن عربي (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ، كما طبع ضمن «مجموع الرسائل» لابن عربي (حيدرآباد ١٣٦٣ هـ : ٩ ص) وهو سابق ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٣٤٠ و ٣٦٢ المجلس الملي (طهران) ٥٩٤ هـ (٢) تذكرة النواذر ٣٧٢ برلين ٢٩١٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٩) باتنا ٢ : ٣٤٣ جون ريلندز ١٠٦ (٢٧) .
 - (٣) الجزائر ١٦٢ .
 - (٤) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 - (٥) الأزهري ٣ : ٥٦٨ دار الكتب ١ : ٣١١ برلين ٢٩٦٤ فينة ١٩١٠ (٥) .
 - (٦) طبع في القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ في ٢٨ ص .
 - (٧) تذكرة النواذر ٣٥٧ .
 - (٨) كشف الظنون ٥ : ١٦٥ .
 - (٩) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 - (١٠) عقود الجواهر . ص ٣٦ . ولا نعلم ما علاقة هذا التفسير بالتفسير الذي وصفه المؤلف نفسه في الرقم ٦ من فهرسته .

- ١٩٧ - الكشف الالهي لقلب ابن عربي^(١) .
 ١٩٨ - كشف الران (منظومة في الزايرجة)^(٢) .
 ١٩٩ - كشف سر الوعد وبيان علامة الوجد^(٣) .
 ٢٠٠ - كشف الغطاء لآخوان الصفاء^(٤) .
 ٢٠١ - الكشف الكلي والعلم الانبي في علم الحروف^(٥) .
 ٢٠٢ - كشف الكنوز^(٦) .
 ٢٠٣ - الكلام في قوله تعالى : لا تدركه الأبصار^(٧) :
 ٢٠٤ - الكثر المظم من السر المعظم^(٨) في علم الحروف .
 ٢٠٥ - كوكب الفجر في شرح حزب البحر^(٩) .
 ٢٠٦ - كون الله سبق قبل أن فتق ورتق^(١٠) :
 ٢٠٧ - كيمياء السعادة لأهل الارادة^(١١) .
 ٢٠٨ - لغة الأرواح^(١٢) .

- (١) عقود الجواهر . ص ٣٥ .
 (٢) لها شرح ، لشارح مجهول ، في برنست ١٩٤٩ : وشرح آخر لملي بن سليمان السامي المالكي ؟ في الاسكندرية (حروف ١٤) .
 (٣) المتحف العراقي ١٩٧٥ (١١) وهي بخط المؤلف .
 (٤) عقود الجواهر ص ٣٥ .
 (٥) كشف الظنون د : ٢١٣ .
 (٦) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 (٧) تذكرة النوادر ٣٥١ .
 (٨) الظاهرية (حبيب زيات . ص ٤٩) .
 (٩) برنست ١٩٤٦ .
 (١٠) ولي الدين ١٨٢٠ ليدن ٢٠٣٩ بدليان (اكسفر د) ١ : ١٥٨ .
 (١١) برلين ٢٩٣٦ باريس ١٣٤٣ (١) برمنكهام ٦٧٣ دار الكتب ١ : ٣٥٠ .
 (نسختان) وعنوانه فيها « كيمياء السعادة وبلوغ الارادة في كلمتي الشهادة »
 (١٢) المتحف البريطاني ٢٣ .

- ٢٠٩ - الشَّمْعُ الأَفْقِيَّةُ (١) .
- ٢١٠ - المَعْمَةُ النُّورَانِيَّةُ (٢) .
- ٢١١ - لَوَاعِجُ الْأَصْرَارِ وَلَوَائِحُ الْأَنْوَارِ (٣) .
- ٢١٢ - مَا أَتَى بِهِ الْوَرَادُ (٤) .
- ٢١٣ - مَا لَا يُنْعَوَّلُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُتَصَوِّفِينَ (٥) .
- ٢١٤ - مَاهِيَةِ الْقَلْبِ (٦) .
- ٢١٥ - مَائَةُ حَدِيثٍ وَحَدِيثٍ قَدْسِيَّةٍ (٧) .
- ٢١٦ - الْمُبَاحَثُ الْحَلِيَّةُ (٨) .
- ٢١٧ - مُتَابَعَةُ الْقَلْبِ فِي حَضْرَةِ الْقُرْبِ (٩) .
- ٢١٨ - الْمَدْخَلُ إِلَى عِلْمِ الْحُرُوفِ (١٠) .
- ٢١٩ - الْمَدْخَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا خُذَ النَّظَرُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَايَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسَّنَةِ (١١) .
- ٢٢٠ - الْمَدْخَلُ إِلَى الْمَقْصَدِ (١٢) .

-
- (١) غوطا ٩١٤ (٢) .
 - (٢) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 - (٣) كشف الظنون ٥ : ٣٣٩ .
 - (٤) آصفية : تصوف ٥١ .
 - (٥) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
 - (٦) الأوقاف بغداد ٧٠٧١ (٤) .
 - (٧) دار الكتب ١ : ١٤٢ .
 - (٨) دار الكتب ١ : ٣٠٩ .
 - (٩) عقود الجواهر : ص ٣٧ .
 - (١٠) كشف الظنون ٥ : ٤٧٢ .
 - (١١) برلين ٢٩٦٣ المتحف البريطاني ٦٢٧ (١٨) المكتب الهندي ٦٥٨ أبيالة ٣٩٣ (٣) .
 - (١٢) كشف الظنون ٥ : ٤٧٣ .

- ٢٢١ - مرآة العارفين فيما يتميز بين العابدين (١) .
- ٢٢٢ - مرآة العاشقين ومشكاة الصادقين (٢) .
- ٢٢٣ - مرآة المماني لا إدراك العالم الإنساني (٣) .
- ٢٢٤ - مراتب التقوى (٤) .
- ٢٢٥ - مراتب علوم الوهب (٥) .
- ٢٢٦ - المسائل (٦) .
- ٢٢٧ - المشارع (٧) .
- ٢٢٨ - المشرقات المدنية في الفنون الإلهية (٨) .
- ٢٢٩ - مشكاة المعقول المقتبسة من نور المنقول (٩) .
- ٢٣٠ - المضادة في علم الظاهر والباطن (١٠) .
- ٢٣١ - مظهره عرائس الخبيات باللسان العربي (١١) .
- ٢٣٢ - معارج الألياب في كشف الأوتاد والأقطاب (١٢) .
- ٢٣٣ - المعارج القدسية (١٣) .

- (١) باتنا ٢ : ٤١٠ .
- (٢) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (٣) غرطا ١٢٦٥ - ١٢٦٦ لندن ١٢٠٥ باريس ١٦٩٩ (٣) اسكوربال ٧ : ٧ : ٧ (٢) .
- (٤) كشف الظنون ٥ : ٤٨٦ .
- (٥) باتنا ١ : ١٣٤٣ برلين ٢٩٤٦ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٨) جون ريلندز ١٠٦ : ١٠ (١٥) .
- (٦) تذكرة النوادر ٣٥٨ .
- (٧) كشف الظنون ٥ : ٤٤٥ .
- (٨) عقود الجواهر ٣٧ .
- (٩) جون ريلندز ١٠٦ : ١٧ (١٧) وفي كشف الظنون (٥ : ٥٦) : مشكاة المعقول .
- (١٠) برلين ٢٩٥٥ .
- (١١) في برلست (الرقم ١٩٤٧) شرح لها : لأحمد الجوهري الخالدي .
- (١١٣٢ - ١١٨٧) .
- (١٢) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (١٣) عقود الجواهر . ص ٣٧ .

- ٢٣٤ - معرفة أسرار تكبيرات الصلاة (١) .
 ٢٣٥ - معرفة رجال الغيب (٢) .
 ٢٣٦ - المعرفة في المسائل الاعتقادية (٣) ، وهي مسائل كلامية .
 ٢٣٧ - المشتريات (٤) ، وهي قصيدة في بيان أحوال العباد .
 ٢٣٨ - الموئل على المؤئل عليه (٥) .
 ٢٣٩ - مغناطيس القلوب ومفتاح الفيوب (٦) .
 ٢٤٠ - مفاتيح مغاليق العلوم في السر المكتوم (٧) .
 ٢٤١ - المفادات التفسيرية القطبية (٨) .
 ٢٤٢ - مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل (٩) .
 ٢٤٣ - مفتاح الجفر الجامع (١٠) .
 ٢٤٤ - مفتاح الحجة وإيضاح المحجة (١١) .
 ٢٤٥ - مفتاح دار الحقيقة (الباء) (١٢) .

- (١) تذكرة النواير ٣٦٨ .
 (٢) جون ريلندز ٣٦٩ (٤) .
 (٣) الأوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢٠) .
 (٤) دار الكتب ١ : ٣٦٠ برلين ٢٩٨٦ باريس ٣١٧١ (٣) المتحف البريطاني ١٥٢٧ (٢) اسكوريال ٢ : ٤١٧ (١) . وقد شرحها الشيخ عثمان عبد المنان ، وطبع الشرح في الأستانة سنة ١٣٠٦ هـ بعنوان « مأوى الرغائب في مجد النصائح » .
 (٥) عمومية ٣٧٥٠ .
 (٦) دار الكتب ١ : ٣٦١ .
 (٧) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 (٨) عقود الجواهر . ص ٣٦ .
 (٩) الاسكندرية ٢١١٨ د الفهرس التيميدي ١٤٥ .
 (١٠) برلين ٤٢١٣ باريس ٢٦٦٩ (١٤) (?) المتحف البريطاني ١٠٨٨٧ Or.
 [= الجفر الجامع] .
 (١١) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
 (١٢) برلين ٢٩٧٢ باريس ١٣٣٩ .

- ٢٤٦ - مفتاح المقاصد ومصباح المراسد (١) .
- ٢٤٧ - المقامات السنية المخصوصة بالسادة الصوفية (٢) .
- ٢٤٨ - المقدار في تزول الجبار (٣) .
- ٢٤٩ - المقصد الأسمى في اشارات ما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الكنايات والأسماء (٤) .
- ٢٥٠ - المقنع في الكيمياء (٥) .
- ٢٥١ - المكنيات (٦) .
- ٢٥٢ - منتخب من أسرار الفتوحات المكية (٧) .
- ٢٥٣ - منزل القطب ومقامه وحاله (٨) .
- ٢٥٤ - منزل المنازل (٩) .
- ٢٥٥ - منأ الخليفة (١٠) .
- ٢٥٦ - منهاج التراجع (١١) .
- ٢٥٧ - منهاج العارف والمتقي ومعراج السالك والمرتقي (١٢) .

- (١) جامع الباشا بالموصل (مخطوطات الموصل . ص ٧٠ الرقم ٣٩) .
- (٢) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (٣) المتحف العراقي ٥٩٧ (٦) وهي بخط المؤلف
- (٤) جون ويلندز ١٠٦ (٢٢) .
- (٥) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (٦) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (٧) دار الكتب ١ : ٣٦٤ .
- (٨) تذكرة النوادر ٣٥٤ .
- (٩) عقود الجواهر . ص ٣٧ .
- (١٠) خزانة الامام الأعظم بغداد .
- (١١) دار الكتب ١ : ٣٦٥ (تسعتان) .
- (١٢) برلين ٢٩٨٤ - ٢٩٨٥ .

- ٢٥٨ - الموازنة (١) .
 ٢٥٩ - منافع الأسماء الحسنى (٢) .
 ٢٦٠ - مولد الجسماني والروحاني (٣) .
 ٢٦١ - مولد النبي (٤) .
 ٢٦٢ - نتيجة الحق (٥) .
 ٢٦٣ - تثير اليباض في روضة الرباض (٦) .
 ٢٦٤ - النجاة من أسرار الصفات (٧) .
 ٢٦٥ - نزعة الأرواح (٨) .
 ٢٦٦ - نزعة الحق (٩) .
 ٢٦٧ - نزعة الأكوان في معرفة الإنسان (١٠) .
 ٢٦٨ - نسبة الخرقه (١١) .
 ٢٦٩ - نسبة الحق (١٢) .

- (١) برلين ٢٩٣٩ .
 (٢) عقود الجواهر ص ٣٧ .
 (٣) كشف الظنون ٦ : ٢٧٠ .
 (٤) مآتا ٢ : ٤٠٧ .
 (٥) دار الكتب ١ : ٣٦٨ (٥ نسخ) . ولعل هذا الكتاب هو الذي سيجي ذكره في الرقم ٢٦٩ .
 (٦) المتحف العراقي ٥٩٧ (٧) وهي بخط المؤلف .
 (٧) عقود الجواهر . ص ٣٨ .
 (٨) عقود الجواهر . ص ٣٨ .
 (٩) عقود الجواهر . ص ٣٨ .
 (١٠) عقود الجواهر . ص ٣٨ .
 (١١) برلين ٢٩٨١ - ٢٩٨٢ المكتب الهندي ٦٥٧ (٣) بروسه (Haraccizade)
 تصوف ٥٣ (٢) الأوقاف بغداد ٧٠٧١ (٢٦) [رسالة في سلسة نسب الخرقه الصوفية] .
 (١٢) دار الكتب ١ : ٣٧٠ المتحف البريطاني ٨٨٦ (١٥) مآتا ٢ : ٣٤٣
 جون ويلندز ١٠٦ (٨) .

- ٢٧٠ - النصائح القدسية (١) .
- ٢٧١ - نغمات الأفلاك [أو السر المكتوم] (٢) .
- ٢٧٢ - نقش الأوان من روح الأكروات (٣) .
- ٢٧٣ - نقش الروح (رسالة) (٤) .
- ٢٧٤ - النقباء (٥) .
- ٢٧٥ - نقش فصوص الحكيم (٦) : اختصره مؤلفه من كتاب «فصوص الحكم» .
- ٢٧٦ - وصف تجلّي الذات (٧) .
- ٢٧٧ - وصية حكيمة (٨) .
- ٢٧٨ - الوعاء المختوم على السر المكتوم (٩) .
- ٢٧٩ - اليقين (رسالة) (١٠) .

— انتهى —

- (١) عقود الجواهر . ص ٣٨ . ولله « الوصايا القدسية » المذكور أيضاً في
عقود الجواهر . ص ٣٨ .
- (٢) الاسكندرية : حروف ١٩ .
- (٣) الاسكندرية : تصوف ٥٠ .
- (٤) الأوقاف ببغداد ٩٧٢٤ (١) خزانة الإمام الأعظم ببغداد .
- (٥) آصفية : تصوف ٥٠ .
- (٦) تذكرة النوادر ٣٦٣ . . .
- (٧) برلين ٢٩٢٩ - ٢٩٣٠ .
- (٨) الأزمهر ٣ : ٦٥١ (نسختان) كامل الغزي (فهرس مباط ٦٥٧)
مستغنى طلس (فهرس مباط ٦٥٧) تذكرة النوادر ٣٦٢ برلين ٣٩٩٥
برمنكهام ٦٨١ . وقد طبعت في المطبعة الميرية بمكة .
- (٩) المتحف العراقي ١٧٨٥ الخزانة القادرية ببغداد دار الكتب ١ : ٣٧٦ .
- (٣ نسخ) الاسكندرية : تصوف ٥١ .
- (١٠) الأزمهر ٣ : ٦٥٢ جون ريلندز ١٠٦ (٢٩) .

تعقيب

بعد أن فرغنا من تحقيق هذه الرسالة ونشر قسمها الأول في هذه المجلة (٢٩ [١٩٥٤] ص ٣٤٥ وما بعدها) ، كتب اليها صديقنا الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، أن المشرق الاسباني اصين بلاثيوس (Asin Plalacios) ، عني بابن عربي عناية كبرى ، فنشر دراسات مختلفة ، ذكرنا إحداها وفاتنا التتويه بساتها . وهذا ما بحث به اليها من عناوين تلك الدراسات :

١ - La Psicologia del extasis en dos grandes misticos musulmanes (Algazel y Mohidin Abenarabi) en « Cultura Espanôla » pp. 209 — 235 ; Madrid 1906.

٢ - El mistico murciano Abenarabi.

نشر في أربعة أقسام ، في مجلة مجمع مدريد . Boletin de la Real Academia de la Historia : يرمن الى هذه المجلة بالأحرف (B R A H) . وهذه الأقسام الأربعة هي :

I. Autobiografia cronologica (BRAH , Vol. L XXXVII ; Madrid 1925 ; pp. 96 — 173).

II. Noticias Autobiograficas de su « Risalat al - Cods » (Vol. L XXXVII ; pp. 512 — 611).

III. Caracteres generales de su sistema. (Vol. L XXXVIII ; 1926, pp. 582 — 637).

IV. Su teologia y sistema del cosmos. (Vol. XCII ; 1928, pp. 654 - 751).

٣ - El Islam cristianizado. Estudio del « Sufismo » a traves de las obras de Abenarabi de Murcia. (Madrid, 1931).

وقد نقل هذا الكتاب الى الفرنسية فيما بعد بعنوان :

L'Islam Christianisé ; caractères de la spiritualité d'Ibn Arabi. (Traduction del Padre Barea).

٤ - De la Mystique d'Abenarabi. Les états, les demeures et les charismes. (Toulouse, 1931).

وذكر لنا صديقنا الأستاذ الدكتور مصطفى جواد ، أن ترجمة قصيرة لابن عربي ، وردت في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد » لابن الديلمي ، انتقاء الذهبي (الجزء الأول - بغداد ١٩٥١ ، ص ١٠٢ الرقم ١٩٨) .

★ ★ ★

كما أننا عثرنا أيضاً على ترجمة ابن عربي ، في مصادر أخرى مختلفة ، نذكرها فيما يأتي إتماماً للبحث :

- ١ - أرسلان (الأمير شقيب) : الحلل السُّنَدِيَّة في الأخبار والآثار الأندلسية (٣ [القاهرة ١٩٣٩] ص ٥١٤ - ٥٢٨) .
- ٢ - براون : تاريخ الأدب في إيران من التردومي الى السعدي (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٦٣٣ - ٦٣٧) . وهذا البحث يُرى في أصل الكتاب بالانكليزية :

Browne (E. G.), Literary History of Persia. (Vol. 2, Cambridge 1928 ; P. 497 - 501).

- ٣ - مبارك (الدكتور زكي) : مكانة ابن عربي في الأدب والتصوف (التصوف الاسلامي ١ [القاهرة ١٩٣٨] ص ١٦٠ - ٢٣٢ ، ٢٣٤) .

٤ - Asin Palacios: Mohidin, in « Homenaje a Menéndez y Pelayo » (Madrid, 1899 ; II, 217 - 256).

٥ - Hartmann (R.), Kleinere Schriften des Ibn al-Arabi, ed. H. S. Nyberg. (Der Islam. XIII, 1932 ; p. 132 - 134).

٦ - Huart (Cl.), A History of Arabic Literature. (London, 1903 ; p. 277 - 278).

٧ - Nicholson (Reynold A.), A Literary History of the Arabs. (London, 1923 ; p. 399 - 404).

٨ - Muhyi al-Din ibn al-Arabi, (Encyclopaedia of Religion and Ethics. Vol. VIII, p. 907 - 909).

٩ - Ibn Arabi. (Encyclopadia Britannica. 14 th ed. . Vol. 12 : p. 32).

★ ★ ★

ولسنا ندعي فيما ذكرنا في صدر «المقال» ، ثم في هذا «التعقيب» من دراسات عن ابن عربي ، أننا أحطنا بذكر كل ما ظهر منها . فلهذا يقوم غداً من يستدرك على ذلك . وما لابد من الإشارة إليه ، أن هذا الرجل قد اهتم بكتبه وآرائه جمهرة كبيرة من الباحثين فأشبعوها درساً ونقداً وعميماً . وما نشره من ذلك لمشتت في غير لغة ، ولا سباً في العربية والاسبانية والانكليزية والألمانية والفرنسية .

(بغداد)

كوركيسى عواد



مقدمة المرزوقي

لشعره الحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضممتها

- ٥ -



قال (وجزالة اللفظ واستقامته) .

كثير في كلام أئمة النقد وصناعة الانشاء والشعر ذكر وصف الجزالة في محاسن الألفاظ وقد عدّها المؤلف في محاسن المعاني أيضاً إذ قال ^(١) « فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها وانتزعوها جزلة عذبة » .

ولم أرَ منهم من أفصح عن مقومات هذا الوصف وشرائط حصولها وأنا أبذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا الوصف وأقدم ما هو منه وصف للفظ ثم أتبعه بما هو منه وصف للمعنى على سبيل الاستطراد وإكمالاً للفائدة .
فأما الجزالة فهي وصف للفظ مأخوذ من صفات الناس إذ الجزالة في الإنسان هي جودة رأيه وكمال عقله ، فيها يكون كامل الانسانية - وهي في اللفظ عرفها ابن مكرم في لسان العرب فقال : « الكلام الجزل : القوي الشديد ، واللفظ الجزل خلاف الركيك » .

وظاهر أن مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب أو المفرد لا الى مبناه وصورته فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا غرابة الكلمة .

(١) صفحة ٨٦ من النشرة .

فلتطلب حقيقة الجزالة عند أئمة النقد ونقصها من آثار كلماتهم وتعرفها من تعرف خدما الذي يقابلونها به فابن رشيق في العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفًا يظهر منه أنه أراد به التفسير قال^(١) «منهم قوم يذهبون الى نخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار :

إذا ما غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِئَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمَا

وقال^(٢) : «وشبه قومٌ أبا نواس بالناطقة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة» ووصف عبد القاهر الجزالة فقال^(٣) : «من البراعة والجزالة وشبهها مما ينبغي عن شرف النظم» .

وقال^(٤) عند ذكر النظم «أن تقتني في نظم الكلم آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس» . وذكر ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد^(٥) «الجزالة فقال عند ذكر لبيد «شعره ينطق بلسان الجزالة عن جنات الأصالة ، فلا نسمع إلا كلامًا فصيحًا ، ومعنى مبدعًا صريحًا»^(٦) . وقال في ابن هاني الأندلسي : «إلا أنه إذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق ، يؤثر في النيق»^(٧) فجعل الجزالة وصفًا للمباني أي الإلفاظ . وقال ابن الأثير في المثل السائر في المقالة الأولى في الصناعة اللفظية^(٨) : «قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي بيت فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي

(١) صفحة ٨٠ من طبعة أمين هندية بصر .

(٢) صفحة ٨٥ من تلك الطبعة .

(٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الإعجاز طبع مطبعة المنار .

(٤) صفحة ٣٩ من الكتاب المذكور .

(٥) طبع مصطفى الباي الحلبي بصر سنة ١٣٣١ في مجموعة رسائل البلاء .

(٦) صفحة ٢٤٤ من مجموعة رسائل البلاء نشر الأستاذ محمد كرد علي طبع الباي بصر سنة ١٣٣١ .

(٧) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة .

(٨) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢ .

الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب في هذين الوصفين الضدين أما الآية فقوله تعالى : « ان ذالكم كان يؤذي النبي » وأما البيت فقول أبي الطيب :
 تلذّ له المروءةُ وهي تؤذي . ومن يعشقُ يَلذّ له الفرامُ
 وقال أبو البقاء المكي في كليانه « الجزالة إذا أُطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة » اهـ . وقلتُ قد رأيتهم يقابلون الجزالة مرةً بالركة ومرةً بالركاكة ومرةً بالضعف ومرةً بالكراهة فتحصل لنا من معنى الجزالة أنها كون الألفاظ التي يأتي بها البليغ الكاتب أو الشاعر ألفاظاً متعارفة في استعمال الأدباء والبلغاء سائلةً من ركاكة المعنى ومن أثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة أو بالكلام فهذه الجزالة صفة مدح وقد مثّلوا للركاكة بقول بعضهم :

يا عَئِبَ سَيدتي أَمّا لكِ دَينُ حَتّى مَتى قَلي لَدَيكِ رَهِينُ
 فأنا الصبورُ لكل ما حَمَلَنِي وأنا الشقي البائسُ المسكينُ
 وفيه ركاكة من جهات منها كون المعنى أجوف دائراً بين جميع العامة وكون جل الألفاظ مردولاً وذكر البائس والمسكين بعد الشقي وفي الشقي ما يعني عنهما .
 ومن الركاكة قول الخوارزمي يخاطب بديع الزمان الحمداني :
 وإذا فرضتُ الشعر في مَيدانهِ لا شَكَّ أنكَ يا أخِي تَنشَقُّ (١)
 فقوله في ميدانه لا موقع له وقوله يا أخِي لا مقام له لأنّ الكلام في مقام مناظرة ومشادة .

وإذا قابلوا الجزالة بالركة فانما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة كقول أشجع :

وعلى عدوّك يا بنَ عمِ محمدٍ رَصدانِ ضوءِ الشمسِ والإِظلامُ
 فاذا تَنبَ رُعتَه وإذا غَفا سَلَّتْ عليه سِوَفُكَ الإِحلامُ

(١) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجواب بالاستانة .

ويريدون بالرقعة نسجه على متوال المحدثين في اللين والظرف وأظهر مثال جمع هذين الوصفين قول جميل :

ألا أيها الثورأم ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحبيب
قال بعض أئمة الأدب « هذا البيت أوله اعرابي في شمله وآخره مخنث
من مخنثي العتيق يتفكك » .

ألا ترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو قال أفديكم
لاعتاض عن الجزالة بالرقعة . وقد يقال الجزالة في هذا الإطلاق على الكلام
الذي يصدر في أغراض تناسبها الشدة كالرثاء والحماة وتقال الرقة على كلام
في أغراض تناسبها اللين واللطافة كالنسيب والزهرجات والملح . والجزالة في هذا
كله من صفات الألفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص
في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتشثيل وتشبيه وكناية
 وأنواع البديع . وأما المعاني الوضعية فتأتي بطبع سياق الكلام وتأتي الألفاظ
تبعاً للمعاني .

وأما استقامة اللفظ فهي وصف نسبي يعرض للفظ في حين انتظامه في الكلام
فان للألفاظ معاني موضوعة لها ولها معان أكثر استعمالها فيها ولها معان يستعملها
المتكلم فيها على وجه المجاز أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك فاستقامة اللفظ
هي وفاؤه بالمراد الذي استعمله فيه البليغ دون خطأ ولا تقصير ولا غموض .
فمن الاستقامة السلامة من التعقيد المعنوي أو السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ
إما لقصور في معرفة اللفظة وإما لغفلة كاستعمال اللفظ الدال على الأعم في حين
إرادة الأخص . وفي بعض هذا المقصد ألفت الكتب المنبهة على أخطاء الخاصة
مثل درة الغواص للعريري وقد أشار المؤلف إلى هذا بقوله الآتي « وعبار اللفظ
الطبع والرواية والاستعمال . وقوله : وهذا في مفرداته وجملته مراعى » .

(والإصابة في الوصف) المراد بالوصف معناه المصدري وهو التصوير والإيضاح قال تعالى « وتصف ألسنتهم الكذب » وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال لأن ذلك أخص من المقصود هنا . فالإصابة الوصف هي أن يصور المتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير انعكاس ولا انتقاض ، وضد إصابة الوصف الخطأ فيه كلاً وهو الغلط أو بعضاً وهو العيب أي عيب النقص في التوصيف . والشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكاتب لأن الشاعر يكثر منه تخيل المعاني عن غير مشاهدة قريباً خطأ في تخيله أشياء لم يمتد الإحاطة بصفاتها أو خفي عنه بعض ما يدق من مشاهدته إياها . وقد « عد » يشار بن برد من أعجوبات الشعراء إذ كانت مع عماء لا يكاد يخطئ في الأوصاف الدقيقة وحسبك بيته المشهور :

كَأَنَّ مُثَارَ النِّعِمْ فَوْقَ رَوْوَسْنَا وَأَسْيَاقُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ
(ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سواثر الأمثال وشوارد الأبيات)
أي ان ما استوفى من النثر والشعر هذه الأسباب الثلاثة فيه توجد الأمثال السائرة والأبيات الشاردة فكثرت في المآثر الأدبية في الجاهليين والمولدين فالأمثال موجودة في الشعر بأن يكون المصراع أو جزء منه صار مثلاً كقول أبي أخزم الطائي « شفتنة أعرفا من أخزم » وقوله :

إِنِّ بَنِي رَمَثُونِي بِاللَّحْمِ مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
وقول بشر بن أبي حازم « أحق الخيل بالركض الممار » من أبيات انظرها في مجمع الأمثال في باب الحاء . وأما ما كان بيتاً كاملاً يمثل به الأدباء فذلك لا يسمى مثلاً وإنما يسمى تمثلاً . ومعنى السائرة الفاشية بين أهل اللسان تشبه الفشو بالتنقل في أمكنة كثيرة يجامع تكرر عروضه للحواس وهو السير وفي الكشف : « ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتفسير ولا جديراً بالتداول

والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير» . وأراد بالغرابة أنه قول زائد على المعتاد لخصائص فيه دقيق المعاني وخفة اللفظ مع وفرة المعنى .

وأما شوارد الأبيات فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صحة المعنى وجزالة اللفظ وإصابة المعنى المفاد منها وأطلق المؤلف عليها وصف الشوارد لعزة هذا النوع فشبهه بالوحش الشارد في حال كونه مطلوباً مرغوباً فيه لقائمه فتلك الرغبة هي المقصود للمؤلف فاستعار لها الشوارد لهذه المناسبة تمثيلاً للحالة . وإنما جعل المؤلف قوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات هو اجتماع هذه الأسباب الثلاثة دون سبب مقارنة التشبيه ومناسبة الاستعارة لأن كثيراً من الأمثال والأبيات خلوت من التشبيه والاستعارة كمثل « لأمر ما جدع قصير أنه » وبيت امرئ القيس « قفانك من ذكرى حبيب ومنزل » البيت .

وقوله سوائر وشوارد جمع سائر وشارد لأن المثل والبيت مذكوران فجمعه على وزن فواعل إما على تأويل المثل والبيت بمعنى الكلمة وإما على وجه الشذوذ كما قالوا فوارس وعواذل .

(والمقاربة في التشبيه) عطف على قوله والإصابة في الوصف . المقاربة القرب الشديد لأن صيغة المفاعلة فيه للمبالغة إذ ليس المراد قرب كل من طرفي التشبيه من الآخر في الوصف فإن التشبيه إلحاق ناقص بكامل في وصف ، وأما ما يسمى بالتشابه كالذي في قول الصابي :

تشابه دمي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فذلك غلو في التشبيه يقرب من التشبيه المقلوب كما في قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غمرته وجه الخليفة حين يتدح

قال قدامة في نقد الشعر « فأحسن التشبيه ما أوقع بين شيئين حتى يدنى بهما

إلى حال الاتحاد » . وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه بحيث يستغني

المشبه عن ذكر وجه الشبه - وليس المراد بالمقاربة تمام المماثلة بين المشبه والمشبه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراك فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به لكون المشبه أعلى من ذلك كما قال المعري :

تنازع فيك الشبه بحر وديعة ولستُ الى ما يزعمون بمائل
إذا قيل بحرٌ فهو ملحٌ مكدرٌ وأنت نعيم الجود حلٌّ الشائل
ولستُ بنيت فوقك للدرّ معدن ولم يلف درٌّ في العيون الموائل
والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف ما كان بأداة شبه أو كان تشبيهاً بليفاً لأنه عند المحققين من نوع التشبيه لا من الاستعارة . وأما الاستعارة فسيخصها بالذكر .
(والتحام أجزاء النظم والتثامها على تخير من لذيذ الوزن) قال الجاحظ (١) :
« أجود الشعر ما رأيته متلائم الأجزاء » سهل الخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ١٠ » .

والالتحام مطاوع لحَم الثوب بلحمه إذا نسج لحمه بضم اللام وبفتححه وهي ما يثني به الحائك نسج الثوب فيجمله أعلى فوق السدى الذي هو أسفل النسج وفي الحديث الولاء لحمة كلحمه الثوب كذا في رواية فالالتحام أن تكون الكلمات بعد نظمها كالشيء الواحد وأجزاء النظم ككلماته .

والالتحام مطاوع لأنه إذا جعله متلائم الأجزاء أي متناسباً موافقاً بأن تكون كلمات النظم متناسبة بحيث لا يكون في النطق بها بعد اجتماعها ما يثقل على اللسان فإن الكلمة قد تكون في ذاتها غير ثقيلة فإذا ضمت إلى غيرها لم تتلاءم وثقلتا على اللسان فلا يستطيع تخفيفه ومثاله المشهور في بحث الفصاحة قول من لا يعرف « وليس قرب قبر حرب قبر » وقول أبي تمام :

(١) انظر السنته من ١٧١ جزء أول .

« كرم متى أمدحه أمدحه والورى منى » البيت . وإنما قلت فلا يستطيع تحقيقه احترازاً من نحو قول البحري : « أفاق صب من هوى فأيقا » .
 فان اجتماع الممزيين ثقیل یمکن التخلص من ثقله بتسهيل إحدى الممزيين .
 وقوله « على تخير من لذيذ الوزن » على فيه بمعنى مع وأراد بالوزن وزن الشعر وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح العروضيين وما فيه من أعاريض وضروب .
 وقد بين المؤلف فيما يأتي من كلامه هذا القيد بقوله « وإنما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرَب الطبع لابقاعه ويمارجه بصفائه كما يطرَب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه » . وكان المؤلف يشير إلى أمرين : أحدهما منزلة الشعر العربي باشتراط العرب الوزن فيه بحيث لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص . وثانيها الإشارة إلى تجنب الأعاريض والضروب الثقيلة والزخاف والعلّة الجائزين المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزات فيصير كالعثار في السير وقد يحصل من تجمع الكثير من ذلك ما يوشك أن يخرج الشعر من كونه شعراً إلى كونه ثراً كما في أبيات من نهمرة عبيد بن الأبرص التي أولها :

عينك دمعها سروب كأن شأنيها شبيب

وقد قرن المؤلف تخير لذيذ الوزن بالتمام الأجزاء والثامها لأنها من واحد على أن بعض العروض في بعض الموازين لا يخلو من ثقل مثل القرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح^(١) : وبعضها من بعض العروض يكون أشبه بالسجع منه بالشعر مثل عروض المبحث المكفوف^(٢) وأمثلة من استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرة وإن شئت فانظر شعر عمر بن أبي ربيعة كقوله :

(١) هو مستفعلن مفعولات مستفعلن
 (٢) كقوله : ما كان عطاؤهن
 متفعلن مفعولات مفعولن
 أعدت ضمناً

أمن آل نُعمٍ أنت غادر فبكر . غداة غدٍ أم رانح فمهجر
(ومناسبة المستعار منه للمستعار له) .

المناسبة شدة الانتساب وأراد بها قوة المشابهة وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدعها في شرط مقارنة التشبيه مع أن الاستعارة من قبيل التشبيه ٤ . لأن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وعلى ادعاء أن المستعار له من جنس المستعار منه فكانت لذلك جديرةً بتام المشابهة بين المستعار له والمستعار منه . ولما كانت الاستعارة تنفرع إلى مصرحة ومكبة وتخيلية وتمثيلية وكان منها أصلية وتبعية ومنها مرشحة ومجردة ومطلقة ٥ كانت دقة التشبيه فيها أحق وأولى من مطلق التشبيه ليحسن وقع كل قسم من هؤلاء في موقعه .
قال في دلائل الإعجاز (١) : « وأما الاستعارة فسيب ما ترى لها من المزية أنك إذا قلت رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من قرط الشجاعة وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وإذا صرحت بالتشبيه قلت رأيت رجلاً كالأسد كنت قد أثبتتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون اهـ » . ويجب أن لا يغفل الشاعر عن استعارته فينقضا . كقول أبي تمام :

تحملى ما لو حمل الدهر شطره . لفكر دهرأ أي عيشه أنقل
فانه لا جعل الدهر بمنزلة الانسان المفكر كان عليه أن لا ينقض ذلك بأن يحمل لتفكيره مدةً يسميها دهرأ فتصير مدته هي عينه

(ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما)
المشاكلة المأثلة إذ الشكل الشبيه والمثل . وأراد بالمعنى هذا الغرض المقاد بالفاظ التركيب لا المعنى الموضوع له اللفظ لأن المعنى الموضوع له لا يتصور فيه اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد أن الغرض الشريف تناسبه إلا لفاظ

الموضوعة إيمان حميدة وأن الغرض الخسيس تناسبه الألفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية أم كانت مجازية ومستعارة : فمقام المديح والرثاء مثلاً يناسبه المعاني الحميدة ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة كما في مقذعات شعر بشار بحيث لا يحسن أن يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ للمعنى « وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل للأخص والأخص والأخص وللأخص فهو البري من العيب » . وقال الجاحظ في البيان جاء رجل الى محمد ابن حرب الهلالي يقوم فقال « إن هؤلاء الفساق ما زالوا في ميس هذه الفاجرة » فقال محمد بن حرب « ما ظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي أن يكنى عن الفجور بهن » يعني حيث كني بلفظ المسيس . وقال ابن زيدون في رسالته الى الوزير أبي عامر ابن عبدوس الطامع في صحبة ولأدة خلية ابن زيدون « السائط سقوط الدباب على الشراب » . وفي ذلك قول المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ليحضر الى الأنس في روض :

أقبل أبا طالب النسا وقم وقوح الشدى علينا^(١)

ومعنى شدة اقتضائهما للقافية أن يكون غرض البيت والفاظه يستدعيان اللفظ الذي يقع قافية له استدعاءً شديداً أي قوي المناسبة حتى تجيء كلمة القافية كالموعود المنتظر فلا تكون مقتصة متكلفة الوضع في مكانها ، والقافية أراد بها هنا الكلمة الأخيرة من كل بيت وهذا مأخوذ من كلام الأخفش^(٢)

(١) أنشد في فلائد المقيان في ترجمة قائل البيت وبطليوس من بلاد الأندلس .
(٢) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الأدياء وأما القافية التي يضاف إليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من أحكام آخر البيت وهي الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول .

قال الصفدي في شرح لامية الطهراني « القافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت تزلت في مكانها متمكنة قد رسمت في قرارها بخلاف القافية الفلقة التي اجتلبت لتتام الوزن ومعنى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع وزعم بعضهم أن بعض الشعراء غير قوافي لامية الطهراني من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن الفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وقوافيها في غاية التمكن اهـ » .

وقد ذكر أبو العلاء في رسالة الغفران أن خلفاً الأحمر أنشد بمجلسه قول النمر بن تولب :

ألم يصحبي وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلاً مصفى اذا شئت وحواري بسمن

فقال لهم خلف لو قال النمر في موضع أم حصن أم حفص ما كان يقول في البيت الثاني فسكتوا فقال خلف « وحواري بسمن » يعني الفالوذج . ثم إن المعري أخذ يفرض أن تغير قافية البيتين على جميع حروف المعجم على تقدير تغيير كنية أم حصن بحرف غير النون فكانت القوافي متفاوتة في انتضاء البيت إياها ^(١) .

وقوله « حتى لا منافرة بينهما » أي بين المعنى والنظم وبين القافية وهذه المنافسة كقول أبي عدي القرشي في قصيدة دالية :

ووقيت الخوف من وارث وا ل وأبقاك سالماً رب هود

فليس لهود مناسبة بالمعنى ولكنه اجتلب لأجل الروي فهو قافية مقتضبة . وأعلى انتضاء البيت للقافية أن تكون القافية كالعود به المنتظر كما سيأتي في كلام المؤلف .

(١) صفحات « ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ » رسالة الغفران طبع أمين هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

(فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر) سماها أبواباً لأن كل واحد منها يعتبر عنوان باب من أبواب فن النقد لو شاء أحد تبويبه وقد علمت بعض ذلك .
والعمود عود عظيم يركز في الأرض تقام عليه القبة أو الخيمة وتشد بأعلاه
ويشفرع منه أديم القبة أو ثوب الخيمة إلى أن تشد بالأرض بالأوتاد على شكل
قبة أو هرم ، فما به قوام الشعر فهو كالعمود للبيت وقد وقعت هذه العبارة
للحسن الأمدي في الموازنة وساق في كلامه ما يحصله : ان عمود الشعر هو
الأسلوب الذي سلكه فحول الشعراء من عهد الجاهلية وما بعده في بلاغة
الكلام وإحسان المعاني والبعد عن التكلف وتجنب استكراء الألفاظ والمعاني
وذكر عن الجعفي أنه سئل عن طريقته وطريقة أبي تمام فقال الجعفي : « أنا
أقوم بعمود الشعر وأبو تمام كان أغوص على المعاني » فبين أنه امتاز عن
أبي تمام بإجادة الناحية اللفظية من شرائط الإجادة وأن أبا تمام امتاز بالناحية
المعنوية - فتحصل أن عمود الشعر هو مجموع شرائط الإجادة اللفظية والمعنوية
وهو الذي اعتمده المؤلف .

(ولكل باب منها معيار) المعيار اسم آلة للتعبير . والتعبير تحقيق الوزن
أو الكيل على ميزان أو مكيال محقق المقدار مضبوط لا زيادة فيه ولا نقصان
عن المقدار الذي يستعمل له يقال عيّر الدينار إذا وزنه بدينار محقق الوزن
وعبر المكيال كذلك ويقال لما به الكيل أو الوزن معيار وعيار أيضاً كما سيجي .
في عبارة المؤلف ومعنى كلامه أن لكل باب منها ضوابط ورسومها بها يكون
الشعر حسناً مقبولاً ومميزاً عن القبيح المردود عند أهل النقد مع بيان ما به إدراك
تمييز الحسن من السيئ وهذا المعيار هو كقول علماء المعاني ان تمييز النصيح من
غير النصيح به يبين في علم اللفظة أو التصريف وبعضه يدرك بالحس فظهر
أن المعيار مجموع الشروط وطريق إدراكها .

(فمعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب) أي ضابط المعنى

المشروط فيما تقدم بالشرف والصحة . يعني أن الوسيلة لتحصيل ملكة الحكم في استيفاء المعنى ما شرط فيه هي أن يعرض المعنى على العقل الصحيح أي الفكر المستقيم والفهم الثاقب وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني ولا تلبس عليه الحقائق المتعارضة ، شبه بآلة الثقب إذ تخترق الأجسام الصلبة وهو بفروض إلى الحقائق التي يعسر فهمها على غالب الأذهان . ومراده عقل الشاعر وفهمه وهو المقصود ومثله الكاتب وكذلك عقل السامع الذي هو من أهل الذوق والنقد والاختيار .

(فإذا انعطف عليه جنبنا القبول والاصطفاء متأنيناً بقرائنه خرج وافياً
والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته) .

قوله فإذا انعطف عليه تفريع على أن يعرض على العقل الصحيح أي فإذا انعطف عليه جنبنا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب إياه واصطفائه له خرج وافياً الخ وأراد بهذا إعادة التنبيه على أن المعنى لما كان غير مستغن عن كلام يقع فيه فجودة المعنى منقورة إلى جودة الكلام الذي يدل عليه .
واستعار الانعطاف الذي حقيقته الميل والمحبة إلى معنى الرضى به والموافقة أي فإذا صادف المعنى من نفس عقل الشاعر صاحب الذوق المكين وفهمه قبولاً ورضى فذلك المعنى وافٍ بشرط الكمال لنوعه وهو الصحة والشرف والجنبتان ثنية جنبه بسكون النون وفتحها . وهي الجانب أي إذا وافقه جانباً القبول والاصطفاء ووقع في نسختي تونس ونسخة الأمانة جنبنا القبول ثنية جبة . وهي ثوب له جيب وكان يلبس فوق الثياب الداخلية ونسخة جنبنا أولى وهي مماثلة لقول أبي العباس المبرد في أول باب من الكامل في اللفظ الغريب إذ قال : « فإذا انعطفت عليه جنبنا القبول غطنا على عواره الخ »^(١) . وإضافة جنبنا أو جنباً إلى القبول

والاصطفاء إضافة بيانية لان المضاف عين المضاف اليه . واستعارة جنبنا للقبول والاصطفاء لأن القبول والاصطفاء أشبهما جانبين يجيطان بالمعنى وبمضنانه . واستعارة جنبنا لهما لأنها أشبهما ما يكتسي به المعنى بهجة . وقد أشار بالقبول الى صحة المعنى لأن المعنى لا يقبل إلا اذا كان صحيحاً وكفى بالاصطفاء عن شرف المعنى لأنه اذا جاء شريفاً كان مرضياً في نفس المخترع فيما يقوئ السامع فيما يسمع والناقد فيما يختار . وقوله مستأساً بكسر النون حال من ضمير عليه ويجوز فتح النون أيضاً على معنى أن قائله اصطفاه وقبله واستأنس بما معه .

والاستئناس التأس وهو ضد الوحشة وكفى به هنا عن المماثلة لأن المماثلة تنلزم التأس بالمثل اذ الشيء بألف مثيله فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى وبين ما يقترن به من المعاني حتى يكون الكلام كله مفرغاً في قالب واحد من اكمال ولا يكون بعض معانيه مقبولا وبعضها مكروهاً وذلك ما سماه رؤبة بالقران كما سيأتي . والقرائن جمع قرينة من الاقتران وهو الاجتماع وأنت القرائن على تأويله بالكلمات بمقدار ما يقترن بالمعاني المرغوبة من معاني مكروهة يتنقض الكلام نقصاً قليلاً أو كثيراً ويوحش السامع والناقد .

(وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال) .

بمعنى اللفظ الذي وصفه آتفاً بالجزالة والاستقامة . أي وسيلة اختبار تحقق ذبك الوصفين فيه ثلاثة أشياء :

الأول : الطبع وهو طبع البليغ وذوقه ودريته الحاصلة من كثرة مزاولة الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها بين اللفظ المقبول المتحسن واللفظ المخف والمثغر فينتقي ما يستحسن ويبذ ما يستكره .

والثاني : الرواية وهي رواية ذلك اللفظ فيما يروى عن العرب وأئمة الاستقراء .
ليعلم بذلك مواقفه من الكلام الفصيح فيوضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه .
والثالث : الاستعمال ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز ويظهر العام والخاص مثلاً .
(فما سلم مما بهجته عند العرض عليها فهو المختار المستقيم) .

قال الجاحظ في البيان « ومتى شا كل اللفظ معناه وأعرب عن فدواه ؛
وكان لتلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لائقاً ؛ وخرج من مماجة الاستكراه ،
وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع » (١) .
والهجنة العيب في الكلام .

(وهذا في مفرداته وجملة مراعى لأن اللفظة تستكره بانفرادها فإذا ضامها
مالا يوافقها عادت الجملة هجينة) .

في نسختي تونس ونسخة الأمانة « وجملة » عوض جملة والمراد بها مجموع
الكلام لا الجملة في اصطلاح النحاة . قال عبد القاهر (٢) : « انك ترى الكلمة
تروك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ
الأخدع في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحي حتى رأيتهني وجهت من الإصغاء إلينا وأخذنا

فان لما لا يخفى من الحسن ثم انك تتأملها في بيت أبي تمام :

يادمر قوم من أخدعك فقد أضجبت هذا الأنام من خرقك

« فتجد لما من الثقل على النفس ومن التنبيص والتكدير أضعاف ما وجدت

لها هناك من الروح والخفة اهـ » .

ولم يبين الشيخ سبب ثقل هذه اللفظة في موضع وحسنها في الآخر لأنه
أحاله على الذوق . وزعم ابن الأثير في المثل السائر أن سبب ذلك هو إفراد

(١) ص ٢٠ جزء ٢ المطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٤٥ .

(٢) ص ٣٧ دلائل الاعجاز طبع النار .

الأخدع في بيت الحماسة وثنيته في بيت أبي تمام وهو وهم من ابن الأثير .
والحق أن سبب حسنها في بيت الحماسة مجيئها مستدعاة للكلام الذي قبلها
حيث كان ذكر وجع الليث يستدعي وجع ماحوله وهو الأخدع فكان لفظ
الأخدع فيه رشيقة ، وهو في بيت أبي تمام مقصوب للقفية إذ لا مناسبة في
استعارة الأخدع للدهر في هذا المقام إذ ليس في أحوال الدهر ما يكون
الأخدع رديفاً له كما يؤخذ من كلام الأمدى في كتاب الموازنة ^(١) .

(وعبار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز فما وجدناه صادقا في العلو
ممازجا في اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذلك صيا الإصابة فيه) .
أي أن الذكاء وحسن التمييز يدرك بهما الوصف المصيب في العلو أي في
تعلقه بالفرض الموصوف الشخص منطبقاً عليه ممازجاً له لا تقدير فيه . والسيما
بالقصر العلامة قال تعالى : « عياهم في وجوههم » .

(تونس)

محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

—•••••—

(١) ص ١٠٥ - ١٠٧ طبع الجواب . . .

رسالة حي بن يقظان

مع شرمها روى سينا

- ٥ -

(وأما القرن الطائر فانما يسوق له التكذيب بما لا يرى ويصور لديه نحن
العبادة للمطبوع والمصنوع .)

التفسير : قوله وأما القرن الطائر أي المتخيلة ، فانما يسوق له التكذيب
[ورقة ١٠٥ ألف] بما لا يرى ، أي من شأن هذه القوة إنكار الأمور العقلية ،
والتكذيب بها إذ كان إدراكها الإدراك الجسمي وليس لها الإدراك العقلي
بوجه . ويصور إليه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع أي أنها وإن اعترفت وأذعنت
لإثبات مبدأ أول وخالق معبود فانما تثبته^(١) على أنه جسم طبيعي كفلك أو
كوكب أو جسم صناعي كصنم أو تمثال على ما يعتقد عبدة الأصنام والكواكب .
(ويساود سر الإنسان أن لا نشأة أخرى ولا عاقبة للسوء^(٢) والحسن
ولا قيوم على الملوكوت .)

أي يلقي في بال الإنسان أنه لا بقاء للنفس وعيثر عنه بالنشأة الأخرى من
قوله تعالى « وتتشكّم فيما لا تعلمون » (سورة ٥٦ ، آية ٦١) أي تبقى النفس
منكم مفارقة للمادة مجردة عن البدن وأنه لا ثواب لها ولا عقاب عليها . ولا قيوم
على الملوكوت أي هي منكرة للمدير للعالم الذي هو قائم بذاته الغير المحتاج^(٣)
إلى موضوع في قوامه وإلى سبب في وجوده .

(١) هـ و ص : ثبت .

(٢) ب : سوء .

(٣) ب : الغير محتاج .

(وان من القرنين لطوائف تصادفت^(١) حدود إقليم وراء إقليمكم^(٢))
يسمره الملائكة الأرضية تهتدي^(٣) بهدى الملائكة . قد نزعنا عن غواية المردة ،
وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين فأولئك إذا خالطوا الناس لم يمشوا بهم
ولا يضلّوهم ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم وهي جنّ وحت .

التفسير : قوله وان من القرنين لطوائف وجماعات قد تهذبت وتأديت بضرب
من التهذيب والتأديب . فهي لذلك كأنها مجاورة لإقليم وراء إقليمهم تعمدها
الملائكة الأرضية ، يشبهها في السيرة الفاضلة بالملائكة واهتدائها بهديها واستئناسها
بسيرها ، ونعني بالملائكة كل جوهر عظمي مدرك للمعقول [ورقة ١٠٥ ب]
والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية .

قد نزعنا عن غواية المردة أي هذه الطوائف كفت عن أعمال المردة من
جنسها أو ترفعت عن غوايتها وجهالتها .

وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين أي انقادت لمشورة العقل وتخلقت بالأخلاق
المرضية ، أما السيارة فبارتداعها عن الانعماك في الأفعال الغضبية والشهوانية ،
وأما الطيارة فباتباعها أحكام العقل وقلة منازعتها ومجاذبتها إياه ومعارضتها له
في قضاياءه . فأولئك إذا خالطوا الناس لم يمشوا بهم ، ولا يضلّوهم أي ان
الغضبية والشهوانية المنتصفة بالصفة المذكورة وان لم يخل عن مصاحبة العقل
فانها لا تحمل الناس على العبث والفساد ، ولا تقسيرهم على ركوب الهوى
واتباع الضلال .

ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم أي ان التخلية المنتصفة بالصفة المذكورة مظهرة
للعقل ومعارضة على أفعاله ، والامتثال بمعقولانه إذ قد علم أن الحاجة داعية
أي أفعال الحس والتخيّل في بلوغ الناس إلى كمالها كما عرفت في موضعه .

(١) و ص : تصاقب ، (أي تواجبه) . (٢) ب : إقليم .

(٣) و ص : تهتدي .

قال وهي جن وحن ، أراد بالحن القوة المتعلقة بالحس^(١) من الحواس والتخيل وغير ذلك ، ومما جئنا لاجتنانها واستئثارها عن المعقولات من قوله تعالى : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا » (سورة ٧١ ، آية ٧٦) . أي لما تفرق حال الموجودات من جهة الحس والخيال .

وأراد بالحن الغضبية والشهوانية اللتين هما شعبنا القوة النزوعية وعبر عن النزاع بالحن وكان القوة الشوقية حائنة ونازعة إلى استجلاب اللذيد واستدفاع المؤذي . (ومن حصل وراء هذا الاقليم وغل في أقاليم الملايكة فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه^(٢) الملائكة الأرضيون ، وإذا هم^(٣) طبقتان ، طبقة ذات اليمين وهي علامة وامارة . وطبقة تجاذبها^(٤) مؤتمرة [ورقة ١٠٦ الف] عمالة . والطبقتان تهبطان الى إقليم الجن والإنس هويًا ويمنعان في السماء رقبًا ، ويقال إن الحفظة والكرام الكاتين^(٥) منها وات القاعد مرصد اليمين من الامارة واليه الاملاء والقاعد مرصد اليسار من العمالة واليه الكتاب .)

قال المفسر : قوله ومن حصل وراء هذا الاقليم أي إقليم القرنين ، وغل اي دخل في أقاليم الملئكة أي اذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدئية انتهيت في النظر الى رتبة الملئكة وذلك انك اذا تجاوزت معرفة الادراك الحسي انتهيت الى معرفة الادراك العقلي ، فالمتصل منها بالأرض إقليم يسكنه الملئكة الأرضيون ، أراد به النفوس الناطقة الانسانية ، فان أول مراتب الملئكة التي معنا^(٦) ، والمراد بها المدركة للمعقول رتبة الملايكة الأرضية التي هي النفوس الناطقة الانسانية .

(١) هكذا في ب و ك ، أما في نسخة المهربي : المتعلقة من الحواس والتخيل ؛

وفي نسخة صبري : المتعلقة من الحواس والتخيل ، فافهم .

(٢) م و س : سكنه . (٣) أيضاً : وأذم .

(٤) أيضاً : تجاذبها ذات الميرة وهي مؤتمرة النح .

(٥) هكذا في ك ، وفي ب : وكرام الكاتين ، وفي م و س : الحفظة

والكرام والكاتين . (٦) ب : معنا .

واذا هم طبقتان : أراد به القوة العلمية والعملية .

وقوله طبقة ذات اليمين أي العملية وجعلها ذات الميمنة لشرفها وفضلها على العملية ولذلك جعلها علامة إمارة أي حاكمة وباعثة وداعية ، وطبقة شمالها أي العملية وجعلها مؤتمرة علامة أي متصرفة على حكم الأمر والحاكم والباعث والداعي الذي هو العقل العملي .

والطبقتان تهيطان هوبا رقيًا : أشار بذلك إلى جهتي نظرهما ، فانهما تارة تقبلان على العقل الفعال تستمدان^(١) منه ، وتارة تقبلان على البدن ، مدبرتين^(٢) له . وقد شرح ذكر هاتين الجهتين للنفس في موضعه .

قوله^(٣) ان الحفظة وكرام الكائين منها ، أراد بالحفظة وكرام الكائين قوة العقل من قوله تبارك وتعالى كرامًا كائين يعلمون ما تفعلون (سورة ٨٢ آية ١٠ - ١٢) وذلك لأن العقل هو الذي يحفظ الانسان ويدبر أمره ، وهو الذي يستب في ذاته ما يدركه من المأمولات .
وإن القاعد الاملاء أي ان العملية منها هي المبدأ للهداية لا يجب أن يعمل^(٤) به .

وإن القاعد مرصد الكتاب أي ان العملية منها هي التي تتوجه [ورقة ١٠٦ ب] وتنقضي^(٥) الأمر فتعمل ما يجب أن يعمل به .
(ومن وُجد له الى غيور هذا الاقليم سبيل خاص الى ما وراء السماء خلوصاً فلنمخ ذرية الخلق الاقدم ولم ملك واحد مطاع .)

التفسير : قوله ومن وُجد الاقليم أي إقليم الملايكة الأرضية .

(١) هكذا في ك أيضاً ، ولكن في هـ و ص : مستمدتين منه

(٢) هكذا في ك و هـ و ص ، وأما ب ففيه : مدبرتان له

(٣) ب : قوله تبارك وتعالى .

(٤) هكذا في ك أيضاً ، وأما هـ و ص ففيهما : ان يعلم

(٥) ك توجه وننتهي الى الأمر .

خلص ... خلوصاً أي ان المرتبة الانسانية والعقل الخاص بها متاخمة ومحاورة
للمرتبة ^(١) السماوية والعقول الخاصة بها .

فلمح الأقدم أراد به التقدم الذاتي ^(٢) أي الامور ^(٣) المفارقة للمادة
المتقدمة بالذات والعلية ^(٤) على الامور الملازمة لها .

قوله ولم ملك ... مطاع أي ان هذه المفارقات تنتهي في مراتبها الى مبدأ
أول واجب الوجود ، الكل فايض عنه وموجود به ومسبب له فهو الملك الغني
عنهم وهم المملوكون المتصرفون اليه . وأراد بالمطاع تصرف الكل على تديره ^(٥)
وبوجب قضايه ومشيئته ، لا معدل لشيء منه عن القضاء الأول والمشيئة الأولى .
(فأول حدوده معمور بخدم لملكهم الأعظم عاكفين على العمل المقرب اليه
زلفى ، وهم أمة يرة لا تجيب داعية نهم أو قوم أو غلبة أو ظلم أو حسد أو
كل قد وكلوا بعمارة ربض هذه المملكة ووقفوا عليه وهم حاضرة فتمدنون ،
يأودون الى قصور مشيئة وأبنية سرية تنوف في عجن طينها ^(٦) حتى انهم
مالا يشاكل طينة إقليسكم ، وإنه لأجلد من ^(٧) الزجاج والياقوت وسائر
ما تنبسط أمد بلائه ، وقد أُملي لهؤلاء في أعمارهم وأنشي في آجالهم فلا يحرمون
دون أبعد الآماد ووتيرتهم عمارة الربض طائعين .)

التفسير : قوله وأول الأعظم أشار به [ورقة ١٠٧ الف] الى النفوس
الفلكية ^(٨) المباشرة لتحريك .

المراد بقوله عاكفين على العمل المودي الى الاستكمال ، المراد بقوله المقرب

(١) مكذبا في ك أيضاً ، وفي م و ص : للرتبة .

(٢ و ٣) مكذبا في ك أيضاً ، وغير موجود في م و ص .

(٤) مكذبا في ك أيضاً ، وفي م و ص : العلة .

(٥) ك : مديره ، ومعنى « المطاع » غير موجود في م و ص .

(٦) ب : تنوف - وم و ص : طينتها .

(٧) ب لأجلد الزجاج .

(٨) ك : الملكية

اليه زلنى ، فان القرب منه هو الاستكمال^(١) ، وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص به .

قوله وهم أمة يورة أي منزهة عن القوى الأرضية الفضيضة منها والشهوانية ، ولذلك قال : لا تحيب داعية غلبة ، وهي أمور متعلقة بالقوة الفضيضة .
قد وكلوا بعمارة عليه أي هي قوى مقرونة بالأجسام السماوية ولهذا عبّر عن هذا المعنى بقوله وهم حاضرة متمدنون أي ليست هي بمجردة عن المادة بكل التجريد بل ملابسة لها ضرباً من الملابسة .

وقوله بأوون مشيدة أي هي صور الأفلاك التي شبهها^(٢) في علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة والأبقية السرية .

وأشار بقوله تنوف اقليمكم أي ان المادة الفلكية مباينة للمادة الأرضية وكأنها نوع آخر من المادة . مباينتها لها انها لا يفارق صورها ولا يتعاقب عليها الصور كما يتعاقب على المادة الأرضية ، وانها لا تتغير تغيراً تستعد به لقبول صورة أخرى ، وإلى هذا أشار بقوله وانه لأجله من الزجاج أمد بلاه فهذه صفة موادها ، ثم عدل إلى وصف هذه الصور التي تلابسها فقال : وقد أملى الاماد أي ان هذه لا تبطل ولا تفسد كما تبطل سائر القوى المقارنة للنوع الآخر من المادة . قوله وتيرتهم طابعين أي لا يتغيرون عما هم بصدده من عمارة الربض أي ملازمة الفلك والطاعة إلى التجريبك للفلك .

(وبعد هؤلاء أمة أشد اختلاطاً بملكهم مصرعون على خدمة المجلس بالمشول وقد صبنوا فلم يبدلوا^(٣) بالاعتمال [ورقة ١٠٧ ب] واستخلصوا للقربى ومكنوا من رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله ومتموا بالنظر إلى وجه الملك وصلاً لا فصال فيه .)

(١) ك : فان التقرب منه كما هو الاستكمال .

(٢) هي صور الأفلاك وشبهها . (٣) م و ص : فلم يتبدلوا .

قوله : وبعد بملكهم أشار به الى العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً ،
وعنى بقوله أشد اختلاطاً بملكهم ما عليه هذه العقول من الاختصاص بالمتعلقات
دون غيرها من التجريبات كما عليه النفوس^(١) المتقدم ذكرها .

مصريون بالثول أي من شأنهم الثبات على الأحوال التي هم عليها
لا يلحقهم عنها تغير ولا انتقال .

قد صينوا بالاعتمال أي هم منزهون عن مباشرة الأعمال والتصرف
في المواد .

واستخلصوا حوله أي هم أقرب الخلائق رتبة من الأول الحق فالقربى^(٢)
بالحقيقة لم دون غيرهم ، وأشار الى أن وجه قريهم وجه دنو مرتبتهم هو تمكنهم
من رموق المجلس الأعلى ، والحقوف حوله بحيث لا يتقدمهم في ذلك خليفة ،
وأشار الى دوام هذه الحالة لهم وإحالة تغيرهم عما هم عليه بقوله وتمعروا بالنظر
الى وجه الملك وصلاً لا فصلاً عليه .

(وحلوا تجلية اللطف في السمائل والحسن والثقابة^(٣) في الأذهان والثقافة^(٤))
في الاشارات والرواء الباهر والحسن الرائع والهيئة البالغة ، وضرب لكل واحد
منهم حد محدد ومقام معلوم ودرجة مفروضة لا ينزع فيها ولا يشارك ، فكل
من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفسه بالقصور^(٥) دونه .

التفسير : شرع بهذا الكلام في ذكر جمل من أوصافهم التي خصوا بها وهي
اللطف في السمائل إذ لا شيء من^(٦) السمائل ألطف حقيقة من سمائلهم التي هي
المتعلقات .

والثقابة في الأذهان ، إذ لا شيء من الأذهان أنقب من أذهانهم التي بها

(٢) م و ص : والقربة .

(٤) أيضاً : النهاية .

(٦) أيضاً : في .

(١) ب : من النفوس .

(٣) أيضاً : الثقافة .

(٥) أيضاً : المقصور .

أدر كوا [ورقة ١٠٨ ألف] حقيقة الأول التي تمعجز عن إدراكها بالحقيقة كل ما سواه ، والثقافة في الاشارات إذ لا شيء أبلغ منها ^(١) في هذا بالحقيقة [٠٠٠٠] إلى الإدراك بل كل مدرك فانما يدرك بهداية هذه العقول إياه .
والرواء الباهر إذ لا شيء من الرواء المنسوب إلى كل ذي رواء أبهر العقول من روايتهم ، وذلك أشدة تواريتهم وغلبتها على أذهان المحاولين لتحقيقها ومعرفة كنهها .
والحسن الرابع إذ لا شيء أروع حسناً من حسنهم الذي هو الحسن الحقيقي الذاتي دون الحسن العرضي المستعار الذي لغيرهم ، والهيئة البالغة إذ لا شيء من الهيئات أكمل من هيئاتهم التي لا يشوبها نقص ولا يشبهها قصور .

وضرب لكل واحد منهم حد ٠٠٠٠ مفروضة ، أشار بذلك إلى مراتبتهم في مراتبتهم وحصول كل واحد منهم في رتبة ما مفروضة من جهة القرب والبعد من الأول ، لا ينازع واحد واحد منهم ^(٢) الآخر في تلك الرتبة ، ولا يشاركه ^(٣) فيها ، إذ كان لكل واحد منهم ^(٤) محل من القرب ليس للآخر ذلك المحل بل إما دونه وإما فوقه ، وعلى ذلك دلّ بقوله فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفسه بالقصور دونه .

(وأدناهم منزلة من الملك واحد هو أبوم وهم أولاده وحفدته وعنه يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه .)

التفسير : أشار بقوله هذا إلى أول رتبة من رتبهم بقوله وأدناهم منزلة ٠٠٠٠ وحفدته ، وأراد به العقل الفعال الذي هو المبدع الأول وسماه أباً لهم ، إذ كان وجود ما سواه عن الأول بتوسطه عنه ^(٥) يصدر اليهم خطاب الملك ومرسومه أي كما أن وجودهم بتوسط وجوده ، كذلك ما أكرموا به من الفيض الإلهي والتعقل الأولي إنما يصل اليهم بتوسطه ومن جهته .

(١) ب : منهم . (٢) هـ و ص : واحد منهم .
(٣) هـ و ص : ولا يشاركها . (٤) غير موجود في هـ و ص .
(٥) ك : وعنه .

(ومن غرائب أحوالهم أن طبائهم لا تستعجل بهم إلى الشيب والهرم وإن الوالد منهم وإن كان أقدم مدة فهو أصبغ منه وأشب بهجة [ورقة ١٠٨ ب] وكلهم مسخرون قد كفوا الاكتنان^(١) ، والمملك أبعدهم في ذلك مذهبا .)
التفسير : قوله ومن والهرم ، أشار به إلى إحالة وصول تأثير الزمان إليهم وامتناع حقوق النقصان بهم الحاصل لغيرهم من تطاول المواد ، وذلك لبراءتهم عن ملابسة المادة والقوى الجسمانية التي تبرهن أنها لا محالة متناهية وإنها تمتنع عليها غير التناهي .

وإن الوالد بهجة أشار به إلى القِدَم^(٢) الذاتي ، ألا أنه رمز به القِدَم الزماني ، فقال إن الذي هو أقدم في الذات فهو أصبغ^(٣) وأتم قوة ، وسبوغ قوته أنه سبب وعلة لما دونه ، وما دونه معلول له ، « وأشب بهجة » أشار به إلى علو درجته على درجة من دونه .

وكلهم مسخرون قد كفوا الاكتنان ، أشار إلى تجرد ماهياتهم عن هيولى بدني ، وبالجملة عن عنصر جسماني ، وقيامهم بذواتهم من غير حاجة إلى موضوع . وقوله والمملك أبعدهم في ذلك مذهبا أي انهم وإن كانوا موصوفين بما يوصف به الأول الحق من التجرد والاستغناء عن الموضوع ، فالمملك منفرد من هذا الوصف بخاصية لا يشاركونه فيها إذ هم وإن حصلوا على هذا الوصف فلم يختصا ما بأمر جسماني . وهو أن كل واحد منهم هو المحرك على سبيل التشويق لفلان ما من الأفلاك ومنسوب إلى تدبير واحد منها باستمداد خاص نفسه منه دون غيره . فله نسبة إلى موضوع خاص ، فأما الملك الذي هو الأول الحق فيميزه^(٤) عن ذلك من كل وجه ، فلهذا يوصف بأنه قيوم ، وهو المبالغة في القيام بالذات ولا يوصف واحد منهم بذلك فهو في القيام بالذات ، والاستغناء عن الموضوع في أعلى الدرجات وبحيث لا يشاركه فيه غيره .

(١) م و ص : الاكتفاء . (٢) أيضا : التقدم .

(٣) ب : اشبع (في الموضعين) . (٤) م و ص : فيميز تمييزا .

(ومن عزاء الى عرق فقد زل) ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى ،
 فقد^(١) فات قدر الوصف^(٢) وحادث عن سبيله [ورقة ١٠٩ الف] الأمثال
 فلا يطيع^(٣) ضاربها له لا يتباين^(٤) أعضاء بل كله لحسنه وجهه^(٥) ولجوده يده .
 يعني حسنه آثار كل حسن ويحق كرمه تقاسمة كل كرم .

التفسير : شرع من هاهنا في ذكر نيز من صفات الأول الحق فقال من
 نسبة الى أصل من مادة أو صورة أو فاعل أو غاية أو والد فقد زاع عن الحق ،
 إذ هو لا ينسب الى شيء من هذه الأصول لأنه ليس بركب فيكون له
 مادة أو صورة ، ولا مسبب^(٤) فيكون له فاعل أو غاية لكنه البسيط الذي
 لا تركيب فيه بوجه ، والسبب الأول لا مسبب قبله في الوجود ، والموجود الأول
 الذي لا أولية لغيره متقدماً^(٥) عليه .

قال : ومن ضمن ... هذى أي من حاول أن يفي بكنه ما هو عليه من
 الصفات فقد حاول باطلاً ، وكيف صفاته التي هي مختصة به لا يشاركه فيها
 غيره ، الا بالاسم ، ولا صفة من صفاته لغيره فيها شركة بوجه وإنما نعرف على
 وجه يظن أنه يشاركه فيها غيره ، فلا يكون معرفة^(٦) لا أحد على كنهها .
 قال : وقد فات قدر الوصف أي ليس في وسع أحد من واصفيه أن يصفه
 بكنه ما هو عليه لما تقدم من السبب في ذلك . قال : وحادث ... له أي
 ومع ذلك فإن واصفه إن رام وصفه لا على سبيل الطمع في إيراد كنهه على
 وجهه بل على سبيل ما يقرب من الأمثال ، وطريق تشبيه الشيء بالشيء لم
 يطع المعاني إذ كان لا مشابه في شيء من المعاني ولا مماثل فكيف يمثل بما لا يماثله
 أو يشبه ما لا يشبه فكأن في نفس المعاني منعاً للمشبه عن تشبيهه بشيء منها أو
 ضرب المثل له بواحد منها .

(١) و من : قد فات . (٢) أيضاً : الوصف عن وصفه .

(٣) أيضاً : فلا يستطيع ضاربها إلا يتباين . (٤) أيضاً : سبب .

(٥) أيضاً : متقدم . (٦) ب : معروفة .

قال : لا يتباين . . . يد أي لا ينقسم على وجه من وجوه القسمة لا المعنوية منها ولا المقدارية فلا مباينة لجزء من ذاته جزءاً آخر كما يتباين الصورة المادة ولا كما يتباين العضو العضو ، وكيف ولا احتمال فيه لضرب من ضروب القسمة لا بالقوة ولا بالفعل ، ولا أجزاء له معنوية [ورقة ١٠٩ ب] أو مقدارية لا بالقوة ولا بالفعل ، بل هو واحد من كل جهة ، فان اعتبر ذاته كان الكمال المطلق الذي هو الحسن المطلق والجمال المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى الوجه ، وان اعتبر كونه سبباً لوجود ما يوجد عنه وكون وجوده فايضاً عنه الموجودات كان الجواد المطلق بالجود المطلق الذي ينسب من الأعضاء الى اليد وليس فيه غير هذين الاعتبارين وهو فيهما على أتم ما يصح أن يكون حتى لا حسن ولا جمال أحسن من حسنه وكماله ولا جود ولا كرم أتم من جوده وكرمه . وعلى هذا دلّ بقوله يعني حسنه كل كرم .

ومتى هم بتأمله أحد من الحافين حول بساطه غضّ الدهش طرفه قآب حسيراً يكاد بصره يختطف قبل النظر اليه ، وكان حسنه حجاب حسنه ، وكان ظهوره سبب بطونه ، وكان تجميله سبب خفائه كالشمس لو انتقلت يسيراً لاستعلت كثيراً ، فلما أمنت في التجلي احتجبت وكان نورها حجاب نورها .)
التفسير : قوله ومتى هم . . . طرفه أي ان شيئاً من المقربين الذين هم العقول القمالة لا يستطيع يعقله الذي عبّر عنه بالتأمل على حاف ما هو عليه من الاكتناء والتحقيق في الذات بل يكون الإدراك الذي له يقصر عن إدراكه لذاته قصوراً كبيراً فانه لا يشاركه في إدراكه لذاته أحد من المدركين له فالحال لا إدراكه على الوجه البالغ ممنوع يدهشه عنه ، ومغضوض الطرف دونه آيب عن غرضه خائياً حسيراً كالانحياز للطرف منه لما يبهره من نور الحق فكأنه يلب بصره دون النظر اليه ، ثم ذكر أن السبب في ذلك قوط نوره وحسنه الذي يجاوز الحد الذي [. . . .] فلما تجاوز هذا الحد صار كأن الحجاب والمانع عن إدراكه هو ذاته ، وعلى هذا دلّ بقوله :

فكان حسنه [ورقة ١١٠ ألف] حجاب حسنه وكان ظهوره سبب خفايه
 أي لما كان متجاوز الحد في الظهور فصار لا يدرك لظهوره فصار ظهوره سبب
 خفايه أي ان المدرك ومثل ذلك بالشمس من الأمور المحسوسة فانه وإن كان
 السبب في ظهور ما يظهر للعين وإدراك ما يدرك من المبصرات لما يحصل من وقوع
 نورها عليها الى حد ما فانها لما بلغت الغاية في النورانية وتجاوزت الحد عجزت
 الأبصار عن تأملها وإدراكها لا يهرها وبطلها من نورها ، فكانها لو انتقلت
 أي سترت من نورها قليلاً لا دركت فلما تجلّت في الغاية واختصت بكمال النور
 صار ذلك التجلي البالغ والنور الباهر حجابين دون الناظرين اليها والقاصدين لا إدراكها .
 (وان هذا الملك لمطلع على ذويه بهاء ، لا يضمن عليهم بلقائه ، وانما يوتون
 من دنو قواهم دون ملاحظته وإنه لسمع فياض واسع البر ، غمر النائل ، رحب
 الفناء ، عام العطاء .)

أي لا ينبغي أن يظن أن سبب قصور القاصر عن إدراكه هو ضن منه
 أو يجن عليه بتعقله ^(١) وإدراكه بل السبب في ذلك ما جبل عليه بحسب رتبته
 في الوجود الممكن من العجز وتقصان القوة التي بها يستطيع ذلك التعقل ،
 وذلك الإدراك عن قوة الممكن له ذلك .

وانه لسمع فياض أي من اعتبر حاله من حيث نسبته الى الموجودات الفايضة
 عنه وجوده فايضا عنه ذرات سائر الموجودات ، وهذا هو المعنى الذي عبّر عنه
 بقوله سمح فياض ، ووجد فايضا عنه أيضا عامة أحوالها وأوضاعها [.....]
 معطيا الأمور الضرورية لها في وجودها ، والضرورية لها في حسن أحوالها
 وصالح أمورها ، وهو المعنى الذي عبّر عنه بقوله واسع البر ، غمر النائل ،
 رحب الفناء ، عام العطاء .

(١) ب : بتعلقه .

(من شاهد أثراً من جماله ووقف عليه لحظه لا يلقته عنه [ورقة ١١٠ ب]
 غمرةً ولربما هاجر اليه أفراد من الناس فيتلقاهم من فواضله ما يتوهم ، ويشعرهم
 احتقار متاع إقبيهم ، هذا فاذا اتقلبوا من عنده اتقلبوا وهم مكرهون ^(١)) .
 (قال الشيخ حي بن يقظان ولولا تقربي ^(٢) اليه بمخاطبتك منيها إياك لكان
 لي به شغلٌ عنك وإن شئت اتبعني اليه .)
 التفسير : ذكر حال من يدرك منه ما من شأنه أن يدركه ، وفي وسعه
 أن يبلغه من أثر جماله أي من جماله وكاله في ذاته وما يصدر عن جماله وكاله
 من الأثر .

فقال : من شاهد غمرةً أي يلحقه من الالتذاذ به ما لا يلحقه من
 الالتذاذ بغيره مما يدركه بحسب فضل ما يدرك من جماله على ما يدرك من
 جمال غيره فبصير بحيث لا يؤثر عليه لذة أخرى ولا يعدل بنظره الى غيره ،
 فكأنه يجعل نظره ولحظه وقفاً عليه لا يصرفه عنه ما أمكنه .
 اللهم إلا أن يكون هذا المدرك ممنوعاً بأمور أخرى تصده عن مراده من
 ذلك أو مكنوفاً بقوى أخرى تتجاذبه وتصرفه عن مراده فيكون حينئذ مكرهاً
 على الإصرار عنه ممنوعاً من الإقبال بالكلية عليه ، وذلك هي الحالة التي
 يستعاض بالله منها ومن شرها وغايلتها .

تمت بحمد الله ومنه والصلاة على محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه .

محمد المدرع بصغير حسن المصومي

صغ

(١) ايضاً : مكرهون .

(٢) : تقربي ..

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره ^(١)

— ٣ —

العراق عامة والموصل خاصة في القرن الرابع

شهد العراق - والموصل بصورة خاصة - في هذا القرن أحداثاً سياسية جساماً كان لها أثرها القوي في الحياة العلمية والحياة العقلية .

في هذا القرن أخذت الأقاليم الإسلامية تتفصل سياسياً عن بغداد ، ومن هذه الأقاليم إقليم الموصل الذي أخذ يسير في طلب شبه استقلال سياسي منذ أواخر القرن الماضي (سنة ٨٢٩٢) حين ابتداء حكم بني حمدان .

وقد حاول الخليفة المقتدر القضاء على هذا الانفصال لخطر هذا الإقليم وقربه من دار الخلافة ولأنه الثغر القوي الذي تسير منه الجيوش الإسلامية إلى غزو الروم ، فمن امتلكه وسيطر عليه وضع يده على قلعة عظيمة من قلاع الإسلام .

أحسن الخليفة المقتدر أن سلطان الحمدانيين أخذ يقوى وأن نفوذهم ابتداءً يطفى على ذلك الإقليم فأرسل في سنة ٨٣٠١ القائد يمتاً الطولوني لعزل أبي الهيثم عبد الله ابن حمدان عن إمارة الموصل فعزله ثم تعاقب على الموصل بعد أمد قصير أمراء

(١) هذا هو الفصل الثالث من البحث الذي نشر الفصل الأول منه في الجزء الرابع من المجلد الرابع والشرين (ص ٥٣٧ - ٥٤٦) والفصل الثاني منه في الجزء الأول من المجلد الخامس والشرين (ص ٧٨ - ٨٦) .

كثيرون منهم بين هذا ، ومنهم فحرير الخادم الصغير وغيرهما ؛ كل هذا وأبو الهيجاء ابن حمدان مرابط يراقب الحالة عن كذب ويتنبأ بعمل حاكم ولو كان في ذلك إعلان لثورة على الخلافة ، ولكن الخليفة أحس بذلك فأرسل جيشاً قوياً بقيادة مؤنس المطهر وجماعة من القواد ، فعلم أبو الهيجاء أن لا قبل له بذلك الجيش فاستأمن وأخذ مؤنس إلى الخليفة فعفا عنه وخلع عليه ثم عاد فولاه الموصل في سنة ٣٠٢ هـ ورجع إليها وبقي فيها كأنه مخلص للخليفة إلى سنة ٣٠٧ فزاله الخليفة المقدر بالعباس بن محمد بن اسحق بن كنداج ، وظل أبو الهيجاء بعيداً عن إمارته إلى سنة ٣١٤ هـ ثم أعاده الخليفة إليها بعد سعي طويل ، ومنذ ذلك الحين حتى أواخر هذا القرن ظل بنو حمدان يتقلبون عليها : ففي سنة ٣١٤ هـ هاجر أبو الهيجاء إلى بغداد وترك أمر البلد إلى ابنه الحسن - الذي عرف فيما بعد - بناصر الدولة . وفي سنة ٣١٨ هـ وقعت فتنة بين بني حمدان : ناصر الدولة وعمه سعيد ونصر نغلباه على أمره واستوليا على المدينة . وفي سنة ٣٢٣ هـ وقعت فتنة ثانية فقتل ناصر الدولة فيها عمه أبا العلاء وغضب الخليفة الراضي بالله لهذا الأمر فأمر وزيره ابن مقلة أن يتوجه بجيش إلى الموصل فساد إليها فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة فأقام ابن مقلة بها يبيح ما لها ، ولما طال مقام الوزير بها احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير ، وكان يتوب عن أبيه ببغداد فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه زاعماً أن الأمور بالحضرة قد اختلت فساد الوزير واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طياب ، وما كرد الديلمي الساجي ، وانحدر إلى بغداد فرحل ناصر الدولة إلى الموصل وما لبث أن استعادها بعد قتال ثم كتب إلى الخليفة الراضي بالله يسترضيه فرضي عنه ، ثم عاد ثانية فأغضب الخليفة لأنه أخر عنه المال المفروض عليه فساد الخليفة نفسه إلى الموصل على رأس جيش يريد التخلص من ناصر الدولة والاعية وكان معه علي قيادة ذلك الجيش القائد يحكم ، والقاضي أبو الحسين عمر بن محمد .

ولما بلغ الخليفة وجنته تكريت بدا له أن يبقى فيها ويبحث بالجند وعلى رأسهم
 يحكم ، فذهب هذا وقاتل ناصراً وهزمه . وبينما كان الخليفة غائباً عن بغداد
 إذا هو بابن رائق الثائر يختل العاصمة ويبلغ الخبر الراضي فيرجع إليها ويصالح
 ناصر الدولة على خمسمائة ألف درهم كل سنة . ويظل ناصر الدولة الأمير المطاع
 في الموصل حتى سنة ٣٤٦ ، وفيها يبلغه أن معز الدولة بن بويه توجه يريد
 الموصل فأرسل إليه ناصر الدولة يضمن الإقليم بألف درهم وحمل إليه مثلها
 فرجع معز الدولة ، ودخلت سنة ٣٤٧ هـ فلم يرسل ناصر الدولة الضمانة فتجهز
 معز الدولة ومعه وزيره المهلب إلى الموصل ففر ناصر الدولة عنها واستولى عليها
 معز الدولة وكان من عادة ناصر الدولة إذا فر أن يستصحب معه جميع
 الكتاب والوكلاء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان في البلد وربما جعلهم
 في قلاع كقلعة أردمشت المعروفة بقلعة (كواشي) أيضاً وقلعة الزعفران ^(١) .
 وضاعت الأقوات على معز الدولة فلحق بناصر الدولة وهو بنصيبين واستخلف على
 الموصل صبيكتكين الحاجب الكبير . ولما بلغ ناصر الدولة ذلك فر إلى أخيه
 سيف الدولة في حلب وأقام عنده فسعى سيف الدولة في الصلح بينه وبين
 معز الدولة ورجع ناصر الدولة إلى الموصل في أوائل سنة ٣٤٨ هـ وهدأت الأمور
 خمس سنوات كان ناصر الدولة خلالها يؤدي الضمان إلى معز الدولة . وفي سنة
 ٣٥٣ هـ تخلف عن إرسال المال لأنه طلب من معز الدولة أن يجعل أمر الموصل
 من بعده إلى ابنه أبي تغلب فضل الله المعروف بالفضنفر فلم يجبه إلى ذلك فرفض
 إرسال المال إليه . ولما شعر ناصر الدولة بزعحف معز الدولة إليه ترك الموصل
 كماداته إلى نصيبين فدخل معز الدولة الموصل وأمر عليها أبا العلاء صاعد بن
 ثابت وسار إلى نصيبين فلما قاربها فارقها ناصر الدولة فرجع معز الدولة إلى الموصل
 لأنه علم أن أبا تغلب قصد الموصل وحارب من بها وأحرق السفن في ساحلها

(١) انظر ابن خلكان ١٤٠/٦ وابن الأثير في هذه السنة .

وكاد أن يتغلب عليها ، ولكنه فشل فتجمع ناصر الدولة وأولاده جميعاً وساروا نحو الموصل يعضدون أبا تغلب فدخلوها وأسروا أبا العلاء وسبكتكين ويكتوزون وملكوا كل مال معز الدولة وسلاحه . لهذا قصد معز الدولة الموصل ففر بنو حمدان لما سمعوا بعودته واستمرت هذه الفتنة طويلاً حتى صالح أبو تغلب معز الدولة على مال قرره وعلى أن يطلق ما عنده من الأسرى ففعل .

منذ ذلك الحين استراح بنو حمدان من قتال الغرباء ولكنهم جعلوا بأسهم بينهم فيجالدوا بالسيوف وأذاقوا البلاد شتى ألوان العنف والظلم ففي سنة ٣٥٦ هـ قبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وحبسه في قلعة أردمشت مدعياً أن أباه أصيب بفساد في عقله لنصيحة على أبي تغلب وإخوته ومخالفته إياهم فيما يرون من ضرر السياسة ، وكان فيما خالفهم فيه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عنهم أولاد ناصر الدولة على قصد العراق وأخذهم من بختيار بن معز الدولة فنهام وحذروهم سوء المغبة وقال لهم فيما قال : « إن معز الدولة خلف أموالاً يستظهر بها ابنه فاصبروا حتى يتفرق ما عنده ثم اقصدوه وقرتقوا الأموال في الجند والناس فإنكم تظفرون به لا محالة » فلم يعجب هذا القول أبا تغلب فأراد حبس أبيه فاختلف هو وإخوته في ذلك ثم تغلب عليهم لأنه كان أدهام فوثب على أبيه ورفعهم إلى القلعة ووكل به من يقوم بخدمته وحاجاته ، وانتشر أمر بني حمدان من يومئذ وصار قصارهم حفظ ما في أيديهم ، ثم انعكس الأمر فأصبح أبو تغلب محتاجاً إلى مدارة بختيار بن معز الدولة البوبهي وتعهد له بأن يدفع إليه ضمان البلاد ألفي ألف ومائتي ألف درهم . وفي سنة ٣٥٨ هـ عظم الخلاف بين أولاد ناصر الدولة الحمداني ولقي الناس منهم بلاء عظيماً واضطربت البلاد وهاجر العلماء والأغنياء وأرباب الصناعات وانتهى الأمر بأن استقر أبو تغلب في الموصل وما إليها وهدأت الحالة فحوّأ من خمس سنوات . وفي سنة ٣٦٣ هـ سار بختيار البوبهي إلى الموصل فاضطرب أمرها ثم دخلها وطارده أهلها وأخذ أموالهم ، ولكن أبا تغلب

عاد فجمع جموعه وطرده ففرح الموصليون بذلك فرحاً عظيماً كما يحدثنا بذلك ابن الأثير الموصلية .

وفي سنة ٣٦٧ هـ قصد بختيار الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة الذي حسن له أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب لكثرة أموالها ونخامة مركزها وأطمعه فيها وإنها خير من الشام وأسهل وأقرب فرضي بختيار أن يقدم على ذلك وصار نحوها وكان عضد الدولة البويهى قد حلفه ألا يقصدها فنكث يمينه وقصدها ، ولما بلغ الخبر أبا تغلب كتب الى بختيار يعاتبه وطلب منه أن يقبض له على أخيه حمدان وأنه اذا فعل ذلك صار هو معه الى قتال عضد الدولة فبلغ ذلك عضد الدولة فسار الى الموصل وتملكها ، وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان يفعل غيره ، أي انه يقيم يسيراً ثم يضطر الى المصالحة ويعود ، وكان عضد الدولة حازماً اذا قصد بلداً لم يتركه حتى يوطئ أمره فيه فانه لما قصد الموصل حمل معه اليها الميرة والعلوفات ومن يعرف أعمالها ويقوم بكتاباتها واخراجها فأقام بالموصل مطمئناً وأرسل السرايا في طلب الأمان . وهكذا انتهى ملك الحمدانيين في الموصل^(١) ، وانتقلت الى بني بويه بولون عليها من يريدون حتى استقر أمرها في أواخر هذا القرن الى بني عقيل .

هذه نظرة مجملة الى تاريخ العراق أو بالأحرى الموصل في قرن لم تهدأ فيه الفتن بل كانت تتوالى عليه فتخربت المساجد وتهدمت الأسواق والقصور والدور ، وكسدت سوق العلم والعلماء فلم ينبغ في تلك الديار نابغ ، وهجرها كثير من رجال الأدب الى غيرها طلباً للهدوء والسكينة أو الرزق والطمانينة ، وليست الحروب وحدها هي التي أفضت مضاجع الموصليين وجيرانهم بل كانت الفتن الأهلية جد كثيرة أيضاً وقتلاً خلّت سنة من ثورات داخلية أو حروب أهلية ، ففي سنة ٣٠٧ كانت فتنة عظيمة في الموصل وأعمالها بين باعة الطعام وبين

(١) انظر عاقبة الأمر الى تغلب في تاريخ ابن خلكان ١ / ١٤١ .

الأساكفة ، واحترق سوق الأساكفة بما فيه ، وكان الوالي خارجاً عن المدينة فسمع بالفتنة فوجع ليوقع بالناثرين فحصنوا البلد وسدوا الدروب فلما رأى ذلك ترك قتالهم وأمر من التف حولاً من أعراب البادية أن يخربوا الأعمال ويقطعوا الطرقات ويهدموا الجسور فخربت المدينة وبلغ الخبر إلى الخليفة فعزله وكان الأمير آتئذ العباس بن محمد فاستبدل به عبد الله بن محمد وكان هذا عفيفاً صارماً فاستقرت الأمور به .

وفي سنة ٣٠٧ أيضاً ثارت فتنة كبرى بين الموصلين وبين الأكراد الماردانية ولم تهدأ حتى أرسل الخليفة الحاجب محمد بن نصر فهدأها وأعاد السكنة إلى ربوعها . وفي سنة ٣١٠ وقعت الفتنة الكبرى بين أصحاب الطعام ثانية وبين أهل المربعة والبرزازين فظهر أصحاب الطعام على أولئك أول النهار ثم انضم الأساكفة إلى أهل المربعة والبرزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم ، وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة كما يحدثنا ابن الأثير واجتراً أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وركب أمير الموصل ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني ليسكن الناس فلم يسكنوا ولا كفشوا ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم .

ومن يقرأ تاريخ الموصل في هذه الفترة يعثر على أخبار كثيرة من مثل هذه الفتن ، والحق أن أمراء بني حمدان ما كانوا يهتمون بغير الحروب والقتال وجمع الأموال أما العمران والسهر على راحة الناس فشيء لا يعرفونه . وقد ظلت الموصل على هذه الفوضى في حياتها العلمية والعقلية والعمرانية حتى انتقل أمرها إلى بني بويه ، ففي سنة ٣٧٩ يحدثنا ابن الأثير أن عضد الدولة شرع في عمارة بغداد والعراق عامة وكانت قد خربت بشوالي الفتن فعمر مساجدها وأسواقها وأدر الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والفقراء ، وألزم أصحاب

البيوت الخراب بعمارتها وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والنسابين والأطباء والحساب والمهندسين ، وأذن لوزيره النصراني نصر بن هرون في عمارة البيع وإطلاق الأموال لفقرائهم ^(١) .

أما بعد فقد ظهر لك مما سبق أن العراق عامة والموصل خاصة مرت في تلك الفترة بآونة مزعجة مضطربة سواء في السياسة أو في العمران ، غير أن النشاط العلمي القوي الذي كان في القرنين السابقين قد استمر بالقوة الدافعة التي كان يسببها بعض الاستمرار ، وسرى في الفصل الآتي بعض مظاهر هذا الاستمرار وتعدد نواحيه .

* * *

سيرته

أبو الفتح عثمان بن كنسي ^(٢) أو جنسي الرومي الموصلية الأزدي مولاهم ، ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة ^(٣) ولا نعلم من أولئك شيئاً سوى ما يذكره الرواة

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٣٧٩ .

(٢) يقول طاش كبري في مفتاح السعادة ج ١ ص ١١٤ إنه معرب (كنسي) ، وكذلك نقل السيوطي في بنية الوعاة ص ٣٢٣ . أما الأستاذ بروكلمان فيقول في كتابه (تاريخ الآداب العربية) G. A. L ١ / ١٢٥ « وربما كان هذا الاسم آتياً من Gennaïos كغنايوس » أي أنه تعريب لهذا الاسم اليوناني وقد حدثني المستشرق الأستاذ ماسينيون أنه ربما كان من (جينارپوس) يعني الشهر الأول من العام الميلادي لأنهم كانوا يسمون بهذا الشهر أيضاً . ولعل أصح الأقوال هو ما ذهب إليه الأستاذ بروكلمان لأن ذلك أقرب إلى التسمية والواقع .

(٣) اختلفت العلماء في سنة ميلاد ابن جني ؛ فأكثر القدماء يذهبون إلى أنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة ومن هؤلاء ابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٤ ، وياقوت في الإرشاد ج ٥ ص ١٥ ؛ وطاش كبري في مفتاح السعادة ج ١ ص ١١٤ ، والسيوطي في البنية ص ٣٢٢ . ويقول بروكلمان في تاريخه الآداب العربية G. A. L « إنه ولد قبل الثلاثمائة » وفي دائرة المعارف الإسلامية -

عنه من أن أباه كان مولى رومياً (يونانياً) لسليمان بن قهد بن أحمد الأزدي الموصلية^(١) وأنه نشأ في الموصل فتعلم بها ما شاء الله أن يتعلم ثم رحل الى بغداد فقرأ العربية على الإمام أبي علي الفارسي^(٢) (٣٧٢ -) ولازم وقرأ القراءات والأدب واللغة على جماعة منهم أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ^(٣) وأبو اسحق ابراهيم بن أحمد القرميسيني^(٤) وأبو الحسين علي بن عمر بن عمرو^(٥) وبندار بن عبد الحميد الكرخي^(٦) وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن^(٧)

- « إنه ولد قبل الثلاثمائة » ويقول الأستاذ بروبستر Pröbster ناشر (كتاب المقتضب) في المقدمة ص ١٠ « إنه ولد حوالي سنة ٣٢٠ » . . . وهذا الرأي هو الذي اختاره زميلنا الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ص ٢ . نحن أمام أقوال كثيرة وليس من شك في أن اضطراب المؤرخين المحدثين آت من اضطراب القدماء ، ولعل خير ما يقال في هذا الصدد انه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة لأنه يذكر في الخصائص ج ١ ص ٧٦ « أن أبا علي الفارسي شيخه قد أنشده بالموصل سنة احدى وأربعين . . . » وعن المعقول جداً أن يكون في أواسط العقد الثاني على الأقل حين استأجعه الى شيخه في هذه السن .
- (١) انظر ياقوت في الارشاد ج ٥ ص ١٥ ، وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٣١٣ . ويقول القصاص ص ٣ [ولم أعثر له على خبر في كتب التراجم] .
- (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .
- (٣) انظر الخصائص ج ١ ص ٣٦٥ و ص ٣٩٢ من الطبعة الأولى فقد ذكر ابن جني ثمة نقولاً عن أبي صالح هذا . ولم أعثر على ترجمته وأغلب ظني أنه أحد الأعراب الذين كانوا يندون الى الحاضرة . وقد روى أبو صالح هذا كثيراً عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (- ٣١٠) واخباره في ابن خلكان ٥٠٣/١ وبغية الوعاة ص ٥٠ .
- (٤) نقل عنه في الخصائص ج ١ ص ٧٧ ، وذكره ياقوت ج ٥ ص ٢٠ ولم أعثر على اخباره .
- (٥) ذكره في الخصائص ج ١ ص ٨٢ ولم أعثر على شيء من خبره .
- (٦) ذكره في الخصائص ج ١ ص ٢٥٣ وترجمته في البغية ص ٢٠٨ وطبقات الزيدى المحفوظة في خزائنا ص ٢٦ ورقم ١٤٨ .
- (٧) أكثر من النقل عنه في الخصائص ج ١ الطبعة الأولى وخصوصاً في الصحاف ١٠٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٤١٠ وذكره في سر الصناعة ص ١١٣ وترجمته في المنتظم ٢٦١/٦ .

وابو بكر جعفر بن محمد بن الحجاج^(١) وابو سهل احمد بن محمد القطان^(٢)
وابو العباس احمد بن محمد الموصللي الأخفش الثاني^(٣) وابو النرج الاصفهاني علي
ابن الحسين^(٤) وابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم^(٥) وابو بكر محمد بن هرون
الروماني^(٦) ، ومحمد بن سلمة^(٧) . كما أخذ عن جماعة من الأعراب الفضلاء
الذين كانوا يردون الحواضر ومنهم محمد بن العساف الشجري الجوتي التبيعي^(٨)
قد استشهد ابن جني بأقواله ومسائله في كثير من كتبه^(٩) ومنهم ابو صالح
السيل الذي تقدم الحديث عنه .

رحل ابن جني في سبيل العلم الى أنحاء العراق والشام وغيرهما من الأمصار
كما ذكر ذلك في الإجازة التي كتبها عام ٣٨٤ لأبي عبد الله الحسين بن احمد
ابن نصر والتي حفظ لنا نصها ياقوت في معجمه^(١٠) .

وليس من شك في أن أكثر شيوخه تأثيراً فيه هو أبو علي الفارسي إمام
وقته في النحو والصرف^(١١) والرواة يذكرون قصة عن اتصال ابن جني بأبي علي
وشدة تعلقه به ، ولا أرى بأساً من إيرادها لما فيها من الطرافة ، فقد ذكرها
ياقوت فقال : « وحدثت أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة وكان السبب

-
- (١) الخصائص ج ١٠ ص ٣٩١ ولم أشر على شيء بعينه .
(٢) المبيع ص ٢٦ وسر الصناعة ص ٢٦٣ ، ٤٤٧ ، وانظر ترجمته في المتظم ٣ / ٧ .
(٣) بفة الوعاة ص ١٧٠ .
(٤) سر الصناعة ص ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٥) نقل عنه في سر الصناعة ص ١٧٦ ، ٦٣٥ .
(٦) نقل عنه في الخصائص ١ / ٧٧ .
(٧) انظر سر صناعة الأعراب ، المطبوع ١ / ٣٥ .
(٨) انظر الخصائص ج ١ ص ٧٨ .
(٩) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٠ .
(١٠) انظر معجم ياقوت ج ٥ ص ٢٥ .
(١١) انظر ابن خلكان ج ١ ص ١٣١ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٣٨ .

في صحبته له أن أبا علي اجتاز بالموصل قرء بالمسجد الجامع وأبو النخع في حلقة يقرئ النحر وهو شاب فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها فقال له أبو علي زببت قبل أن تحصرم، فسأل عنه فقيل له هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف^(١) .

قلت ويظهر أن هذه القصة مصنوعة لأن ابن خلكان يرويها على شكل آخر فيقول : « ٠٠٠ قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للاطلاع بالموصل فاجتاز بها شيخه فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه فقال له : تزببت وأنت حصرم ٠٠ »^(٢) .

فالفرق بين الروایتين يظهر من وجوه ثلاثة :

أولاً — أن الرواية الأولى تذكر أن ابن جني ما كان يعرف أبا علي لما وقف عليه في الحلقة ، والرواية الثانية تنص على أنه كان يعرفه بل تزعم أنه كان تلميذه .

ثانياً — يذكر ابن جني في كتابه الخصائص « ٠٠ إن أبا علي أنشده بالموصل سنة إحدى وأربعين ٠٠٠ »^(٣) ونحن نعرف أن ابن جني قد ولد حول الثلاثين والثلاثمائة فعلى هذا يكون عمر ابن جني في سنة إحدى وأربعين نحواً من اثنتي عشرة سنة وما يجوز عقل أن انساناً له هذا العمر يرحل في طلب العلم قبل هذه السن من الموصل إلى بغداد ثم يعود ويحلق حلقة يعلم فيها النحر ؟ ؟

ثالثاً — جرت عادة المترجمين من المقدمة أن يختلقوا قصصاً وروايات يملأون بها أسباب انصراف هذا الطالب الى ذاك العالم أو هذا الشيخ

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٥ .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ .

(٣) الخصائص ج ١ ص ٧٦ .

فيخترعون لذلك قصصاً ينسجها خيالهم . . وأنا أرى أن قصة الزيبب والحصرم من هذا النوع ابتدعه مترجمو ابن جني ليبينوا سبب تعلق ابن جني بالصرف أولاً وبشيخه أبي علي ثانياً .

وكان أبو الفتح شديد الحب لشيخه كثير الإعجاب به مكبراً علمه وعقله ، وقد ذكر الرواة أن ابن جني ثقة حجة فيما ينقل عن شيخه الفارسي (١) وقد أكثر من النقل عنه في كتبه ، وإن ما بقي بأيدينا من كتبه مثل سر الصناعة ، والخصائص ، والمبهج ، والمختب ، والتنبيه ، كله مملوء بأقوال أبي علي والاعتماد عليها ، والترجيح بها .

ويظهر أن أبا الفتح كان شديد التعلق بشيخه فقد كان ينتقل معه أينما رحل ويحل حيث حل ؛ ذكر في الخصائص أن أبا علي حدثه بالشام عن مسألة . . . (٢) وذكر الذهبي : أنه لزم أبا علي وتبعه في أسفاره حتى أحكم العربية (٣) فكانا لا يسكadan يفترقان ، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، وفي بلاط عضد الدولة البويه في إيرات .

وكان ابن جني أيضاً شديد الإيمان بسعة علم شيخه ، وقوة قياسه ومعرفته بالتصريف خاصة ، حتى إن التصريف أصبح همه لا يمتاقه عنه ولد ولا يمارضه فيه متبجح وهماك بعض كلامه يؤيد ما قلناه :

« . . . سألتني أبو علي رحمه الله عن ألف (يا) من قوله فيما أنشده أبو زيد :

تخيرن نحن عند الناس منكم إذا الداعي المشوب قال يالاً

فقال أمقلبة هي ؟ قلت لا ، لأنها في حرف أعني (يا) قال بل هي منقلبة

فامتدلت على ذلك فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووُقف عليها فصارت

(١) الزهر ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ١٣٧ .

(٣) تاريخ الذهبي حواشي سنة ٣٩٢ .

اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزلة (قال) والالف في موضع العين وهي مجهولة فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو ، وهذا أجل ما قاله والله هو وعليه رحمة ، فما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنه ، فكأنه إنما كان مخلوقاً له ، وكيف لا يكون كذلك وقد أقام علي هذه الطريقة مع جملة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة رائجة علاه ماقطة عنه كلفه ، وجعله هممه وسدومه لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه منبجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً ، إلا بأخرة ، وقد حظت من أنفاله ، وألقى عصا ترحاله ، ثم إني - ولا أقول إلا حقاً - لا أعجب من نفسي في وقتي هذا كيف تطوع لي بمسألة ؟ أم كيف تطمح بي الى انتزاع علة ؟ مع ما الحال عليه من علق الوقت وأشجائه ، وتداؤبه وخلج أشطانه ، ولولا معازرة الخاطر واعتناقه ، ومصادرة الفكر واكتداره ، لكنت عن هذا الشأن بمزمل وبأمر سواه علي شغل (١) .

فنحن نرى في هذا النص شدة إعجاب ابن جني بشيخه كما نرى فيه إعجابه بنفسه من انصرافه الى هذا النوع من البحث مع ما هو عليه من سوء الحال ، ولكن ذلك كله أنه من تشجيع شيخه الذي كان يرى فيه المثل الأعلى للعالم المدقق والباحث المنصرف الى طلب العلم والحقيقة .

ويظهر أن انصراف ابن جني الى أبي علي وشدة تعلقه به واتقاعه اليه لم يؤثر في علمه ومذهبه في البحث فحسب ، ولكن أثر أيضاً في عقيدته ومذهبه في الدين ، فان أبا علي كان من كبار شيوخ المعتزلة ، قال ياقوت في ترجمة محمد بن طوس القصري : « . . . هو من النحويين المعتزلة أحد تلاميذ أبي علي الفارسي » (٢) .

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ الطبعة الأولى .

(٢) انظر بنية الوعاة ص ٥٠ ، وابن خلكان ج ١ ص ١٣٢ ، والمزهر ج ١ ص ٦ .

وهذه العبارة تدلنا على أن التحويين المعتزلة كان يتعلمون على أبي علي أو بعبارة أصح تدلنا من وراء سطورها على أن أبا علي كان يحب إلى تلاميذه في النحو والعربية مذهب الاعتزال لما له من صلة بالمنطق (١) .

ثم إنا حين ندقق في آثار ابن جني نرى فيها روح الاعتزال قوية فانه في كل آثاره وبخاصة في (الخصائص) و (سر الصناعة) يكثر من تحكيم العقل وطرده الأقبسة وحب المجادلة التي تماشي العقل والمنطق ، وإنك لتقرأ الفصول الأولى من كتابه (الخصائص) فيجئ إليك أنك تقرأ أبحاثاً منطقية لا مناقشات صرفية أو لغوية ، انظر مثلاً إلى قوله في (سر الصناعة) حيث الكلام على الصفات :

« ... وليس يريد التحويون بالصفة ما يريد المتكلمون بها من نحو القدرة والعلم والسكون والحركة لأن هذه الصفات غير الموصوفين بها ، ألا ترى أن السواد غير الأسود ، والعلم غير العالم والحركة غير المتحرك وإنما الصفة عند التحويين هي النعت ... » (٢) .

أفلا تنظر في هذا رأي المعتزلة في صفات الخالق سبحانه .
وقد ظل أبو الفتح ملازماً أستاذه الفارسي في بغداد وفي رحلاته العلمية إلى أن مات الشيخ في ربيع الآخر أو الأول من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فحل محله والتف تلاميذه أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتى أصبح إمام بغداد وحجتها غير مدافع ، كما أصبح مرجع العالم الإسلامي في علوم العربية .
وقد تقلد أبو الفتح بعض مهام الدولة فكتب لسيف الدولة بن حمدان

(١) المجلة (١ ؟) .

(٢) سر الصناعة مخطوطتنا ٢٩ وانظر أيضاً كتاب الخصائص ج ١ ص ٢٣ من الطبعة الأولى .

صاحب طب ، كما كتب لعهد الدولة الديلمي صاحب المشرق ^(١) والتقى
بأبي الطيب المتني عندهما فقويت أواصر الصلات بينهما وكانت المتني يحبه
ويعجب بذكائه ويقول فيه : « أبو الفتح هذا رجل لا يعرف قدره كثير من
الناس » وسئل المتني مرة بشيراز عن معنى قوله في مخاطبة أبي شجاع :

وكان ابنا عدو كثره له يأتي حروف انسيان

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره ^(٢) .

وروى ياقوت : أن أبا الفتح بن جني كان يجلب يخمر عند المتني الكثير
وينأظه في شيء من النحو من غير أن قرأ عليه ديوان شعره إكباراً لنفسه
عن ذلك ^(٣) .

ولما كان أبو الفتح في بغداد اتصل بالشريف الرضي محمد بن حسين العلوي
وقد فسر له بعض قصائده ^(٤) كالقصيدة التي رثى بها أبا طاهر بن ناصر الدولة

(١) انظر ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية في ترجمته وذكر الثاني
في كتاب تاريخ الوزراء « انه خدم عهد الدولة وصدام الدولة وشرفها وبها ما »
ج ٨ ص ٤١٧ وكذلك ذكر الذهبي في تاريخه في حوادث سنة ٣٩٢ .
(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ وتفسير البيت ان كلمة (انسان) مركبة من
خمسة حروف فلما صغرت صارت مركبة من سبعة فازدادت الحروف وصغر
المنى . فهو يقول لأبي شجاع ان عدوك الذي يكاثرك بولده لا يؤبه له لأن
مثله مثل (انسان) اذا صغرتا .

(٣) معجم ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، تاريخ الوزراء لسانى ج ٨ ص ١٤٧ .

(٤) معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٢٠ - ٢٢ وقد اختلف العلماء في قراءة ابن جني
على أبي الطيب شعره والصحيح أنه قرأ عليه كذا يقول ابن خلكان وكما يقول
هو نفسه في شرحه الديوان :

كنت قرأت ديوان أبي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كافر :

ألا ليت شمري هل أقول قصيدة ولا أشتكي فيا ولا أعتب

وي ما يذود الشعر عني أقله ولكن قلبي يابنة القوم قلب

فقلت له : يمز علي كيف يكون هذا الشعر في مدوح غير سيف الدولة فقال :
حذرناه وأنذرناه .

والتي أولها :

- (١) ألقي السلاح ربيعة بن نزار أودى الردى بقربك المغوار^(١)
وكالقصيدة التي رثى بها صاحب بن عباد وأولها :
- (٢) أكذا المتون تقنطر الأبطال أكذا الزمان يضعض الاجبال^(٢)
وكالقصيدة التي رثى بها الصابي وأولها :
- (٣) أعلمت من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبا ضياء النادي^(٣)
وقد شكره الشريف على ذلك ومدحه بقصيدة أولها :
- (٤) أراقب من طيف الحبيب خيالا ويأبى خيال أن يزور خيالا^(٤)
وهي في خمسة وثلاثين بيتاً أشاد فيها الشريف بمناب صديقه أبي الفتح وعلمه
وفيهما يقول :

فدى لأبي الفتح الأفاضل إنه	يتر عليهم إن أرم وقال
إذا جرت الآداب جاء أمامها	قريماً وجاء الطالبون إقالا
فتي مستعاد القول حسناً ولم يكن	يقول محالاً أو يحيل مقالا
ليقري. أسمع الرجال فصاحة	ويورد أفهام العقول زلالا
ويجري لنا عذباً نغيراً وبعضهم	إذا قال أجرى للمسمع آلا
... ولما رأيت الوفر دوت محله	جزاء وقد أسدى بدأ وأنا لا
بشت له وقرأ من الشعر باقياً	وكثرأ من الحمد الجزيل ومالا
نسم آخرأ منه كوسمك أولأ	وشن عليه روتها وجمالا
ومثلك إن أولى الجميل أتمه	وإن بدأ الإحسان زاد ووالى

- (١) ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٣٧٨ .
(٢) ديوان الشريف الرضي ج ٢ ص ٦٧٠ .
(٣) الديوان ج ١ ص ٢٩٤ .
(٤) الديوان ج ٢ ص ٦٤٠ .

وكانه في البيت الأخير والذي قبله يطلب منه أن يفسر ديوانه كله كما صنع بشعر أبي الطيب ولكن أبا الفتح لم يفعل ذلك .

ولما مات الشيخ أبو الفتح اشتدَّ حزن صديقه الشريف الرضي عليه وصلى عليه ورثاه بقصيدة من أجود شعره في نحو من سبعين بيتاً قال فيها (١) :

ألا يا لقومي للخطوب الطوارق وللعظم يرمي كل يوم بعارق
وللدهر يرمي جاني من أقاربي ويقطع ما بيني وبين الأصادق
ومنها : يذكر بلاغته وفهمه لدقائق المعاني وقد أجاد :

فمن لا وابي القول يبلو عرا كها ويمحذها حذف النبال الموارق
إذا صاح في أعقابها اطردت له ثواني بالاعتناق طرد الوسائق
وسوءها ملس المتون كأنها نزاع من آل الوجيه ولاحق
... ومن للمعاني في الأكمة ألقيت الى باقر غيب المعاني وفاتق
يطوح في أنثائها بضحية (٢) صرير القوى ولاج تلك المضائق
تسّم أعلى طودها غير عاثر وجاور أقصى دحضها غير زالق
طوى منه بطن الأرض ما تستعبده على الدهر منشوراً بطون المهارق (٣)

ومنها : يذكر خالص وفائه وصدافته وشرف نفسه وممو أخلاقه :

مضى طيب الاردان يارج ذكره أريج الصبا تندى لعنين ناشق
كان جميع الناس أنثوا عشية على بعض أمطار الربيع المغادق
وما احتاج برداً غير برد عفافه ولا عرف طيب غير تلك الخلائق
وفارقتني عن خلة غير طرقة تضمنها صدر امرئ غير ماذق
تروق ماء الود بيني وبينه وطاح القذى عن سلسل الطعم رائق
فما العهد مني إن لهوت بثابت ولا الود مني إن سلوت بمصادق

(١) الديوان ج ١ ص ٥٦٢ .

(٢) لها « بصيرة » .

(٣) « الورق والصحائف » .

فما أصدق هذه العاطفة وأكرم هذا الرثاء من الشريف الرضي في أبي الفتح .
ولا عجب فإن أبا الفتح لم يكن صديق الشريف فحسب ولكنه كان أستاذه
وهو الذي خرّجه في الشعر على طريقة أبي الطيب المتني كما يذكر ذلك
الأستاذ ميتس Mez (١) .

[وبعد] فقد ظلّ أبو الفتح يعلم الناس ويؤلف ويرحل في طلب العلم إلى
أن أدركه الأجل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة
للهجرة وهي الليلة الموافقة لليلة السادسة عشرة من (كانون الثاني) سنة ١٠٠٢
ميلادية (٢) بعد أن خرّج جمهرة لا تحصى من الفحول منهم أولاده الثلاثة
علي (٣) ؛ وعلاء (٤) ؛ وعال (٥) ؛ وكلهم أديب فاضل محسن «قد خرّجهم
وحسن خطوطهم فهو معدودون في الصحيحين الضبط وحسن الخط» (٦) .
ومن خير تلاميذه : محمد بن عبد الله بن شاهويه (٧) وعلي بن زيد القاشاني (٨)
والثاني عمر بن ثابت (٩) والأمير الشاعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

(١) انظر كتاب الأستاذ ميتس Mez ص ٢٢٦ . والذي نراه أن ميتس يغالي
في نظريته فإن شعر أبي الطيب في واد وشعر الشريف في واد ، ولو كان
الشريف يعجبه شعر أبي الطيب .

(٢) هكذا ذكر ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ وهو رأى جمهور من ترجمه وأما ابن الوردي
فقد ذكر في تاريخه ج ١ ص ٣١٧ نقلاً عن المذهب المعري في تاريخه أنه
مات سنة ٣٩٠ وقال إن هذا أصح لقرب عهده بابن جني وذكر الحليب البندادي
أنه مات سنة ٣٩٣ كما في ج ١١ ص ٣١١ .

(٣) لم أعثر على ترجمتها .

(٤) ذكره في البنية ص ٢٧٤ وقال كان مثل أبيه حسن الخط ومات سنة ٥٧ هـ .

(٥) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .

(٦) البنية ص ٥٣ .

(٧) البنية ص ٣٣٨ وياقوت ٥ / ٢٠٧ .

(٨) البنية ص ٣٦٠ وياقوت ٤ / ٢٣٨ .

الخفاجي الأديب الناقد المؤلف (٤٦٦ -)^(١) صاحب مر الفصاحة الذي اعتمد فيه على آراء شيخه وأقواله في الفصاحة ، وعبد السلام بن الحسن بن محمد ابن البصري^(٢) وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار الشمسي^(٣) وأبو عبيد الله الحسن بن أحمد بن أحمد بن نصر^(٤) وثابت محمد الجرجاني الأندلسي^(٥) وغيرهم .
ويذكر القفطي في انباء الرواة على انباء الرواة في ترجمته : « وخدم أبو الفتح عثمان بن جني بيت آل بويه في عهد عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة وولده بهاء الدولة الذي مات في عهده وكان ملازمهم في دورهم »
فهذا يدل على أن هؤلاء الأسماء العظام كانوا يفترون من بحره ويفيدون من علمه وانهم قد تتلمذوا عليه .

(يتبع)

الدكتور محمد أسعد طلس

(١) فوات الوفيات ١/ ٢٩٨ ، و اعلام النبلاء ٤/ ٢٠٣ .

(٢) البنية ص ٣٠٥ .

(٣) ياقوت ج ٥ ص ٢٣ والبنية ص ٣٤٣ .

(٤) ياقوت ج ٥ ص ٢٢ .

(٥) ياقوت ٢/ ٣٩٨ .

التعريف والنقد

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف الشريف الرضي

تحقيق محمد عبد الغني حسن

هذه هي المرة الأولى التي طبع فيها كتاب : تلخيص البيان في مجازات القرآن لصاحبه الشريف الرضي ، وقد جاء الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقدمة الكتاب بالأدلة القاطعة على صحة نسبته الى الشريف الرضي وكان تحقيقه قائماً على جهد ظاهر فهو لم يحازف به بمجازفة .

إلا أن المقدمة لم تشمل على هذا الأمر وحده وإنما اشتملت على أمور ثانية بارعة مثل الإشارة الى قيمة الكتاب العلمية والأدبية والى القراءات فيه والى منزلته بين كتب التفسير والى عصر الشريف والحياة الأدبية فيه والى أشياء ثانية تتصل بالشريف الرضي .

ولكنني أحب أن أنتخب من هذه الأمور كلها أمراً واحداً وأعني به إشارة الأستاذ محمد عبد الغني حسن الدقيقة الى إعجاز القرآن في ألفاظه وأساليبه ومما يه والى مسالكه اللطيفة وغرائبه العجيبة في التعبير ونكته البلاغية الخفية والظاهرة وأسراره واستعمالاته ومجازاته واستعاراته ومقاصده وغير ذلك مما يكشف لنا عن مقدار تقدير الأستاذ الموماً اليه لروح القرآن .

أما الكتاب نفسه : تلخيص البيان في مجازات القرآن فلم يؤلف مثله في هذا الغرض على نحو ما ذكر ذلك الأستاذ المحقق ، فالشريف الرضي خطأ أوّل

خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفاً مستقلاً بذاته ولم يأت تأليفه عرضاً في خلال كتاب أو في خلال باب من أبواب مصنف من المصنفات ، وإنما بدأ بتأويل مجازات القرآن ونوضح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه وتحليل استعاراته متتالاً في هذا كله سورة سورة من القرآن بحسب الترتيب . هذا كله فصله لنا الأستاذ محمد عبد القتي حسن تفصيلاً دلنا على عنايته بأسرار القرآن وعلى حسن ذوقه لبلاغته ولا شك في أن في انصرافه الى تحقيق كتاب الشريف الرضي ووضع مقدمته وترتيب فهارسه فائدة جليلة فالقرآن يقرأ المسلمون كل يوم آيات كثيرة منه ويسمعون هذه الآيات من دور الإذاعات ويشهدون تدريسه في المدارس والجامعات وعلى الرغم من هذا كله لم نصل بعد الى إدراك أسرارها على الوجه الأكمل فلم نذق بلاغته الذوق كله ولم نخط بعقريته الإحاطة كلها فكثيراً ما نمرُّ بآية من آياته الكريمة فلا نشعر بمحاسنها إلا من ناحية أو من ناحيتين فاذا خلصنا الى إدراك معناها جملةً فلا نخلص الى إدراك أسرار بلاغتها واذا خلصنا الى إدراك هذه الأسرار فلا نكاد نخلص الى الصلات بين الفاظها وأظن أن ضرب مثل من الأمثال بوضع هذا الكلام .

قال الشريف الرضي :

وقوله سبحانه : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . وهذه استعارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يَرجمُ بها كالحجارة وغيرها فجعل ، سبحانه ، إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكه ويدفع ماسه ، ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وقضى الاستعارة حقها وأعطاها واجبها فقال سبحانه : فيدمغه ، ولم يقل فيذهبه ويبطله لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال وعلى طريق

الفلبة والاستعلاء فكان الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد : فإذا هو زاهق والزاهق : الهالك .

هذا مثل من أمثال الكلام على الاستعارة في كتاب الشريف الرضي انتخبته عرضاً فقد نستطيع أن نجبط بظاهر معنى الآية وأن ندركه لأول وهلة ولكننا لا نستطيع الوصول الى باطن المعنى إلا بعد إعمال الفكر أي لا نستطيع أن نصل الى الصلة بين القذف بالحجارة والقذف بالحق إلا بعد أن تفهم الصلة المعنوية بين هاتين الصورتين فإذا فهمنا هذه الصلة تجلت لنا القدرة في صب اللفظ في موضعه وفي التنسيق بينه وبين أخيه وفي النسبة بين صورة الحقيقة وصورة المجاز وإذا تجلت لنا هذه القدرة نعمنا حينئذ يذوق البلاغة والوقوف على أمرارها وعلى غير هذا الشكل لا يمكن أن تفهم القرآن ولا أن تستمع من إعجازه .

فإذا شكرنا للأستاذ محمد عبد الغني حسن جهده في تحقيق كتاب الشريف الرضي وفي وضع مقدمة له وفي إفاضته في الذي أفاض فيه في هذه المقدمة مما يطول بسطه في هذا المقام فنحن نشكر له هذا الشكر لأنه مهّد لنا سبيلاً الى الاطلاع على كتاب تقوم به أذواقنا في البلاغة ونفقه به مدار كنا في معرفة الألفاظ وأمرارها ونفوتها به فهمنا لا كبر مصدر من مصادر البلاغة في لغة العرب .

بديع الزمان الهمذاني

بقلم مارون عبود

حقاً إن هذه السلسلة التي وضعتها دار المعارف في مصر وسمتها : نوابغ الفكر العربي تمهد السبيل الى الاتصال برجال الأدب والفكر في القديم والحديث ، فانها تشتمل على خلاصة ما يصور كاتباً من الكتاب أو شاعراً من الشعراء أو مفكراً من المفكرين فاذا تمت هذه السلسلة في يوم من الأيام فانها ستكون بمنزلة خزانة للفكر العربي .

أقول هذا القول على شرط واحد ، أن يكون واضح كل كتاب من هذه السلسلة قد أحاط بموضوعه من كل ناحية فلا يكاد يتغلب منه أنقى من آفاته ثم كثف كلامه بعد هذه الإحاطة حتى يقول أكثر ما يمكن قوله في أقل ما يكون من البيان ، أما الذين يغيرون على مطبوعات الكتب فيسخونها مسخاً ويسرقون أفكارها دون الإشارة الى كل مرقعة في حاشية الصفحة مكتفين بذكر مصادرهم في فهرست العام ، أما هؤلاء فانهم بعيدون عن أن يحققوا لدار المعارف ما ترمي اليه في وضعها سلسلة نوابغ الفكر العربي ولست أحب التصريح بالأسماء في هذا المقام وإنما أكتفي بالتعريض .

أحمد الله على أن الأستاذ مارون عبود ليس من هذه الطبقة التي لم تنعم بانفراد الفكر واستقلال العقل وإنما الأستاذ من الذين يحترمون أنفسهم ويشقون بأذواقهم ويعتمدون في الكتابة على أفهامهم وعلى دقة هذه الأفهام ، لقد وضع كتابه : بديع الزمان الهمذاني بعد أن منحّص هذا البقري كل تمحيص بنظرة الثاقب وفهمه الشامل .

جرى في كتابه على الأصول المتبعة في سلسلة نوابغ الفكر العربي فأنشأ ثلاثة فصول : عصر بديع الزمان ، بديع الزمان في عصره ، جوانب بديع الزمان ، وبسط في فصل من هذه الفصول الثلاثة ما للبديع من صلة بعصره وما للعصر من صلة بالبديع ، فاذا تكلم على حالة اجتماعية في العصر الذي عاش فيه البديع فلا يخلو كلامه من الإشارة الى تفاعل العصر وآثار الحمذاني ، لقد عاش البديع في عصر ظهرت فيه آثار الاستبداد والفرق في النعم كما ظهرت آثار الفقر والظلم فلم يغفل الأستاذ مارون عبود عن الإشارة الى أن رسائل الحمذاني كانت صورة هذه الحالة الاجتماعية وهذه هي فائدة تصوير عصر الأدب ولولا هذه الصلة بين الأدب وبين عصره لما كان لذكر الحالات الاجتماعية أو السياسية معنى من المعاني ، فالأستاذ مارون عبود لم يهمل ذكر هذا كله ولقد ذكره في أوجز عبارة دون شيء من الإضمار .

ثم اذا أفاض في ترجمة البديع ذكر الصلة بين حياته وبين آثاره ولولا ذكر هذه الصلة لم يكن للترجمة قيمة ولقد علقت بذهني عبارة قالها بعض كتاب الانكليز في حق أديب من الأدباء فقد قال : اذا أردنا أن نفهم فنّ هذا الأديب لزمنا أن نعرف دقائق حياته ، فالأستاذ مارون عبود بسط ما بسط من دقائق حياة البديع ولكنه كان ماهراً في التنسيق بين هذه الدقائق وبين فنّ صاحبها .

ولما وصل الى فنّ البديع جاء بالكلام الذي يدل على فهم دقيق وعلى ذوق صالح فقد فطن قبل كل شيء الى أن آثار البديع كانت صورة حالات اجتماعية كما كانت آثاراً أدبية فقد صورت حالات البؤس وفساد الأخلاق والترف والنعم في بعض الطبقات وبمعيني تنبيه الأستاذ على تأثير العصر في فنّ البديع فاذا نبّه على تأنق البديع في إنشائه نبّه في الوقت نفسه على أن مصدر هذا التأنق إنما هو تأنق العصر في النعم والترف ، وضح الأستاذ مارون عبود هذا

كله ووضح خصائص فن البديع فتكلم على ميله الى الصناعة اللفظية والى السجع والاكثار من التشبيهات والاستعارات والكنائيات وما يشابه ذلك ووازن بين فن البديع وفن الحريري موازنة تدل على تعمق في الوقوف على أسرار الفن .

من خصائص البديع التهمك وقد ظلت أتبع الأستاذ مارون عبود في كل كتابه لأصل الى آثار هذا التهمك حتى وصلت الى قوله في بعض المواضع : فهو يمجن ويمزح ويتهكم ... ولكنني كنت أرجو أن يفرد الأستاذ لتهمك البديع سبطوراً قليلة على نحو ما فعل في كلامه على مجامع نواحيه لأن التهمك في أدبنا غير كثير فاذا اعتدينا الى كاتب يميل الى هذا النوع فلا بأس باظهار صفات تهكمه فانا نعرف أن الجاحظ كان إمام المتهمكين ولكننا نعرف أيضاً أن تهكمه خبيث ولم يك مؤذياً فكنا نريد أن نعرف خصائص تهكم البديع واذا أردنا هذه المعرفة فلأنا نعيش في عصر أصبح التهمك فيه أقوى سلاح لأن فيه مندوحة عن الشتم والقذف .

على أن مرور الأستاذ مارون عبود على هذه الناحية دون بسطها وشرحها لا يصرفنا عن توفيتنا إياه حق فضله وعن تهنته بكتابه : بديع الزمان الحمداني الذي دل على علمه وأدب وفهم .

نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب

للدكتور أمجد الطرابلسي

الأستاذ في كلية الآداب

الشهادة الأولى في كلية الآداب في الجامعة السورية إنما هي شهادة الثقافة العامة ، فلا بدّ لطلاب الشهادات كلها : طلاب الأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية من تهيئة شهادة الثقافة العامة قبل انصرافهم مدة ثلاث سنين الى تهيئة الشهادات التي يتفرغون لها .

مهمة الأساتذة في شهادة الثقافة العامة أن يشقّوا طلابهم تثقيفاً عاماً في أدب العرب وتاريخ الحضارة وعلم الاجتماع والجغرافية وبعض اللغات حتى لا تضيق آفاق معلوماتهم العامة في تفرغهم لشهاداتهم الخاصة .

الدكتور أمجد الطرابلسي يزود طلاب شهادة الثقافة العامة بثقافة أدبية عامة فضلاً عن تدريسه الأدب في شهادة الآداب العربية في آخر سنة فهو يطلعهم على التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية من أول عصورنا الأدبية حتى أول عصر نهضتنا الحديثة وقد وضّح في مقدمة كتابه : (نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب) الهدف الذي يرمي اليه فقال :

« لهذا البحث في منهاج السنة الأولى بكلية الآداب هدف مزدوج ، فهو يرمي الى أن يكون لدى الطلاب فكرة موجزة وواضحة عن بعض نواحي النشاط الفكري عند العرب حتى فجر النهضة الحديثة كما يرمي أيضاً الى دلالة الطالب الجامعي على المراجع والمصادر الهامة التي هو بحاجة اليها لاستكمال أدوات بحثه ... » .

وبعد أن وضح هذين المهدفين شرع يشرح فكرته ويبين قوائدها وإني
لا أكتفي بالإشارة إلى الفائدة الأولى وهي توثيق الصلة بين مستقبلنا العلمي
وبين ماضينا .

ميّز الأستاذ في بحثه بين معرفة الرجوع إلى المصادر وبين معرفة الاستفادة
من هذه المصادر فليس المهم أن يعرف الطالب مصادر البحث وإنما المهم أن يعرف
كيف يستفيد منها وكيف تكون استفادته عميقة وشخصية على نحو ما قال المؤلف ،
ولا شك في أن أمثال هذه الدقائق تدل الدلالة القوية على إدراك الدكتور
أجد الطرابلسي للأسلوب الجامعي في التدريس والتأليف وعلى تمكنه من هذا
الأسلوب فهو يعرف كيف يقوي في الطالب شخصيته وكيف ينمي هذه
الشخصية وهذا ما ظهرت آثاره في تأليفه وفي تدريسه فهو لا يريد أن تكون
مدارك الطالب بمنزلة بآلة يجرّ كها زر من أزرار الكهرباء وإنما يريد أن
يقوي الطالب مداركه بنفسه والأستاذ يتولى إرشاده وهدايته . فإذا قلت
أن الدكتور أجد الطرابلسي تمكن من الأسلوب الجامعي التمكن كله فلم أغال
في قولي .

أما كتابه فإنه يشتمل على بابين : التأليف في اللغة والتأليف في الأدب ،
وقد احتوى باب التأليف في اللغة على فصلين : فصل في معاجم الألفاظ وفصل
في معاجم المعاني ، واحتوى باب التأليف في الأدب على ثلاثة فصول : المجموعات
الشعرية القديمة وكتب الثقافة الأدبية العامة وكتب تراجم الأدباء
أظن أن القارئ يستطيع أن يفتن إلى جلاله قدر هذه المحتويات من
هناوين الأبواب والفصول فهو يستطيع على الأقل أن يفتن إلى قوائد الكتاب
وإني لأمر بهذه القوائد كلها ما خلا فائدة باطنة لا مندوحة لي عن التنبيه عليها .
إن أعظم ما يفتقر إليه أدبنا لا بل تاريخنا كله إنما هو تسلسل أطواره بحيث
يمكننا أن نعرف كيف كان أمر من الأمور في أول نشأته وما هي الأطوار

التي دخل فيها حتى وصل الى ما وصل اليه في عصرنا هذا فاذا عرفنا أدبنا وتاريخنا على هذا النحو من المعرفة استطعنا أن نوثق الصلة بين ماضينا وبين حاضرننا واستطعنا من جهة ثانية أن نشهد هذا الماضي بأعيننا حتى كأننا نعيش فيه وكأننا من أبنائه . والدكتور أجود الطرابلسي لم يقتصر فضله على تزويد الطلاب بثقافة أدبية عامة أو على تقوية شخصياتهم أو على إرشادهم الى جوهر البحث والاستقصاء وإنما استطاع بفضل تنسيق فكره وأسلوبه الجامعي أن يجعلنا نعيش في الماضي ونشعر بأننا من أبنائه . وأعتقد أن ضرب المثل في هذا المعنى إنما هو أقوى برهان .

لقد تكلم في كتابه على المعاجم قديماً بذكر الأشكال التي جمعت عليها ألفاظ اللغة العربية ، فالشكل الأول منها إنما هو تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب والشكل الثاني تدوين ألفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف ، والشكل الثالث وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة وبعد أن فرغ من هذا التقسيم المتقن أخذ يضرب الأمثال لكل شكل من هذه الأشكال وعلى هذا النحو من تنسيق البحث والاستقصاء يستطيع القاري أن يمر بالأنطوار التي تقلب فيها التأليف في اللغة وأن يشهد هذه الأنطوار بعينه فبشده ميلادها وحياتها في أوضح صورة .

فاذا افتخرت كلية الآداب الناشئة التي لم يتجاوز عمرها ثماني سنين فأنها تفتخر بأستاذة من طراز الدكتور أجود الطرابلسي فهموا الأسلوب الجامعي أدق فهم وطبقوه أبرع تطبيق .

ابن الرومي

بقلم محمد عبد الغني حسن

دار المعارف

إنك لا تريد أن تعرف شيئاً عن ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن إلا عرفته ، فقد صور في الفصل الأول عصر الشاعر من نواحيه المختلفة ، من نواحي سياسته واجتماعه وثقافته ، فذكر في حالته السياسية الصراع بين العرب والفرس والترك ، لقد كان ذلك العصر عصر اضطراب لم يستقر فيه شيء من أمور الدولة .

وإذا كنا لم نشهد مقدار اتصال ابن الرومي بعصره أو مقدار اتصاله عن هذا العصر من ناحية السياسة فقد شهدنا مبلغ اتصاله بالعصر من ناحية الاجتماعية لقد وصف الشاعر حياة السهر والليل في الطبقات الرفيعة ووصف الجوارى وطبقات رجال الدولة على اختلافهم واستنبط المؤلف من هذا كله حكماً صائباً فانه لما بين الصلة بين ابن الرومي وعصره من الناحية الاجتماعية بين في الوقت نفسه الصلة بين اضطرابه في فنون شعره وبين اضطراب ذلك العصر فكان شعر ابن الرومي صورة العصر : صورة الترف والبؤس ، صورة السعة والضيقة ، صورة المروءة والخساسة . . .

وكما كان الأستاذ محمد عبد الغني حسن بارعاً في الإشارة الى التماسك بين شعر ابن الرومي وبين روح عصره فكذلك كان بارعاً في الإشارة الى التماسك بين شعره وبين ثقافة عصره فقد كان عصر الشاعر عصر علم وفلسفة ، عصر أدب وهندسة وتنجيم وكيمياء وغير ذلك فاختلط ابن الرومي بالقديم والحديث ،

بالدين والفلسفة ، نشارك عصره في الثقافة ، ففي بعض شعره فكر وفلسفة ومنطق وفيه بعض صفات عقلية ، إلا أنه لم يكن في الفلسفة من أصحاب الشك والريب . ولما فرغ الأستاذ المؤلف من الكلام على أحوال السياسة والاجتماع والثقافة في عصر ابن الرومي انتقل في الفصل الثاني الى الكلام على أشياء كثيرة من أخباره ونسبه ومصوره وتدينه وتشيعه واعتزاله ومعيشته . لم يُعن أصحاب التراجم بأخبار ابن الرومي فكثير منهم أهملوا ترجمته فأشار الأستاذ محمد عبد الغني حسن الى ما أمكنه الإشارة اليه من مصادر أخباره ، أما صورة ابن الرومي فحسبنا أن نعرف عنها أنه كان غريب الأطوار ، فهو يمدح الرجل اليوم ويذمه غداً ويستحسن زهراً اليوم ويستقبحه غداً ، فهو غريب في أطواره ، غريب في أخلاقه . ولكن الذي يهمنا من ابن الرومي شاعريته قبل كل شيء ، وهذا ما أفاض فيه الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي أبلغ إفاضة فلم يغفل عن كل شيء له صلة بهذه الشاعرية .

تقوم شاعرية ابن الرومي على التعمق في المعاني فهو لا يترك المعنى حتى يستهلكه أو يميتته وهذا التعمق هو الذي جعل شعره في نظر بعض النقاد غريباً عن شعر العرب ، لأن الشاعر العربي لا تألف عقلية التجليل وإدارة المعنى على كل وجه وإنما الشعر العربي كان لحماً وخطرات على أن ابن الرومي لم تستفص وجدة الموضوع في كل شعره فبعض شعره كان لحماً وخطرات .

أما تشبيهاته فهي في نظر الأستاذ محمد عبد الغني حسن معنوية عميقة تبعية عن الواقع الملموس على خلاف تشبيهات ابن المعتز فانها حسية ، على أن ابن الرومي لم يقصر عن ابن المعتز في التشبيهات الحسوسة ولكن صور ابن المعتز لا روح فيها ولا حياة ، إنها تماثيل من فضة وذهب وياقوت وعنبر وزبرجد وأحجار كريمة أما صور ابن الرومي فانها قياضة بالحياة والحركة وغرائب المفارقات .

هذا ما قرره الأستاذ صاحب كتاب ابن الرومي وعندي أن هذين النوعين من التصوير متلازمان لا يكاد يستغني أحدهما عن الآخر فان تماثيل ابن المعتز إذا لم تستغض فيها الحركة والحياة كانت جامدة لا تأثير لها في القلب وصور ابن الرومي إذا كانت مجردة ، عقلية ، لم تفرغ في قوالب حسية كانت جامدة فقد يجوز أن يفتقر ابن المعتز الى بعض الحركة والحياة في شعر ابن الرومي وقد يجوز أن يفتقر ابن الرومي الى بعض الصور المحسوسة في شعر ابن المعتز ، فابن الرومي لم يُعن بالتصوير عنايته بالصورة نفسها وهذا ما أشار اليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن فهو يفتش عن المعنى فاذا ظهر به قذفه في أي قالب كان سواء أكان هذا القالب مناسباً له أم كان نائياً عنه في بعض الأحيان ، إنا نقرأ بعض شعر العرب ، مثل مينية الجعري ، فنجد التناسب بين الصورة وبين الألوان أو الخطوط التي خلقت لهذه الصورة فاذا كانت الصورة تعبّر عن الحركة اختار لها الجعري لفظاً مناسباً لهذه الحركة : والنبايا موائل وما شابه ذلك .

أما هجاء ابن الرومي الذي اشتهر به فأكثره من خش القول فما الفرق بين من يسب وهو في الزقاق وبين سب ابن الرومي في شعره :

وجهمك يا عمرو فيه طوبى وفي وجوه الكلاب طول

إنا نقض السخرية على هذا النوع من الهجاء ولقد أشار الأستاذ المؤلف الى مخزية ابن الرومي فقال في بعض فصول كتابه : ويسخر الشاعر من هؤلاء القوم العربدين وكنا نريد أن يدلنا على آثار هذه السخرية كما دلنا على كل ماله صلة بابن الرومي حتى كأن ابن الرومي في كتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن مائل لأذهاننا في كل شيء ، في نواحي عصره وأخباره الخاصة وأمصار شعره ونه هذه مزينة كتاب الأستاذ وهي مزينة غير قليلة .

الجزء الثالث

من محاضرات المجمع العلمي العربي

عندما أنشي المجمع العلمي العربي ، عقب الحرب الكبرى الأولى ، جعل في جملة أعماله إلقاء محاضرات أسبوعية على الكاتبة ، في مواضيع ثقافية مختلفة . وعندما كان يُنتخب عضو جديد عامل في المجمع ، أو كان أحد أعضائه المراسلين يأتي دمشق زائراً ، كان المجمع يرغب الى هذا أو ذاك إلقاء محاضرة في ردهته ، في موضوع من المواضيع التي اختص بها ، وعُرف بإتقانها . وعلى كثر الأيام والسنين حصل في المجمع جملة كبيرة من هذه المحاضرات ، كثير منها جزيل الفائدة ، ينم على دراسة عميقة ، فلا يجوز أن يظل محفوظاً في الخزائن ، أو مبثوثاً في مجلدات مجلة المجمع ، لما في الاهتمام إليه من مشقة . وقد انتبه الى ذلك العلامة خليل مردم بك رئيس المجمع ، ورأى أن الجزء الأول من المحاضرات طبع منذ ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٥ م فعرض على الأعضاء العاملين اتخاذ قرار بطبع جملة أخرى من تلك المحاضرات . وهكذا استطاع المجمع أن ينشر منها في سنة واحدة ، وهي سنة ١٩٥٤ م ، جزءاً ثانياً بجزءاً ثالثاً .

وهذا الجزء الثالث الذي نعرف القراء به جاء في ٥٩٦ صفحة . وقد جُمِل قسمين الأول يحتوي على ثلاث عشرة محاضرة ابن توفام الله من أعضاء المجمع وهم السادة : محمد كرد علي والأمير شكيب أرسلان و خليل مطران وأحمد أمين ومحمد اسعاف النشاشيبي وأمين الريحاني والشيخ محسن الأمين الحسيني والشيخ سميد الكرمي وقسطاكي الحمصي والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ أحمد رضا وسليم المنحوري وعبد الله رعد .

ولسنا في حاجة الى ذكر الفوائد الجمة التي يستطيع كل متأدب جنيتها من محاضرات يلقيها أمثال هؤلاء الأدباء والفنانيين الأثبات : « فآثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية » للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، و « نهضة العرب العلمية في القرن الأخير » للأمبر شكيب أرسلان ، و « اللغة العربية وخزائنها الأدبية قديماً وحديثاً » للأستاذ خليل مطران ، و « المتنبي وسيف الدولة » و « فلسفة القوة في شعر المتنبي » للدكتور أحمد أمين ، و « صيفيات المتنبي » للأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي ، و « إعراس الخليفة المأمون » للأستاذ قسطنطين الحمصي ، الى آخر تلك المحاضرات ، كلها دروس أدبية يعيب فيها القاري المثقف متعة وفائدة على السواء .

أما القسم الثاني من المحاضرات فقد احتوي على أربع عشرة محاضرة لأربعة عشر عضواً من أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . فمن المراسلين الأستاذ أحمد حسن الزيات تكلم في بحث ممتع على (ألف ليلة وليلة « تاريخها وحياتها ») ، والدكتور عبد الوهاب عزام على « الأدب العربي في بلاد فارس » ، واللغة العربية في البلاد الإسلامية غير العربية » والأستاذ محمد الخضر حسين على « أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية » .

وتكلم رئيس المجمع على « عدي بن الرقاع العاملي » ، وبعض الأعضاء العاملين على « ثقافة المتنبي ومصادرها » ، و « لغة شوقي » ، و « شيء عن أناطول فرانس » ، و « الأندلس ، عبرة وذكرى » ، و « شعوب سورية وآثارها القديمة » الخ . والمواضيع الأدبية في هذا الجزء تزيد على غيرها . والذي أعرفه أن المجمع لا يزال محتفظاً بعدد من المحاضرات في اللغة والعلم والأدب والفلسفة ، ألقاها بعض الأحياء والمتوفين من أعضائه ، ولم يضمها حتى يومنا هذا كتاب .

فمن رأيي أن يداوم المجمع على عمله فيطبعها في جزء رابع أو أكثر ، لأن

جماع هذه المحاضرات يدل على جهد بذله أعضاؤه في نشر الثقافة بالأسلوب العلمي ، يوم كانت ردهة هذا المجمع الندوة الوحيدة للأدباء والمتأدبين في القيعاء ، وهذه الصفحة من تاريخنا الأدبي لا يجوز إهمالها .

والمحاضرات ، فوق ذلك ، تعد مرجعاً ينجذ فيه طلاب النائدة معلومات مبسرة لو أرادوا الثور عليها في مظانها لاحتاجوا الى وقت طويل وجهد كثير .

المباحث اللغوية في العراق

وهي محاضرات لغوية للأستاذ البجائة الدكتور مصطفى جواد ألقاها على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية . وقد طبعها المعهد المذكور في كتاب بلغت صفحاته ١٣٣ صفحة .

وصاحب هذه المحاضرات مشهور في البلاد العربية بسعة اطلاعه على كتب اللغة والأدب القديمة ، وبعقبيه للكتاب ، ونقده لما يكتبونه في تشدير يرى بعض الأدباء أحياناً أنه إغراق لا مسوغ له ، أو لا حاجة إليه ، ويرى بعضهم أنه ضرورة لا بد منها للاحتفاظ بسلامة لغتنا الفادبة ، ولترجيح الفصيح من الكلم على غيره .

وأعتقد أن الدكتور مصطفى جواد قد خلف في النقد الشيخ ابراهيم اليازجي ، وأنه بذه ، بوفرة المراجع التي يستشهد بنصوصها . ومن المعلوم أن أغلاط الكتاب قلت في أيامنا هذه ، فأصبح الانتقاد في عصرنا أصعب منه في عصر اليازجي . بدأ المحاضر يتكلم على مشكلات اللغة العربية فجعلها خمس مشكلات : أولاها

وأهمها مشكلة المصطلحات العربية ، والثانية مشكلة الصرف والنحو ، والثالثة مشكلة المعجمات ومنفرداتها ، والرابعة مشكلة التعبير بالعربية ، والخامسة مشكلة الرسم أي الإملاء .

وقد استغرق تحديث هذه المشاكل ٤٩ صفحة جاءت مقدمة للكتاب . وللأستاذ الفاضل في هذه الموضوعات آراء طريفة تستوقف النظر : منها ان المصدر ليس أصلاً للمشتقات ، بل أصلها المادة وما جرى مجراها من مشهود ومستوع . ومنها إنكار أوزان المطاوعة .

ومنها قوله ان المصدر الصناعي ليس مصدراً بل اسماً ، لذلك يرى تسميته الاسم اليائي ، أو الاسم النسبي ، أو الاسم الإضافي .

ومنها ان قاعده النسب الى فعيل وفعيلة ، بإلقاء الياء منهما ، ليست قاعدة عامة ، بل هي قاعدة خاصة . واستشهد الأستاذ بما جاء في « أدب الكاتب » لابن قتيبة وهو : « وكذلك اذا نسبت الى فعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهوراً ألقيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول رباعي وبجيلي » وحنيفة حنفي ، وثقيف ثقيفي ، وعثيك عثكي ، وإن لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء الخ . »

وأوضح الأستاذ ، بناء على هذا النص ، ان قاعدة حذف الياء تقتضي استجماع شرطين أساسيين في الاسم المنسوب اليه ، وهما العلمية والشهرة . ولذلك لا يجوز أن يقال بدهي ، ولا طبعي ، ولا غريزي ، ولا قبلي ، نسبة الى بديهية وطبيعة وغريزة وقبيلة ، بل الصحيح فيها (وفي أمثالها) بدهي وطبعي وغريزي وقبيلي بإثبات الياء . وقد أنكر الأستاذ على ابن الحاجب وغيره من الصرفيين إعمام قاعدة الحذف ، خلافاً لرأي ابن قتيبة الذي خصها

بالمشهور من الأعلام • ومقام ابن قتيبة معروف • وقد عاش قبل هتولاء الصرغيين
بيضعة قروث • (١)

ومن بحوث المحاضر في المقدمة الملحق اليها بحث في النسب الى الجمع ؛ وقد
جوّزه على مذهب الكوفيين ، عند الاحتياج اليه احتياجاً مطلقاً ، وعلى مذهب
البصريين بشروط ذكرها •

ومنها آراء طريفة في دلالة طائفة من حروف الجر ، وطائفة من أوزان الأفعال •
وانتقل المحاضر ، بعد هذه المقدمة المملوءة بالآراء والملاحظات والانتقادات
المفيدة ، الى الكلام على المباحث اللغوية في العراق ، فذكر انه لم يكن من
العراقيين ، في أول النهضة اللغوية الحديثة ، من اختص بالمصطلحات العلمية
والفنية ، وأن أول من بحث فيها الأب أنستاس ماري الكرمليني اللبناني الأصل
والعراقي المولد • فقد أصدر بغداد سنة ١٩١١ م مجلة « لغة العرب » ، فعاشت
حتى سنة ١٩١٤ ، وفيها نشبت الحرب الكبرى الأولى • وبعد استيلاء الانكليز
على العراق أصدر الأب مجلة « دار السلام » سنة ١٩١٧ ، لكنه لم يعالج فيها

(١) قلت : لقد كنت أثبت ، منذ سنين ، الى جنة ابن قتيبة في أدب الكاتب ، وراجعت
يرمئذ كتاب مبيويه ، وسيويه . عاش قبل ابن قتيبة ، فألفيته يجعل جذف الوباء
والياء قياساً في النسبة الى أسماء على وزن قَعُولَة وقَعِيلَة وقَعِيلَة . ولكن الشواهد
التي ذكرها كلها أعلام مشهورة كربيعة وجذينة وجهبنة وشنؤة النج • أما
الأسماء التي ليست دالة على قبائل أو بلدان مشهورة ككيفة ومبيلة وشديدة
وطورية وخويزة وخزنية فقد أثبت الياء في النسب اليها إما شذوذاً ،
أو تعليلات مختلفة .

ولم أفتح قط بالشذوذ ، ولا بأعمام الحذف في هذه القاعدة ، وكنت
أناهل قائلاً : كيف تنسب الى قطيفة وتجلي ومات من أشياء هذين اللفظين ؟
أقول قطفي وتجلي ، كما تقول في النسبة الى قَطَف ، وهو نبات غير نبات
القطيفة ، والى تجل ، وأن الجمل من الجبل أ أم ثبت الياء ونسي ذلك
شذوذاً ، على الرغم من كثرة هذا الشذوذ ؟ ولبت متشككاً في هذا الموضوع
حتى جلاه الأستاذ مصطفى جواد .

مسائل اللغة إلا قليلاً : وعاشت هذه المجلة ثلاث سنوات ؛ ثم استأنف الأب إصدار مجلته « لغة العرب » فلبثت تصدر من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣١ : ويعرف المتأدبون أن الأستاذ مصطفى جواد كان يشارك مشاركة واسعة في الكتابة في هذه المجلة ، وأنها حوت عدداً غير قليل من المصطلحات العلمية ، فضلاً عن البحوث اللغوية والتأريخية والاجتماعية وانتقادات مقالات الكتاب ومؤلفاتهم . وأشاد المحاضر الفاضل بفضل العلامة الدكتور أمين المعلوف ، وقال إنه هو الذي ألف المعجم العسكري الذي زاد عليه الأستاذ عبد المسيح وزير بعدئذٍ ألفاظاً كثيرة . والذي أعرفه أن نواة المصطلحات العسكرية كانت وضعت في دمشق ، أيام الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه ، وأنها نُقلت إلى العراق . والأرجح أن ناقلها هو الدكتور أمين المعلوف .

وذكر المحاضر زميلنا الأستاذ عمر الدين التنوخي ، ووضعه لعدد من المصطلحات في علم الفيزياء ، عندما كان يدرّس هذا العلم في بغداد . وتكلم على المجمع اللغوي الذي أنشأته وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٢٧ بتشجيع الأستاذ ساطع الحصري وزير المعارف في تلك الأيام . وقال إن أعضاء سرعان ما استعفوا بعد أن خرج الأستاذ الحصري من الوزارة . ونقل كثيراً من آراء الأستاذ المشار إليه في النحت . وهي آراء طريفة وجديرة بأن تقرأ بإيمان ، وإن كان المؤلف ، وكنت أنا أيضاً ، من الذين لا يبيحون النحت إلا قليلاً وفي حالات محدودة .

وبعد أن تكلم على « المجمع العلمي العراقي » الذي أنشئ سنة ١٩٤٧ ، والذي ما يرح بعمله بنشاط ، أنهى محاضراته بذكر أهم مؤلفات العراقيين المطبوعة والمخطوطة في اللغة وفي الألفاظ العلمية . فن المطبوع معجم الحيوان والمعجم الفلكي للدكتور أمين المعلوف ، والمعجم العسكري الذي مرّ ذكره ، وكتاب أغلاط اللغويين الأقدمين ، وكتاب نشوء اللغة العربية ونموها وكتبتها للأب

أنستاس ، وكتاب الاقرباذين البيطري للبطار الهندي السيد محمد أكبر خان ،
وقد ألفه في العراق .

ومن المخطوطات المعجم المساعد ، والمعجم الفرنسي العربي ، وجمهرة اللغات ،
وكتاب المجموع ، وكلها للأب أنستاس . والمعجم المستدرك ، ومعجم الجمل
العربية الفرنسية للمحاضر .

وأشار الى كتب ورسائل من تأليفه ، منها فقه اللغة العربية ، وكتاب
القلب والإبدال ، و « قل ولا تقل » وغيرها . ولم أتبين هل طبعها أم لا .
ومن المؤسف القول بأن الغلط المطبعي كثير في الكتاب . والواضح أن المؤلف
لم يشرف على طبعه .

وبعد هذه المأمة حاولت بها أن أعرف كتاب الدكتور اللغوي مصطفى جواد .
وفوائد هذا الكتاب كثيرة لا تستفاد من الكلام عليه في أسطر قليلة .

الشرابي

المدخل الى علم النفس الجماعي

تأليف الدكتور (شارل بلوندل) ، وتعريب الدكتور حكمة هاشم

وهو من منشورات جماعة علم النفس التكاملية التي يشرف على إصدارها

الدكتور يوسف مراد . طبع في دار المعارف بصر سنة ١٩٥٣

عدد صفحاته ١٨٨ صفحة من القطع الوسط

★ ★ ★

يقول المؤلف ان كتابه ليس « مؤلفاً في علم النفس الجماعي » وإنما هو مدخل
الى علم النفس الجماعي » (ص ٧) . فهو يهدف إلى تحديد موضوع هذا العلم
كما يهدف إلى تعيين الفرضيات التي يستند اليها . ولذلك اشتمل هذا الكتاب
على دراسة آراء (كونت) و (دوركهيم) و (تارد) في ثلاثة أبواب ،
كما اشتمل على ثلاثة أبواب أخرى في الإدراك ، والذاكرة ، والحياة الاجتماعية

تبين كلها أن دراسة الحياة الذهنية لا تكون تامة إلا إذا أحاطت بالعوامل الاجتماعية المؤثرة في النفس .

فما قاله المؤلف بصدد تحديد موضوع علم النفس الجماعي : « ان أول واجب يترتب علينا ... هو تحرير قائمة بكل شيء في الشعور الفردي يأتي من الجماعة لا من ذات الشعور . فاذا كانت السيكولوجيا الاجتماعية هي ... علم الظواهر النفسانية التي مردها الى جماعة من الأفراد ، واذا كان الشعور الفردي مليئا بالعناصر الاجتماعية المحمولة اليه من الخارج ، فان طائفة كبيرة من الحوادث الذهنية المعروفة بكونها فردية تدخل في الواقع في حوزة هذا العلم من دون أن تكون الجماعة أو الجماهير حاضرة ، إبان حدوث تلك الحوادث » (ص : ١٤ - ١٥) . وهذا وحده يفرق بين وجهة نظر السيكولوجيا الاجتماعية ووجهة نظر علم نفس الجماهير ، أو علم نفس الشعوب اللذين تحبب (غوستاف لوبون) وغيره في تحديد مفاهيمها .

والنظام الذي يجب السير عليه في دراسة الفردي والجماعي هو تقديم السيكولوجيا الاجتماعية على السيكولوجيا الفردية . فان العلوم الباحثة في الذهنية البشرية ومظاهرها وفي أسبابها ونتائجها يجب أن تترتب وتتأسس وفق النسق التالي : السيكوفيزيولوجيا ، والسيكولوجيا الاجتماعية ، والسيكولوجيا الفردية (ص ١٦) فالبحث يجب أن يمضي إذن من المجتمع الى الفرد لا من الفرد الى المجتمع ، هذا ما تمليه شروط التجربة ، وهذا ما تدعونا اليه مسلماتها .

ف هناك إذن ثلاث طرق لدراسة الحياة الذهنية : الأولى طريقة السيكوفيزيولوجيا وهي دراسة ما يدين به الانسان الى تربيته النوعي ، والثانية طريقة علم النفس الجماعي وهي دراسة ما يدين به الانسان الى بيئته الاجتماعية ، والثالثة طريقة علم النفس الفردي أو الفرقي ، وهي دراسة ما يدين به الأفراد الى خصائص تركيبهم الفيزيولوجي ووجودهم الاجتماعي معاً . وهذه الطرق الثلاث ليست مستقلة

بعضها عن بعض ، بل هي من الوجهة العملية متعاونة ومتضافرة وما من عالم نفسي يستطيع اليوم أن يقول إن بعض هذه الطرق أولى بالاتباع من بعضها الآخر ، فالإنجازات الثلاثة توصل الى معرفة الحياة الذهنية كما ان جميع الدروب توصل الى رومة . وغاية ما في الأمر أنه يمكننا أن نحازف فنزعم ان السيكلوجيا الفيزيولوجية والسيكلوجيا الجماعية والسيكلوجيا الفردية قد بلغت بهذا الترتيب المنطقي مرحلة إيجابية ، ولكن هذا الترتيب لا يفرض على التحريات العلمية نظاماً واحداً لا يمس ، وإنما يهدف الى تنظيم الحقائق التي أدت اليها بحوث العلماء تنظيمياً منسقاً .

ويمكننا أيضاً أن نذهب الى أبعد من هذا فنقرر انه لا سيكلوجيا حتى ولا فيزيولوجيا دون سوسيوولوجيا ، وان علم النفس النوعي (الفيزيولوجي) يستضيء هو نفسه بضياء علم النفس الجماعي . نعم انه عندما يدعوا الأمر الى تنظيم المعرفة التي تم اكتسابها يتخذ علم النفس الجماعي مكانه بين السيكلوجيا النوعية والسيكلوجيا الفردية ، ولكن الشرائط المحيطة بالظواهر النفسية تبين لنا أن هذا العلم يجب أن يأتي في المنزلة الأولى لاصطباج العوامل الفيزيولوجيا والعوامل الفردية ذاتها بصبغة اجتماعية ظاهرة . واذا تصورنا علم النفس الجماعي على هذا النحو شمل نطاقه السيكلوجيا العامة كلها .

ان هذه الإشارة السريعة الى موضوع علم النفس الجماعي كافية للدلالة على قيمته . فهو يصل حقائق علم النفس الفيزيولوجي بحقائق علم النفس الفردي ويجمعها كلها في إطار واحد . ومن حسن الحظ أن يقبض الله لهذا العلم معرباً كصديقنا الدكتور حكمة هاشم ، فإن الترجمة التي أنتمنا بها أكل من الترجمة التي جاءنا بها أحد الكتاب المصريين . ولا غرو ، فالدكتور هاشم لا يكتب إلا عن اختصاص ، ولا يترجم إلا بدقة وضبط ، فالشكر له على بيانه المشرق ، وأسلوبه الرصين ، وأمانته العلمية .

تحت قناطر آرسطو

تأليف الأستاذ أمين نخلة ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٤

في مطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٤٢

لو أتبع لي أن أؤلف مثل هذا الكتاب لما اخترت له العنوان الذي اختاره له المؤلف ، فهو قد سمى القسم الأول منه : (تحت قناطر آرسطو) ، والثاني (حول القناطر) ، والثالث (بين الكرة والطمست) ، وهي عناوين غريبة توهم القاري بأنه سيجد في الكتاب شيئاً من فلسفة آرسطو ، ولكنه إذا قرأه لم يجد فيه إلا مقالات في الأدب والشعر والفن والحياة لا تمت إلى فلسفة آرسطو بأي صلة .

وليس هذا بقادح في قيمة الكتاب ، فهو مملوء من الخواطر النادرة والآراء الصحيحة والنكت اللطيفة . قال المؤلف : « إن الأدب مرآة الحياة : مجالها مجاله ، وإطارها إطاره ، ولا ريب . وكل أدب لا يتراءى فيه وجه الحياة على تمامه ، هو مرآة ناقصة ، طرحها أجدر من الإبقاء عليها . وكما أن الحياة قسوة وإعنات ، وتصعب وتصويب ، فكذلك ينبغي للأدب إذ أنه من المحصل ، الذي لا يختلف فيه اثنان ، أن الضحولة (كذا في الأصل ولعله الضحل) لا تقذف الأولو ، وإن عباب اليم لا يشق برأس الأصبع . . . ومن العبث أن لا يجعل الأدب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بمثله » (ص : ٦١) .

وهذا صحيح . إننا نرى مع المؤلف أن الأدب يجب أن يكون مرآة للحياة ، ولكننا نرى مع ذلك أيضاً أن هذه المرآة ليست صادقة ، وإنما هي مرآة مسحورة تبدل صور الحياة فتجعل القبيح جميلاً ، والتافه الحقيير كريماً سامياً . وما قيمة الأدب الذي يصور الحياة كما هي دون أي تبديل أو تغيير ؟ إنه أشبه شيء بعدسة آلة التصوير التي ترسم الأشياء بألوانها الطبيعية ، وهل

في هذا التصوير الواقعي جمال. كالجبال الذي تبدعه ريشة الرسام الملمم ؟ إن كل أدب واقعي مصبوغ بصيغة نفسية لمتها العاطفة وسداها الخيال . ولولا ذلك لما كان أدباً حقيقياً . لقد كان (زولا) على واقعيته واسع الخيال يشبه (الفاطرة) مثلاً بإنسان يلهث من التعب ، ويبالغ في كل ما يصفه من القبح النفسي والمادي ، ويجمع الحوادث ويرتبها ترتيباً مخالفاً للواقع فهو لم يستمد من الحياة إذن إلا خيوط الوقائع التي ألّف منها صورته الفنية ، ولولا ذلك لكان أدبه تقليداً مخففاً للحياة على النحو الذي أراد المؤلف .

وأصدق شاهد على ما نقول أدب الأساذ نخلة نفسه ، فهو سيف (فردوسه الأرضي) وفي (خصوصياته) و (اخوانياته) ، وفي كل ما يكتب من مقالاته أدب واقعي ، ولكن الواقع الذي يكتبنا عنه ليس خالياً من الاختراع والخيال . ونحن كثيراً ما يلذ لنا أن نتقري صورته وأحلامه .

جميل صليبا

فقه الإسلام

سمو مبادئه - رصانة قواعده - تعدد حزاياه ومحاسنه

تأليف : حسن أحمد الخطيب

لا يخفى أن مدار التشريع الإسلامي على الكتاب والسنة ، وما استند إليهما من إجماع أصولي أو قياس صحيح ، فلا يصح الاحتجاج بعمل أية حكومة إسلامية أو جماعة من المسلمين إذا هم خالفوا نصاً شرعياً ، أو إجماعاً معتدّاً به ، فإن أعمالهم ليست حججاً شرعية بالاتفاق ، بل منها ما هو مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، ومعارض كل المعارضة لما عرف من قواعد الاجتماع ، أليس من البديهيات أن الطفرة محال ، وأن قوانين كل أمة يجب أن تكون مستزعة

من روحها وتاريخها ، لاسيما أمة كآمتنا لما عظمت في التاريخ ، وعزّة قديم موروث ، فهي أخرى بأن تجدد بياضها عهداً ، وتحفظ لها وجوداً خاصاً بين الأمم الأخرى . ولا حجة أيضاً في عمل الجامدين لنعمة التاريخ الاسلامي المتفرقين في الأمصار إذا هم خطبوا أو كتبوا طاعنين في ملتنا وأمتنا ، ولا الجامدين الذين انقطعوا عن هذا العالم ومعاملاته ، ولم يعنوا بتخريج ما يتجدد من خسروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ، حتى ظن كثير أن معينها قد نصب ، ومادتها نفدت ، فليس في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاجتماعية والاقتصادية في عهد المدينة الحديثة . وجماع القول : إنه لا حجة في خروج فريق عن دائرة الاسلام ، ولا في وقوف آخرين ينتظرون مجيء المهدي عليه السلام ! بل عمل المسلمين في أهدي عصورهم وأرقاها هو حجة عملية لله وكتابه ورسوله وصالحه هذه الأمة تلى جميع من ذكرنا ، فقد وسعت شربتهم في ذلك العهد الزاهر حضارات الأمم الغابرة ، ودانت لها أمم الغرب بمدنيتهما الخاضرة . وهذا هو روح هذا الكتاب الجليل وخلاصته ، وما أجملاه هنا من عندنا لا يعني عن قراءة فهرسه المفصل ، وفهرسه لا يعني عن تتبع فصوله التي أربت صفحاتها على أربعمائة فقد طالعناه فأكبرناه ، واليك ملخص ما حواه :

- أما مقاصده وأبوابه فهي سبعة (١) أصول التشريع الاسلامي المتفق عليها
- (٢) الأدلة المختلف فيها (٣) أسباب اختلاف العلماء في الأحكام الشرعية
- (٤) القواعد الفقهية في التشريع الاسلامي (٥) محاسن الشريعة الاسلامية ومزاياها
- (٦) التشريع الاسلامي وحرية الاجتهاد (٧) بحوث وتحقيقات حول الشريعة الاسلامية ، وله مقدمة وخاتمة . وقد أباث في المقدمة الباعث على تأليف الكتاب والقصد منه ، ومنها قوله : وقد أهاب في نفسي ودوي في جوانبها صوت الضمير حينما انكبت على كتب الفقه الاسلامي ، غير متأثر برأي معين ، ولا متعصب لمذهب دون مذهب ، فراعني ما رأيت من دقة الأحكام والتخريج ،

وبيان الأصول والقواعد التي ترجع اليها أحكام الحوادث الجزئية الخ ...
 (وقال) : من أجل ذلك كله عوّلت على إبراز محاسن الشريعة ، يجمع الهام
 من أصولها وقواعدها ، وذكر شيء من فروعها وأحكامها ، وبيان ما يثبت أنها
 صالحة للأمن في كل عصر ، ووجوب الرجوع اليها في تشريعنا ، وذكر شهادة
 أساطين العلم والقانون في الشرق والغرب بفضلها ، عسى أن يتحقق بذلك توجيه
 أولي العزم اليها ، وإثارة رغباتهم فيها . وأما الخاتمة فقد جاء فيها : وعلى الشعوب
 الإسلامية وقادتها من العلماء وأولي الرأي أن يحملوا حكوماتهم ومجالسهم النيابية
 على الرجوع الى الشريعة الإسلامية عند التشريع ، وإلا كانوا جميعاً مسؤولين
 أمام الله ، ومقتصرين في حق أنفسهم ، ومفرطين في حق الأجيال القادمة الخ ...
 فهل من سميع وهل من مجيب ؟

وقد اشتمل كل باب من هذه الأبواب السبعة على عدة فصول ، وذكر مراجع
 كل باب من أبوابه (أي الكتاب) ، ومصادر كل فصل من فصوله ، من قديمة
 وحديثة ، عربية وأجنبية ، وهي من أجل المراجع وأفضلها .
 فالفصول الأولى من الباب الأول في مباحث الكتاب والسنة والإجماع
 والقياس وهي مباحث أصولية متممة مقنعة ، ومن الباب الثاني فصول في الأذلة
 المختلف فيها كذهب الصحابة ، وعمل أهل المدينة ، وشرع من قبلنا ، واستصحاب
 الحال ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، ومن فصول الباب الثالث : أسباب اختلاف
 العلماء في الأحكام الشرعية كتاباً وسنةً وقياساً . والباب الرابع في القواعد
 الفقهية في التشريع الإسلامي ، وذكر كثير من هذه القواعد الجامعة ، والباب
 الخامس في محاسن الشريعة الإسلامية ومزاياها ، ومنها (ص ٣٣٥ المزية ٢٢)
 وضعها قاعدتين أساسيتين للحكم : سلطة الولاية مرجعها الى الأمة - بناء الحكم
 على الشورى (فأين من هذا الذين يرمونها بحكم الفرد) ؟ وفي الباب السادس :
 التشريع الإسلامي ، وحرية الاجتهاد الشرعي ودم التقليد الميت . وفي خاتمة

الآبواب وهو السابع : بحوث وتحقيقات حول الشريعة الإسلامية ، ولا غنى لطالب علم ديني أو حقوقي عن مطالعته . ففيه بحث الفقه الإسلامي واستقلاله عن القانون الروماني ، وردة الشبهات التي يوردونها . رأي المؤتمر الدولي للقانون المقارن . الشريعة الإسلامية : وفاؤها بمجاليات الأمم ومطالبها في كل عصر ، دفع ما وجه إليها من شبهات . سلامة الأمم وأمنها وسعادتها بإقامة الحدود الشرعية . أصول القوانين ومصادرها في العصر الحديث . التشريع الإسلامي والقانون المقارن - موضوعات القانون المقارن . نقص الشرائع الحديثة ومساوئها . شهادة أساطين العلم والقانون في الغرب والشرق بفضل الشريعة الإسلامية ، وسمو أصولها ومبادئها وسعة مباحثها ، وانها تحمل كل العناصر التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية . وختم الكتاب ببيان واجب الأمة الإسلامية والشعب المصري ، وواجب الحكومات العربية : الرجوع الى الشريعة الإسلامية .

وإني أختم البحث بما نقله الأستاذ المؤلف عن مجلة الأزهر من مقال للدكتور عبد السلام ذهني المستشار بمحكمة الاستئناف (بمصر) سابقاً ، قال : « وفي الأخذ بالشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية ، تمكين للترعة القومية في مصر ، وانتصار للكيان الشرقي العربي وكرامته ، وفيه إحياء لمجد مدفون بغير حق ، وبعث لحياة شرقية عربية جديدة بحق » . أقول : « باليت قومي يعلمون » ويوجه هذا الخطاب الى الحكومات العربية ، ومجالسها النيابية ، وهل يعزب عن علمهم أن لكل أمة منهاجاً تسير عليه ، وخصائص تحافظ عليها ، وأن الأمة التي تستمد قواعد الحياة وأصولها من غيرها ، ولا تعتبر الفرق في الطباع والأخلاق ، ولا تأثير البيئات والأقاليم ، لا يمكن أن تعيش لنفسها وتحفظ بوجودها واستقلالها ، بل تكون عاقبتها الزوال ، وتكون جنابيتها على رعييتها فوق جنابيتها عدوها عليها .

١ - هذا وقد نصح العلامة المؤلف لتخرجي الأزهر وكلية الحقوق وطلاب التخصص ولسائر الباحثين أن يقبلوا على دراسة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم - وعدة طائفة من أفضلها في التشريع - وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ، والفروق للفراقي المالكي ، والأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ، وشروح أمهات كتب الحديث ، وكتاب نيل الأوطار ، وسبل السلام ، وتفسير آيات الأحكام ، « ليلغوا مرتبة الاجتهاد أو ما يقرب منها » قلت : ومثلها من أمهات فقه الإسلام : المغني للموفق المقدسي الحنبلي ، مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي ، والمحلى لمجدد القرن الخامس ابن حزم الأندلسي ، والمواصفات في الأصول والاعتصام في الفروع للشاطبي ، وغيرها ، فهي من جنس ما هدى إليه ، وحث عليه .

المصالح المرسلة للطوفي

٢ - جعل الأستاذ المؤلف الفصل السادس من الباب الثاني الذي خصه بالأدلة المختلف فيها - في المصالح المرسلة - وهي التي لم يشهد باعتبارها ولا بالنائها دليل معين من الشرع - وذكر أقوال أئمة الفقه في شأنها (ص ١٩٣ - ١٩٧) ولكنه لم ينوّه بشأن رسالة نفيسة ألّفت في موضوعها ، وهي رسالة الشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (المتوفى سنة ٥٢١٦ هـ) التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية ، وبين منزلة رعاية المصلحة من أدلة الشرع ، وكان جزء هذه الرسالة أستاذنا القاسمي الدمشقي ، وطبعها في مجموعة رسائل أصولية ، ونشرتها مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ثم طبعت بمصر مستقلة ، وهي من أنفس ما ألّف في رعاية المصالح المرسلة .

٣ - لیت المؤلف الكريم - وهو واسع الاطلاع - ذكر لنا بعض الكتب التي ألّفت في مصر والشام (ساحلها وداخلها) وغيرهما من أقطار العربية والإسلام -

في موضوع المقارنة بين الفقه الإسلامي ، وما يقابله في أعظم الشرائع القديمة والحديثة الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الاميركية والانكليزية والفرنسية ، والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، - ليعلم فضل هذا الفقه الإسلامي المستقل عنها .

٤ - وقعت في الكتاب أغلاط مطبعية قليلة لم نرها في جدول التصويب ، كابن ماجة بالناء (ص ٩٣ و ٣٩٢) وصوابها بالهاء وصلأ ووفقا . وفي (ص ٣٩٩) : والقلب على الشرائع الوضعية « والقلب المغلوبة وفي القرآن الكريم » وهم من بعد غلبتهم سيقتليبون « والمراد الغلبة .

جزى الله المؤلف خير الجزاء ، وأقر عينه بما يرجوه من توحيد التشريع لهذه الأمة العانية .

محمد بركة السطار

زُبدة الحلب من تاريخ حلب

تأليف كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن المديم
المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور
سامي الدهان . طبع في جزئين الأول عام ١٩٥١ والثاني عام ١٩٥٤

يقدم لنا المعهد الافرنسي بدمشق في كل سنة دليلاً جديداً على نشاطه العلمي وانصرافه للهدف الذي أنشئ من أجله لتعزيز التعاون الثقافي السوري الافرنسي وإحياء تراثنا والإشادة بأبجادنا ، وللميل الدكتور سامي الدهان الأثر البارز في هذا النشاط وحسن التوجيه . وقد أخذ الزميل على عهدته تحقيق ونشر هذا الأثر النفيس .

إن تاريخ حلب لابن المديم لا يحتاج لتعريف ، كان مؤلفه من أعلام القرن السابع هـ ، محدثاً ناضلاً ، ومؤرخاً صادقاً ، وفقهياً مفتياً ، درّس وأفتى وصنف . وهذا التاريخ من أجل تصانيفه ، ليس هو تاريخ حلب فحسب بل هو تاريخ

الشام وما يتصل بالشام وبالأخص حزوفا الشمالي . هذه وثيقة جديدة من تاريخنا تنبش من ظلمات دور الكتب لترى النور من جديد في حلة قشبية وطبعة محققة مفهومة تعمدتها بد أمينة وعين تقادة توحيان الثقة والاطمئنان للباحث والمستنير . وهذا التاريخ على اختصاره وإيجازه هو أوسع مصدر في تاريخ الشام وأجمع سجل لحوادث الدول التي تماقت عليه منذ عهد الأمويين الى حروب الصليبيين . ومن حسنات هذا التاريخ أن مؤلفه قد استقى مادته من مصادر فقد أكثر أصولها ، فلا عجب إن رحبنا بنشر هذا الكتاب وشكرنا لابن حلب البار جهده وجميل صنعه ووفائه للمدينة الشهباء .

وقد ظهر لي أثناء مطالعة الكتاب وجه الصواب في بعض عبارات النص رأيت الإشارة اليه ، منه : ص ٦١/١ حرباً وخراجاً وصلاة ، صوابه : حرباً وخراجاً وضياً كما جاء في ص ٧٠/١ . ص ٢٨/٢ وأحكم بد حزامه ، صوابه : وأحكم شد حزامه . ص ٧٣/٢ دخل زبجته ، صوابه : دخل على زبجته . ص ٨٢/٢ مرج الصفر : ممد شمالي دمشق ، صوابه : جنوبي دمشق .

تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء السادس

تأليف المحامي عباس العزاوي . عدد صفحاته (٣٩) صفحة من القطع الوسيط

طبع في بغداد عام ١٩٥٤

هذه حلقة جديدة يضيفها المؤلف الى سلسلة أبحاثه عن تاريخ العراق بين احتلالين دون فيها حوادث عهد حكومة المالك المعرفين بـ (الكولت) الذين قضوا على سلطان (الزنكارية) وطغيانهم وحلوا محلهم وتولوا إدارة العراق من سنة ١١٦٢ هـ الى سنة ١٢٢٧ هـ . وهذا الجزء عاصر بحدوث هذه الفترة من تاريخ العراق ، وقد ألحق به المؤلف مستدركات وتعليقات وردت على الأجزاء

السابقة وضم اليه نهارس أسماء الكتب والأمكنة والأعلام والمصطلحات الواردة في النص .

وكان لهذا العهد على ما فيه من منفصات أثره في نسيان العراق وعمرانه فقد عمه شيء من الرناء وصاحبه بعض النظام . ولم يزل العراقيون الى يومنا هذا يرددون في مجالسهم حوادث هذا العهد ويذكرونه بالخير .

وقد حاول المؤلف استخلاص الحقائق من مراجعها الكثيرة رغم غموض بعضها وتضارب نزاعاتها ، فجرد حوادثها من الشوائب التي كانت تشوبها وتضعف الثقة بصحة روايتها وتثير الشك في صدقها فأدرك غايته بتصوير حقيقة هذا العهد بأمانة خالصة من الميول والتزعات قدر المستطاع .

أضاف الأستاذ المؤلف بكتابه هذا ماثرة جديدة الى مآثره العلمية العديدة أثابه الله ووفقه .

جعفر الحسيني

مجموعه

معجم اللسان العربي الفصيح

تأليف تيودور نولدكه

طبعه ويوتبه المستشرق كرهمر - الجزء الثاني ٥٩ صفحة - برلين ١٩٥٤

THEODOR NOLDEKES

BELEGWÖRTERBUCH ZUR KLASSISCHEN ARABISCHEN
SPRACHE — JÖRG KRAEMER, Berlin 1954

ألف المستشرق الألماني الكبير نولدكه معجماً للسان العربي الفصيح ، جعله على جزأين وأوراق في شكل واسع مفصل ، وقضى قبل أن يستطيع ترتيبه ونشره ، ولذلك قام المستشرق الشاب الأستاذ كرهمر (الأستاذ بجامعة توبينغن في ألمانيا الغربية) بترتيب مواده في دقة وأمانة ، فأظهر منه الجزء الأول ، وجعل فيه من غير شك مقدمة شرح فيها طريقة تأليف هذا المعجم ، وبين

الأسلوب الذي سار عليه ، وولفه ، وما أضافه الناشر الشاب إلى هذا العمل الضخم ، وألمع فيه إلى جدول الرموز المختصرة وما تشير إليه من مصادر ومباحث . ويمكن طبعها وأما كن نشرها .

ونحن لم تقع من هذا المعجم إلا على هذا الجزء الثاني ، وهو في قرابة تسع وخمسين صفحة بحجم الربع ، يبدأ بكلمة (أسن) وينتهي بكلمة (أبنقآن) . ونستطيع أن نشين الطريقة مما جاء في هذا الجزء ، فهو يضع الكلمة العربية ، ويتبعها بالترجمة الألمانية لها ثم الانكليزية ، ويورد بعد ذلك المصادر التي جاءت فيها هذه الكلمة بذكر الصفحة والسطر ، سواء فيها الكتب أو المجلات ، ولا يتولى شرحها بالعربية . فكأنه جعل معجمه للباحثين من المستشرقين لعلمهم يسترشدون بما يبسط من مواقع هذه الكلم في نصوص اللغة العربية القديمة ، حتى لكأنه فهرس شامل أو ثبت بالمصادر التي وقعت فيها الكلمات الفصحى . وهو جهد كبير يستلزم مراجعة الكتب والمطان وفهرستها والبحث في تضاعيفها .

وسنضرب مثلاً لما في هذا المعجم لعل الناطقين بالضاد يفتقون عليه فينتفعون به في تحقيق الكتب وشرح الأمهات والتعليق على النصوص :
جاء في الصفحة ٣٠ من هذا المعجم ، كلمة «أفند» فيقول : انظر وقد ،
ويترجمها إلى الألمانية ، والانكليزية هكذا :

HERANNAHEN (ZEIT) / to DRAW NEAR (time)

ويذكر ورودها في المصادر الآتية : ديوان النابغة ٢ : ٧ - ليلد ٧١ : ٣ -
ياقوت ٥٨٦/١ - عمر بن أبي ربيعة ٢١٨ : ١ - الأغاني ٤٧/١ : ٥ ،
٢٣٦/٢١ : ٦ - النقاظ ٢١٣ : ٢ - وجاءت كلمة أفند في ديوان عمر بن
أبي ربيعة ١٦١ : ١ .

وتليها كلمة أفر ، أفق ، أفق ، أفك ، إنك ، أفرك ...

وهكذا ..

وهذه الطريقة علمية دعا اليها العلماء المستشرقون منذ زمن طويل ، وأرادوا أن يكون شرح الحكمة بسرد النصوص التي وردت في كتب اللغة والأدب والتاريخ . وإذا كان المستشرق نولده هو الذي حقق الأمانة ، فقد قام بشرط كبير من المشروع ، وبقي أن يثبت هذه النصوص بحرفها ، لا أن يدل على مكان وجودها ، فإن المراجع لا يملك هذه الطبقات الأوربية كلها ، فإذا ملك كثيراً منها فهو سيدخل جهداً في جمعها والتقريب بين رواياتها واختلاف مواقعها من العبارات . ولعل المستشرق كره من يرى رأينا في هذا ، وبفكر كما تفكر في معجم شامل حافل ، جامع مانع ، يحوي هذه الشواهد جميعاً ليكون في متناول الباحث كل ما يريد على كثير من البسر والتقريب . ولكن هذا العمل يتطلب جهداً جديداً يوازي جهد المؤلف ويضاعف في عدد الصفحات فيجعل المعجم ضخماً واسعاً . والمستشرق الشاب يعرف كما نعرف أن معاجم اللغات الأجنبية تحفل بهذه الشواهد بنصوصها عينها ، ومواقعها من الكتب القديمة مرتبة على التاريخ الزمني وفاق العصور ، فيدرك المراجع تطور معاني الحكمة على الأزمان والأقاليم ، وذلك بعيد بعيد .

فتحن نبارك بهذه الخطوة الأولى لأنها متينة قوية تحمل في ذاتها نواة لمعجم كبير يعمل له العلماء المستشرقون والعلماء العرب في الجامعات العلمية يكمل ما قام به المستشرق الكبير فيشر ، مما يطبع بجمع اللغة العربية في مصر . ولهذا نشيد باليد التي أسداها المستشرق الناصر (كره من) إلى الباحثين والعلماء ، وتقدير عمله أوفر التقدير ، راجين أن يتابع نشر الأجزاء التالية لأن الجهد كبير والمسافة بعيدة .

الدكتور سامي الدهان

آراء وأبناء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جاسته المنعقدة في ١٧ شباط سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين وهم السادة :

- ١ - الأستاذ ساطع الحصري : العراق
 - ٢ - الأستاذ عادل زعيتر : فلسطين
 - ٣ - الأستاذ يوسف البنوري : باكستان
 - ٤ - الأستاذ أحمد آتش : تركيا
 - ٥ - الأستاذ جورج سارطون : الولايات المتحدة الاميركية
 - ٦ - الأستاذ ايفيكني برتل : الاتحاد السوفياتي
- وقد صدرت بإقرار انتخابهم وتعيينهم ستة مراسيم جمهورية ارقامها من ١٢١٦ - ١٢٢١ بتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ . وانتخب المجمع العلمي في جلسته المنعقدة في ٣ آذار سنة ١٩٥٥ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك عضواً مراسلاً وهو الأستاذ مارون عيود من لبنان وقد صدر بإقرار انتخابه وتعيينه مرسوم جمهوري برقم ١٢٢٢ تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٥ .

شرح لزوم ما لا يلزم

- ١ -

زرت أنا والصديقان الأستاذان عبد الحميد العبادي وأحمد الزيات ، الأستاذ
الجليل الدكتور طه حسين في داره ، فأهدي اليها ، الى ما أهدى من حديثه الممتع ،
نسخاً من شرح لزوم ما لا يلزم .

وكانت كتابة شرح واف للزوميات أنيقة قديمة طال حديثنا فيها ، وتطلعتنا
اليها . حرصت على أن أقرأ الكتاب فوراً . فحالت الشواغل ، وأعجلني السفر
فحملت نسختي الى المملكة العربية السعودية ، ووضعتها على سرأي مني ، وفي
منازل يدي لأظفر بالنظر فيها بين الحين والحين .

ولم يتيسر لي النظر فيها إلا أول من أمس . لحها طرقي فامتدّت اليها يدي
بعد هزيع من الليل . فانتزع الكتاب اتفاقاً على اللزومية التي أولها :
بأني على الخلق إصباح وإمساء . وكلنا لعروف الدهر نساء
ووقع نظري على هذا الشرح :

«الإصباح الصباح . وهو تقيض المساء أما الصبح فهو أول النهار والفجر .
والإمساء تقيض الإصباح» .

فعبجت ووججت حيناً وقلت : هل الإصباح الصباح ؟ ثم هل يحتاج الصباح
الى تعريف ؟ ثم هل يعرف الصباح بأنه تقيض المساء ؟

وجلست فقرأت مقدمة الكتاب . فاذا الدكتور طه يقول في آخرها :
«والصديق الزميل ابراهيم الاياري أعظم الفضل في هذا الجهد . فهو الذي
احتمل عناء التنقيب والمراجعات على اختلافها ، كما احتمل عناء الشرح اللغوي .
وأنا على ذلك شريكه في تبعات ما احتمل من جهد» .

فعلت أن التبعة على الأستاذ الذي احتمل عناء الشرح اللغوي وإن تطوّع

الـكتور باحتمال التبعة معه . ووضيت فنظرت في التعليق على مقدمة أبي العلاء ، المقدمة العروضية التي افتتح بها كتابه فنزعت كما يفزع من يرى أفعى في باقة ورد ، ولست في قولي هذا غالياً ولا متزبداً ، نظرت في تعريف الأمكنة التي ذكرها المعري في المقدمة فاذا تعريف قاصر أو غلط واضح أو ترديد بين قيل كذا أو قيل كذا .

وأمرعت الى اللزوميات نفسها فوجدت الإبانة عن المعاني في أسلوب رصين جميل جدير بأن يكون شرحاً للزوميات أبي العلاء ولكنني وجدت مع هذا وقوفاً دون دقائق المعاني أحياناً وحيثاً عنها أحياناً .

ونظرت في الشرح اللغوي فاذا إسهاب في مرد ألفاظ وبيان اشتقاقها ، وإذا استطراد الى ما لا يتصل اتصالاً يتناً بشرح الألفاظ . فقلت : لكل شارح مذهبه . وهذا الإسهاب وهذا الاستطراد لا يخلوان من فائدة . ولكنني لم استحسن في شرح الألفاظ إلا كثر من قيل كذا وقيل كذا . وقلت في نفسي : إن الشارح ينبغي له أن ينظر ويختار ويفسر بما اختاره ، أو يبين أن الكلام يحمل هذا المعنى وذاك ، ولا ينبغي له أن يحكي اختلاف اللغويين في الكلمة الواحدة وهو يفسرها ثم يدع القارئ وإياها .

(٣)

مضيت في القراءة أحمد الله إن عبرت صفحتين لا مأخذ فيها ، وأعوذ به كلما وقعت عيني على ما آخذه على الشارح .

وبدا لي أن أسارع الى تسجيل هذه المآخذ وأبادر الى الكتابة عنها . ورأيت أن أبدأ على نسقها في الكتاب وأذكر المهم منها واحدة واحدة .

وقصدت بالمبادرة الى الكتابة في هذا الشأن أن أوفتي الكتاب حقه من العناية ، وأن أنبه الشارح الى ما في شرحه من مأخذ عسى أن يتجنبها في الأجزاء التالية . وأحسب الجزء الثاني بعد اليوم للنشر .

(٣)

التعليق على مقدمة المعري

قال الشارح : (ص ١٥)

الدوم شجر المقل • ثم نقل عن أبي حنيفة الديثوري وصف الدوم • وليس
الدوم في حاجة الى أن يصفه لنا الديثوري • فهو شجرة كالنخلة معروفة في مصر
وجزيرة العرب •

ونصوّر ما يعترى القارىء من عناء ودوار حين يقرأ : (ص ٣٥)
القلوص : الفتية من الإبل بمنزلة الجارية النثاء من النساء ، وقيل هي الثنية
وقيل هي ابنة الخاض ، وقيل هي كل أنثى من الإبل حين تتركب • فهل
يحتاج تفسير لفظ جاء في بيت في مقدمة أبي العلاء الى نقل هذه الأقوال
المختلفة ؟ وهل يحمل بالشارح أن يسردها للقارىء هذا السرد ؟
وجاء في المقدمة قول الأعشى : (ص ٣٥)

فدى لبني ذهل بن شيبان نافتي وراكبها يوم اللقاء وقلت
هم ضربوا بالحنو حنو قراقرم مقدمة الهامز حتى تولت
ففسر الشارح « قلت » في البيت الأول بقوله : علت وسمت ، دعاء لبني ذهل •
والصواب أن قلت فعل من القلة يعني ان هذه الفدية قليلة لبني ذهل ، وليس
هذا شيئاً الى الغلطة اللقاء في تفسير « حنو قراقرم » • قال الشارح : حنو قراقرم
قرب مكة حيث كانت الواقعة بين الفرس وبكر بن وائل •

فهل سمع أحد من قبل أن وقعت الحنو وقعة ذي قار الطائفة الصبت في التاريخ
العربي والأدب كانت قرب مكة • أنا أستغفر الله من نقل هذا الكلام •

وقال الشارح : (ص ٣٨)

ملع : جبل بسوق المدينة وقيل موضع بقرب المدينة •

وليت شعري كم ألف من زوار المدينة يرون جبل سلع أو يصعدون عليه كل سنة ؟ ألا تزال نشك في سلع أجبل أم موضع .
وقال الشارح : (ص ٥٠)

إضم : ماء بين مكة واليمامة . فب أن إضماء ليس وادياً ثم إلى المدينة كما أعلم .
فهل يجوز تعريفه بأنه بين مكة واليمامة ، وبينهما زهاء ألف كيل وصحراء لا يجوزها راكب السيارة إلا في ثلاثة أيام .
هذا بعض ما أخذته على التعليق على المقدمة . وإلى القارى ما أخذني على شرح اللزوميات نفسها :

اللزومية الأولى

إذا نزل المقدار لم يكُ لأقطا نهوض ولا للمُخدرات إباء
في الشرح (ص ٦٠) : المخدرات صنوف الحيوان المنتعات بالأنجيات .
وظاهر أنها هنا الأسود ، وقد غلب عليها هذا الوصف . وقول الشاعر
ولا للمخدرات إباء يدل على هذا .
وفي المتن : (ص ٦٢)

وزادك بعداً عن بنيك وزادهم عليك حُفوداً أنهم نجاء
والصواب نجباء . وهو تحريف مطبعي . ومثله كثير ولن أقعرض له من بعد .

اللزومية الثانية

فإن إباء الليث ما حلَّ الله . بأن مَحَلَّات الليث إباء
قال الشارح (ص ٦٧) : الله أشده . وما حلَّ أي ما نقص ونقص من مرتته ،
هذا قوله . والظاهر أن الشاعر يريد أن يقول إن إباء الليث لم يحلَّ بأنه يسكن
الأنباء وهو القصب . وهذا في الرد على من يعير أهل المعرفة باسم بلدهم . فيقول
لا يدل اسم البلد على حال أهلها . لم يلحق التشريب أهل يثرب ، ولا كان
إباء الليث من أنها تسكن الأنباء وهو قصب ضعيف . . .

اللزومية الثالثة

في الشرح : (ص ٧٤)

وزاءيت الرجل مرآة وورثاء ، أربته اني على خلاف ما أنا عليه
والصواب أربته خلاف ما أنا عليه ، وأحسبه من غلط الطبع .

اللزومية الرابعة

يقول المعري : سألت رجلاً عن معد وأهله

فيذكر الشارح (ص ٧٥) معد بن عدنان ويتكلم في أن ميم أصلية أو زائدة :
وأن النحاة يقولون ان الأظب على معد وقريش وثقيف التذكير الخ .

فهل ينتظر قارئ اللزوميات أن يوقف به على ميم معد .

ثم يقول الشارح في تفسير هذا الشطر : (ص ٧٥)

« سألت رجلاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بمقتضى الأشياء عن
معد أو رهطه » . فهل ذكر المعري أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر أو قال
سألت رجلاً فحسب .

ويقول : وما نُؤَبُّ الأيام إلا ككتائب

يقول الشارح (ص ٧٦) : النُؤَبُّ جمع نادر لنائبة والأعراف نواب .
ثم ينقل عن ابن جني تعليل جمع نُؤَبَّة بالفتح على نُؤَبِّ بالضم . فالنُؤَبُّ
إذا جمع نُؤَبَّة وليست جمعاً نادراً لنائبة كما قال .

اللزومية السادسة

وكم مفعى هجري أو مُشاكله من المقاول سرتوا الناس أمساءوا

يقول الشارح (ص ٨٠) : هجري نسبة الى هجر بفتحين مدينة . وهي قاعدة
البحرين . وقيل ناحية بها .

اللزومية التاسعة

يقول الشارح : (ص ٩٠)

اللزومية الحادية عشرة

فيقول الشارح (ص ١٥) في تفسير الفطانة :

فهل يحتاج قارئ اللزوميات الى هذا البيان اللغوي كله ؟ لن أعود من بعد الى نقد الإصهاب والتشكيك في الشرح اللغوي فحسي ما قدمت من أمثلة ومما يلتقيان القارئ في كل صفحة فالجديث عنهما يطول ويُمل .

وقال المعري :

تعالى رازق الأحياء طراً لقد وهت المروءة والحياء
الشرح (ص ٩٤) : تعالى أي جلّ ونبا عن كل ثناء الخ . فلماذا خصص تعالى
بالتعالي عن الثناء . الحق ان المراد تعالى الله عما لا يليق بالأنوثة . وفي التنزيل :
فتعالى الله عما يصفون . وتعالى عما يقول الظالمون . والله أهل للثناء الحسن :
« والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

اللزومية الثالثة عشرة

يقول الشارح : (ص ١٠١)

الدرع كبوس الحديد تذكر وتوث . ثم يقول : وتصغير درع دريم
بغير هاء على غير قياس الخ . وأقول : إن كانت الدرع تذكر كما يقول
فليس في تصغيرها على دريم شذوذ إنما تزداد الهاء في تصغير الثلاثي المؤنث .
ويقول المعري :

ولست كن يقول بغير علم سواء منك فتك واتقاء
يفسر الشارح (ص ١٠٢) البيت بما معناه اني أقول على علم . فأعلمك أن
الموت واقع لا محالة لا ينجيك منه فتك أو اتقاء .
والصواب أن الشطر الثاني مقول القول أي لست من القائلين على غير علم
إنّ الفتك والاتقاء سواء . ويبين هذا الآيات التي بعده فليتأمل القارئ .

اللزومية السادسة عشرة

يقول الشارح (ص ١٢٠) :

والفرقد واحد الفرقدين . وهما فجهان في السماء لا يفرّبان ولكنهما يطوفان
بالجدي وقيل هما كوكبان قريبان من القطب كما قيل انهما في بنات نعش الصغرى .
وأقول الفرقدان ظاهران لمن ينظر الى السماء لا يحتاج تعريضهما الى الحدس
م (١٠)

وتعداد الأقوال . ثم هذه الأقوال التي مردها الشارح لا تختلف فيما بينها .
فالفرقدان نجران لا يغربان ، في بنات نعش الصغرى ، قريبان من القطب .
ويقول المعري :

وأرى الأربع الفرائز فينسا وهي في جثّة القتي خُصّماء
فيقول الشارح (ص ١٢٥) : والفرائز الأربع العناصر التي يتكون منها
الكون . وهي المائية والترابية والهوائية والنارية .
وأقول : ان الفرائز الأربع ليست العناصر بل هي طبائع الجسم أو الأضربة
الأربعة : الصقراوي والسوداوي والدموي والبلغمي .
وجاء في أثناء الشرح : (ص ١٢٢)

وفي حديث يمة النساء « ولا بأتين بيهتان يفترينه » .
أقول هذا لفظ الآية . فان يكن اللفظ نفسه جاء في الحديث فالآية أولى
أن تذكر ويستشهد بها .
ويقول المعوي :

والبهارُ الشميمُ تحميه من وط . معاديك أرب شماء
يعني المعري أن المرعى تحميه حميتك وأنتك الأشم والأرب هنا أرب الأنف .
وسكّف المعري بالجناس جمع بين الشميم والشماء دون جدوى .
وقد قال الشارح اللغوي فيما قال (ص ١٣٤) : إذ المشمر ما دام موصولاً
بعرنين أنتك فهو أبعد من أن يوطأ .
وقال شارح المعنى :

فهم كالزهرة النضرة لا يذبلها وقع الأقدام ، ولكن يذبلها شم الأنوف .
وكلا الشرحين بعيد من المعنى كل البعد .

وجاء في الشرح (ص ١٣٨) الاستشهاد بقول الشاعر :

أضحت أمانةً منصوراً بها الرجم . لنى صعيد عليه التربُ مرثم

والصواب لقي صعيد ، واللقى الشيء الملقى .
وأعبر لزوميات على منات فيها وماخذ متخللها الى :

اللزومية الثانية والثلاثين

متى آذاك خير فاعليه وقولي إن دعاك البير آرى

يقول الشارح : (ص ١٩٥)

آرى كلمة فارسية ، بمعنى نعم ومرحى وحققا . وتكون بمعنى لا .
ولست أدري أين وجد الشارح أن آرى تكون بمعنى لا .

ويقول المعري :

فلو قبل الفواة عرفت كشفي من الكذب المموء ، ما توارى
والمعنى بين . يقول الشاعر : لو قبل الفواة الحق لعرفت كشفي وإباتي
ما توارى من الكذب المموء . ولكن الشارح يقول : (ص ١٩٥)
وكشفي أي ما أظهر مما لا مواربة فيه ولا مدهانة أي عرفت حتى
من باطلهم ولم يغتم عليك .

فانظر كيف بترك المعنى الجلي الذي يبين منه اللفظ الى معنى لا يدل عليه اللفظ .

اللزومية الرابعة والثلاثون

يقول المعري لمن يخاطبه :

عهدك تشبه سيد الفراء ولست مشابه لث الشري

تدرب فان وجدت خلعة فيا ليلستك أو التفتري

والمعنى بين . يقول الشاعر انك تختل ختل الدناب . تمشي الهوينى حتى تجد

الدرسة فتعدو اليها عدو السليك والتفتري . ويقول الشارح :

والدنيا خادعة ماكرة ومختالة ماهرة تدب ديب الشيخ الخ

وليس في هذه الأبيات ذكر الدنيا ولا الإشارة اليها .

وفي المتن :

فَيَوِّنْ عَلَيْكَ لِقَاءَ الْمَنُوتِ وقل حين تطرّق : أطرق • كرا
والصواب حين تطرّق أي حين تطرق المنوت •
ويقول المعري :

وتختلف الأنس في شأنها وأبعد بين باع وعن شري
فيقول الشارح (ص ٢٢٦) : الضمير في شأنها للحياة وإن لم يمر لها ذكر صريح
فالحديث عنها •

وأقول إن الضمير هنا للانس ، أي ان الناس يختلفون في شئونهم •

(للكلام صلة) نجدة عبر الوهاب عزام

عثرات الأقسام والأقسام^(١)

(مزاودة)

فمن عثرات الأقسام قولهم : (مزاودة) فقد نشرت بعض المصالح الحكومية
إعلان مزايدة بعنوان (إعلان مزاودة) كذا بالواو مكان الياء • ثم كررت
الخطأ نفسه إذ قالت (تأجيل المزاودة) (تجري المزاودة) (فمن كان له رغبة
بالمزاودة) والإعلان لا يزيد على بضعة أسطر وصوابه (المزايدة) بالياء لأنه
مصدر زايد بالياء وأصل فعله الثلاثي يائي وهو زاد يزيد لا زاد يزود • فكما
لا يقال من فعل (بايع يبايع) المباوعة لا يقال في زايد يزايد المزاودة إذ ليس
فعلها أجوف واوياً كالمصاولة والمقاولة •

(١) الأقسام جمع قسم المتحد الميم وهي لغة في الغم المتخفة التي نجما أفواء وقد
اخترنا الأقسام على الأفواء للازدواج بالأقسام •

(استبعاد)

ويقولون (ترى الحكومة استبعاد فلان عن العمل) يعنون إبعاده وهو خطأ :
لأن العرب تقول استبعد الشيء عده بعيداً غير متوقع الحصول . ويقولون
استبعد فلان عنا إذا تباعد وشط مزاره عنا . كأنه بمعنى طلب البعد عنا
وفضله على القرب . أما إذا أرادوا معنى التنحية عن عمل ما فيقولون إبعاده
وتنحيته وصرفه لا استبعاده .

(الحفاظ)

ويقولون (الوزارة الفلانية أمرت بكذا لأنها ترغب في الحفاظ على سمعة
سورية) وصوابه المحافظة على السمعة بمعنى حفظها وصيانتها من قالة سوء .
أما الحفاظ فلا يكون بمعنى الحفاظ في الفصح وإنما معناه الآتفة والحمية والغضب
للكرامة أن تمس كالحفيظة . والفعل منه (أحفظ) يقال أحفظني كذا أي أغضبني .

(كورس)

ومن عثرات الألفاظ : (كورس) يلفظونه على وزن جوهـ ومنهم من
يضم أوله . ويضيفونه إلى محطة الإذاعة فيقولون (كورس المحطة) أو (كورس
الإذاعة) ويريدون بها جماعة المقيمين فيها . وتري من الصواب العدول عن
كورس إلى (جوقة المحطة) والجوقة - وإن كانت مشكوكاً في عروبتها -
غير أنها بما عرفت العرب واستعملوه ودونوه في معاجمهم وفسروه بالجماعة من الناس
ثم خصوا به الجماعة من المقيمين . أما (الكورس) وبعضهم يلفظه كأصله
(خورس) بالخاء فلفظ يوتاني يراد به الجماعة من الناس أيضاً ثم خصوا به
جماعة الكهنة الذين وظيفتهم إنشاد الترانيم الكنائسية في الحفلات الدينية .
كما كنا نسمع من نصارى الساحل قولهم في صدد الكلام على الحفلات الكنائسية

(الخورس) فسألم ما الخورس فيقولون فئة من الخوارنة ترفع صوته بالترانيم في حفلات عيد الشعانين مثلاً . ولم نسمع كلمة (خورس) مستعملة إلا بهذا المعنى . ونحن لا نمنع التعريب واقتباس لغة من لغة لحين الضرورة . ولكننا نقضل أن لا ندع كلمة قاموسية مأنوسة بيننا وهي جوقة الى كلمة ليست كذلك . ولا سيما إذا كانت ذات صبغة دينية ، أو ذات مقام خاص بها وهو مقام الأعياد الكنسية وقال بعض الظرفاء : لو لم أسمع شمس الدين صاهي يقول في قاموسه : إن كلمة (خورس) - وهي اسم للدبك عند الأتراك - فارسية الأصل لقلت أنها يونانية وإن الدبك بما أوتي من موهبة الصوت أشبه بالشماس الذي يترنم بتمجيد الرب .

(خطورة)

يقولون : (لاحظ فلان خطورة الموقف فتجنب الدخول في ما لا يعنيه) كلمة (خطر) المصدر تكون بمعنى التهلكة يقال (فلان على خطر عظيم) وبمعنى جلالة القدر ورفعة المقام يقال فلان له خطر . وفلان خطير . وليس لفلان خطر أي قيمة ومتزلة . فإذا أراد قائل الجملة بخطورة الموقف عظيمته ورفعة شأنه صح : إذ أنهم يقولون خطر الرجل خطورة إذا صار رفيع القدر . أما إذا أراد بخطورة الموقف أن فيه الهلاك والتلف لم يميز الاستعمال ووجب أن يقول (خطر الموقف) لاخطورته . والراجح أن استعمال الكتاب لخطورة الموقف إنما يريدون أنه مؤدي الى التهلكة . فالأصوب إذن أن يقال خطر الموقف لاخطورته .

(رابض الجأش)

ويقولون فلان (رابض الجأش) بالضاد وصوابه (رابط) بالطاء . أي ساكن القلب لا يضطرب حين الفزع . أما الربوض بالضاد فمعناه أن تجثم الدابة على الأرض للنوم والاستراحة كما يترك البعير .

(القدامى)

ويقولون (أسلافنا القدامى) وقدامى جمع قديم كالقدماء لكنهم يفتحون القاف في القدامى وهو غلط صوابه انضم . ويجب قوم أن يتسامحوا في مثل ضم المفتوح أو فتح المضموم ويقولون : ولماذا هذا التنطع وما يضر إذا قلنا قدامى وفتحنا القاف ؟ ولا نطيل الجواب على هذا المعارض ونكتفي بهذا المثال الذي يدعن له الانصاف : وهو ان الفرنسيين يقولون في معنى القديم Ancien أنسين : أي بفتح الحمزة . فلو ألقى أحد الفرنسيين حديثا في الإذاعة وقال Oncien أنسين بضم الحمزة فهل تقبل منه (الأكاديمي) ذلك وهل يقبل ابن باريز منه الاعتذار الذي اعتذره ابن دمشق الذي فتح قاف (قدامى) ويقره عليه ؟

(القد)

ويقول المذيع في الإذاعة فلان يعني (قد كذا) و (تسمعون الى قد كذا) والمراد بالقد الأغنية أو ضرب من الأغاني أو من الألحان : وهو اصطلاح قديم . وعهدنا في لفظ (قد) أنه بفتح أوله لكن المذيع يكسره . مع أن القد بالكسر . مناه السير من جلد تتخذ منه الجبال والأغلال وفي أمثال العرب (امرأة سوء قد قتل وجرح لا يندمل) . و (القد) بمعنى الأغنية لم تذكره كتب اللغة حتى نعرف إن كانت قافه مفتوحة أو مكسورة لأنه لفظ مولد وإنما رجحت فتح قافه لأننا كذا نسمعه من متعاطي فن الغناء من يوم أن خلقنا ونرى أن تسميتهم الأغنية به (أي بالقد) أنسب لما في الأغاني من وصف قد المليح والتشبيب بتثنيه . والقَد بمعنى القوام قافه مفتوحة وكذلك تسميهم يجمعون القد بمعنى الأغنية على قدود ولو كان بالكسر لجمعوه على أقداد مثل نبتة أنداد وضد أخداد .

(تريض)

ويقولون (حديقة لتريض الأطفال) صوابه لترويض الأطفال لأن فعله الثلاثي واوي (راض يروض) والمتعدي (روضه يروضه) والمطاوع (تروض تروضاً) بالواو لا (تريضاً) على أن المعروف في مطاوع روضه (الارتياض) لا الترويض فصواب الصواب أن يقال حديقة (لارتياض الأطفال) وإذا كان ولا بد من الفعل فليقل (تروض) لا (تريض) .

(التنويه)

ويقول مدير الجريدة : أرجأنا المقالة الى العدد الآتي فاقضى التنويه ، التنويه بالشيء أو بفلان معناه تعظيمه ورفع الصوت بذكر اسمه ورفع شأنه ولكن درجت كلمة التنويه على الألسنة بمعنى التنبيه وهو خطأ فالأولى أن يقال أرجأنا المقالة فاقضى التنبيه . وامل التقارب بين اللفظين هو الذي أورد الأقلام والأفهام هذا المورد .

(المراقبة)

ويقولون (شارع ضيق وفيه مرآب ترابط فيه السيارات) مرادهم بفعل ترابط أن السيارات تقيم فيه أو تبيت فيه أو تستودع فيه ونحو ذلك ، أما فعل رابط يرابط فلا يحسن أبداً أن يستعمل مع السيارات وأشباهاها حتى ولا مع الحارس الشرطي حين يلزم محقره للمعاصرة .

وفعل (رابط يرابط) إنما يستعمل عند البقاء في مقامين :

(١) إقامة الجنود بخيولهم على الحدود متربصين للعدو فلا يفجأ أرض الوطن فيقال لنا جيش قوي يرابط على حدودنا . وكان صلاح الدين الأيوبي إذا هادن الصليبيين صرف جنوده الى أمليهم وبقي في فئة من عماليكه وخاصة جنده يرابط على الحدود .

(٢) إقامة الصوفي والزاهد في رباطه أي زاويته يرباط ويجهد في العبادة وقيام الليل . كأنه يجاهد نفسه ويدافعها عن الشرور والآثام . وكان إبراهيم بن أدهم يرباط في رباطه على ساحل بحر الروم بعد الله ويرقب قرصات العدو وكان رباطه في جيلة أو على مقربة منها فنسبت إليه وقيل جيلة الأدهمية .
في هذين المقامين يستعمل فعل (رباط يرباط) فلا يقال رابطت السيارة في المرأب ولا رباط الشرطي في المختار ولا قاطع الطريق في مكان كذا .

(الشجب)

ومنها قولم (عرض الأمر الفلاني على الوزير فشجبه) وهذا الخطأ في استعمال فعل (شجب) قديم على السنة كتابنا المعاصرين وهم يريدون به معنى استنكار الشيء واستقباحه ووجوب رده . وليس معنى (شجب) في اللغة ما توهموا . وإنما معناه الحزن والهلاك : شجب زيد حزن وشجب عمرو هلك وشجب الله فلاناً أهلكه . فيمكننا أن نستعمل مكان (شجبه) بمعنى عدم الرضا منه - تكبره وأنكره واستنكره وتبجحه واستقبحه ، واستبشعه وعابه ورده ولام عليه ، ولم يرض عنه الخ الخ .

(الغيرة)

ومن عثرات الأرقام كسر أول (الغيرة) مذ يقولون (اذا ولد للصغير أخ استولت عليه الغيرة) وصواب الغين فتحها . ومثلها كلمة (الحيرة) يكسرون حاءها والصواب فتحها . ويستثنى من ذلك بلد (الحيرة) في العراق فان حاءها مكسورة .

(المرثاب)

ومن الأغلاط قولم (فينبغي إلغاء هذا المرثاب) وصوابه (المرأب) على وزن مفعل (اسم مكان) لا على وزن مفعال (اسم آلة) : المرأب مكان ثراب أي تصلح فيه السيارات أو تودع : كالخزن مكان تخزن فيه الغلال والبضائع ونحوها .

(طيلة)

ومن عثرات الأقدام قولهم (لم ينم المريض طيلة ليلته) كلمة طيلة شاعت على الألسنة شيوعاً ملحاً بل عملاً مراداً بها طول الزمن مع أن اختها كلمة (طول) أقدم في استعمال الفصحاء وأخف على الأفواه والأسماع : فهم يقولون طول الليل وطول النهار وطول السنة ولا يستعملون طيلة للزمان إلا في مقام واحد كما يفهم من كتب اللغة ودور مقام الدعاء يقولون (أطال الله طيلة الأمير) أي عمره ولا أظن الكاتب المتقن يستجيز لنفسه استعمال (طيلة) إلا في مثل هذا المقام وهذا إمام اللغة (ثعلب) جمع الكلمات الفصحى الجديدة باستعمال الكتاب فلم يذكر طيلة وإنما ذكر طوال بفتح الطاء فقال (لا أكلك طوال الدهر) أي مدى الدهر فهو رجعها في فصاحة الاستعمال على اختها (طول الدهر) فما تراه فاعلاً لو قلنا (طيلة الدهر) ؟ بل الأغرب من ذلك أنهم استعملوها في المكان فقال قائلهم (وكانت أقواس النصر منتشرة على طيلة الطرقات) ؟ وربما فتحوا طاءها فقالوا طيلة !!!

(عبر)

ومثل ولوع الكتاب بكلمة (طيلة) ولوعهم بكلمة (عبر) بكسر العين وسكون الباء . وكأن مترجماً ترجمها عن كلمة فرنسية فشاعت وسواء أكانت الترجمة في محلها أو في غير محلها فإن الكتاب حتى المعروفين منهم أسرفوا في استعمالها . فني صفحة واحدة تقرأ (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) (سافروا إلى الكويت في سلسلة الرحلة التي يقومون بها عبر العواصم العربية) (التلوج إلى عوالم عبر هذا العالم) دع عنك قولهم (عبر الأيام) و (عبر الصحراء) . ولا نقمهم لمعنى (عبر) في استعمالهم إلا ما تفيد كلمة (داخل) (خلال) بل إن حرف الجر (في) ينفي عنها . ويرجح الأسماع منها ، وفي القرآن (أفلم يسجدوا في الأرض)

ولو قالما كتاب النجوم لقالوا (عبر الأرض) ، والعبور في اللغة مرور شيء في شيء أما (عبر) فيقال في اللغة (عبر الوادي) شاطئه أي أحد جانبيه . ومثله عبر النهر . فيكون معنى (عبر الصحراء) أحد جانبيها وهم بالطبع لا يريدون هذا وإنما يريدون معنى آخر تفيد كلمة افرنسية أو انكليزية لاطئة في أذهانهم . فقولهم السابق (تجارة أفغانستان عبر الباكستان) إن أرادوا من عبرها استقرار التجارة فيها صلح أن يقولوا (في الباكستان) أو (داخل الباكستان) وإن أرادوا من عبر الباكستان أن التجارة تجتازها وتمر فيها مروراً (ترانزيت) - ولا نظنهم يريدون هذا - فعندها يصلح أن يقولوا تجارة الأفغانستان مجتازة أو مارة بالباكستان أو يقولون اجتياز التجارة أو مرور التجارة أو عبور التجارة أما (عبّر الباكستان) فلا يعرف العرب استعمالها بمعنى (في) ولا بمعنى اجتياز وإنما يعرفونها بمعنى الشاطئ والجانب الآخر من الصحراء والنهر والوادي .

(سواح)

ومن العثرات قولهم (قافلة سواح تمر بدمشق) وصواب سواح بالواو أن يقال (سياح) بالياء لأن فعله ساح يسبح : أي انه نل يأتي لا واوي .

(بيعة)

ومن عثرات الأتقمام قولهم (وبعد أن تمت البيعة للملك جري كذا وكذا) يلفظون (البيعة) بكسر الباء وهو خطأ لأن بيعة الملك بمعنى مبايعته والحلف على الإخلاص له فباؤها مفتوحة أما بيعة المكسورة الباء فهي معبد النصراني وتجمع على بيعة ويقال لها كنيسة أما الكنيس من دون تاء التأنيث فهو معبد اليهود .

(غيلة)

ومنها قولهم (قتلوه غيلة) يفتحون أولها أي يفتحون حرف الفين وصوابها الكسر وهي اسم مصدر بمعنى الاغتيال . وهو أن يقتل رجل آخر من حيث لا يشعر أنه يريد قتله .

(معرض)

ومن عثرات الأتقان تشديد (المعرض) فقد سمعت من تقول في الإذاعة وفلان معروف انه (معرض) أو (من المعرضين) تعني أصحاب الأغراض والعرض الهدف وأعرض أصاب الغرض وأصبحوا يريدون من المعرض الذي له قصد سيئ أو مصلحة شخصية في أمر من الأمور . وهذا الاستعمال للغرض مولد دخيل وقد أجزأه لم بشرط أن يشتق من أغرض فهو معرض بتخفيف الراء . أما (معرض) بتشديدها فله معان أخر لا تناسب معنى القصد السيئ .

(التأخلق)

ومن العثرات الغريبة قولهم في نشرة مصرية (الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية) ومرادهم بالتأخلق (التخلق) أي الاجتهاد في جعل الأخلاق الإسلامية عادة للمرء وطبعاً راسخاً في نفسه . فلماذا تركوا (التخلق) وهو المجهود الاستعمال في كلام الفصحاء وآثار السلف وعدلوا الى (التأخلق) الذي لا يمت الى اللغة ولا الاشتقاق الصرفي بصلته ما : كأنهم ظنوا أن الحمزة في كلمة (أخلاق) أصلية فهم يدخلونها في بناء فعل تأخلق وليس الأمر كذلك وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم (تأرجح الأمر بين كذا وكذا) وقولهم (كان الدخان يتأرجح في سماء المدينة) وصوابه (يترجح) لكنهم توهموا أن الحمزة في (أرجوحة) أصلية فأدخلوها في الفعل . وكانوا قديماً يقولون خطأ أيضاً (تترجح الأمر) على توهم أن ميم (مرجوحة) أصلية وليس كذلك فلا الميم ولا الحمزة يجاز أن تدخلها في الفعل وإنما الصواب أن يقال (ترجح) أي تردد بين الجهتين والجانبين : نارة ينة ونارة يسرة .

(مِيزَة)

ومن عشرات الأقسام تشديد كلمة (ميزَة) فيقولون مثلاً أن لتاريخنا العربي (مِيزَة) على سائر التواريخ . مع أن ميزَة على وزن ميرة لا تشديد فيها : وهو اسم مصدر لفعل ماز يميز كما في شرح القاموس .

(حقل)

ومن عشرات الأذهان ولوع الكتاب بكلمة (حقل) في قولهم فلان أحد العاملين في حقل الحركة التحريرية ولو حذفوا كلمة حقل لحسن المعنى ووافق أسلوب كتابنا الأقدمين . ولوافقوهم أيضاً لو قالوا (في ميدان الحركة التحريرية) ولعمري أن تشبيه رجال الحركة بالعاملين في الميدان خير من تشبيههم بالعاملين في الحقل !!!

(آذان)

وسمنا الراديو بل أحد المذيعين على لسانه يقول (نحن الآن بانتظار آذان المغرب) بمدة همزة آذان ، وآذان بالمد جمع أذن وهي الجارحة التي نسمع بها فصاويه (آذان) من دون مد الهمزة ومعناه التأذين وإعلان وقت الصلاة . وهذه الغلطة من الراديو كانت تتكرر ثم تصلح ثم يعاد إليها . فهي إذن سبق لسان . وتكرار التنبيه يؤدي إلى فرط الانتباه .

★ ★ ★

ولا ينبغي أن يستهان بتصحيحات هذه الأغلاط ولا سيما ما وقع منها في الإذاعة لأن المستمعين والمستمعات يعدون بالآلاف وليس كلهم ممن ينتبه إلى الصواب فيها فإذا علقت الغلطة المتكررة - وهي متكررة بالطبع - بسمع مثق مثلاً من الضعاف في اللغة واستأنسوا بها واستعملوها في كلامهم لا جرم أن الخطأ فيها يسهل على من حولهم . فتسري العدوى . ونعم البلوى .

الحزاة الشرقية

الجزء الأول طبع بالمطبعة الكاثوليكية بيروت سنة « ١٩٥٢ »

- ٢ -

٦- وقال في « ص ٦٧ » من ذلك الجزء « ثم حضر صاحب أيضاً مجلساً في عكبرا وهي بلدة في نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، مشهورة بجودة الخمر ... » .

والصحيح أن عكبرا لم تكن أيام صاحب بن عباد من نواحي دجيل ، قال ابن عبد الحق في سمرامد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي وتبع لأوهامه « عكبرا : بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة ، وقد بُمد ويقصر بلدة من ناحية دجيل ... قلت : كانت عكبرا من الجانب الشرقي على شاطئ دجلة فلما استحال دجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة وخربت وانتقل أهلها الى أوتانا وغيرها وصار ما في شرقيها الى دجلة من عمل دجيل ويسمى الآن المستنصري ، لأن الامام المستنصر استخرج لها نهراً يسقيها من دجيل ووقفه على آدُر المضيف التي أنشأها في محال بغداد لفقور الفقراء في شهر رمضان » . فاستحال دجلة الى الشرق وخراب عكبرا كانا على عهد المستنصر بالله « ٦٢٣ - ٦٤٠ هـ » أي بعد عصر صاحب بن عباد بسنين كثيرة ، وأما قبل ذلك فكانت عكبرا من شرقي دجلة مع أن دجيلاً من غربيها دائماً . فلا يصح أن تكون عكبرا من نواحيه ، وبعد انتقال دجلة عنها وخرابها لم تبقى فائدة في ذكرها سوى الفائدة التاريخية كالتي ذكرناها الآن .

٧- وتكلم في « ص ٧٤ » من الكتاب على « الفقراء الخريين » وقال « يصيب جداً تعيين الزمن الذي أطلق فيه لقب الخريين على الفقراء الذين عرفوا بالاستهانة بالشرائع والآداب وامتناع المحارم والمآثم ، ولذلك صار طابع كتاب

الحوادث الجامعة لابن الفوطي - يعني أنا نفسي - ولم يدرك له توجيهها ...» .
وقد صدق الرجل في أني لم أهتم يومئذ الى معنى «التخريب» ولا هو اهتدى
الى أصله بل ذكر شواهد على استعماله ، وقد اشتهر الفقهاء القاندريون بالاستهانة
بالشرائع واستباحة المحرمات ، ويظهر لي أن «التخريب» مأخوذ من «خراب
النفس» الذي سماه الفرس «خرابات» وسموا الذي لا ينتهي عن منكر ولا
بأنف من عمل قبيح ولا يلتزم الفرائض «خراباتي» فالتخريب عندي أن يكون
الانسان «خرابتيًا» أي غير مبالٍ بما يجب عليه أدباً وشرعاً قال الأستاذ
الحق عباس الغزالي في سيرة «الشيخ مصطفى المولوي الخراباتي» :

«وهذا الدرويش كان من الملامية ... أكثر الناس من التقول عليه
بأنه لا يبالي (خراباتي) والله أعلم بحقيقة الحال» (١) . ولقائل أن يقول إن
الخراباتي يجوز أخذه من «الخرابات» أي المواضع الخربة ، وذلك الخرابات على
المغارات عند الفرس ، فالسادر الذي لا يبالي بأوي الى المواضع الخربة كما يفعل
كثير من الدراويش والفقراء وهناك يفعلون ما يفعلون ، وقد استعملت «الخرابات»
في الشعر العربي كما في قول نجم الدين ابراهيم بن هاشم النيلي يهجو عن الدين
أبا الفضل عامر بن عامر البصري من أهل القرن السابع :

يحبك ربع في خرابات باطني غدا عامراً والبال بالـ وداثر

وذلك شيء من عجائب دهرنا فوا عجبا إذ في الخرابات عامر (٢)

٨ - وذكر من المخربين «علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري» المتوفى
سنة «٦٤٥» هـ كما في ذيل الروضتين «ص ١٨٠» وتاريخ أبي الحسن الخورجي
وفيها أو في سنة «٦٤٦» كما في التجوم الزاهرة «ج ٦ ص ٣٥٩ - ٢٦٠»
أو في سنة «٦٤٦» كما في الموسوم بالحوادث الجامعة «ص ٢٣٥» وقال :
«ونشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهجه في التخريب الديني والأدبي وتجاوزوا

(١) المراق بين احتلاين «ج ٥ ص ٥٣» .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي «ج ٤ ص ١٤» من نختنا الخطبة .

بارشاده الى التخریب المادي فكانوا يهدمون كل ما تنازلت فيه أيديهم من معابد
النصارى ونصّ ابن شاکر على أن خراب كنيسة المصلبة أي كنيسة حنانيا
بدمشق سنة « ٥٨٠ / ١١٨٤ » وتحويلها الى مسجد قام به رجل حريري في
زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يدرك المستشرق سوفير فيما نقله
من عيون التواريخ الى الفرنسية معنى لقب « الحريري » فترجمه Marchand de soie
بدلاً من Partisan de la secte Haririeh .

وهذا قول يحدو على العجب فإن « علياً » هذا كان يُقال له « الحريري »
قبل أن يؤسس الطريقة الحريرية ولم يكن حريراً وحده بل كان معه « حريريون »
فإن سلمنا أن ولادته كانت سنة « ٥٥٥ » هـ لأنه توفى متيقاً على التسعين
كان عمره سنة أخبرت كنيسة المصلبة (أي سنة « ٥٨٠ ») خمساً وعشرين سنة
فكيف نشأ له تلامذة وأتباع مشوا على منهاجه في التخریب الديني والادبي
حتى تجاوزوهما الى التخریب المادي ؟ وهو في هذه السن ؟ وكيف تجوز طريقته
في مثل أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الحريص على جملة الاسلام
ونفصيله وتفاريقه ؟ ومتى هدم الرجل بناءً آمن الأبنية حتى ينسب أتباعه وتلامذته
الى مثله ، ولم يلمّ يباشر ذلك بنفسه وهو في ريعان شبابه ؟ فالصحيح أن
طريقة الحريرية لم تكن معروفة سنة « ٥٨٠ » هـ وأن « الحريري » الذي سعى
في هدم الكنيسة كان حريراً يحرك الحرير أو يشتغل به كسائر الحريريين
بومشذ وأن المستشرق سوفير قد أصاب في ترجمته وأن الباحث الباضل واهم فيما قال .
٦ - وقال في « ص ٩٣ » مستقصياً ماورد من « مفعول ومفعولة على مفاعيل »

على زعمه :

« منع أهل اللغة أن يقال مشعوب بدلاً من شعب ، ومع ذلك فقد أجازوه
الجاحظ كما تقدم من كلامه آتفاً » . وكلام الجاحظ المقدم هو « مباهير كثيرات
التعب ومباهير متاعيب قد علام البهر » .

وليس في «متاعيب» دليل على أن المفرد «متعوب» كما ظن الرجل، لأن «مفاعيل» مشترك بين «مفعَل كذا كَر» ومذاكير من أسماء المفعول و«مُفَعَّل» اسم مفعول أيضا كمسند ومسانيد ومرسل ومراسيل ومصعب ومصاعيب ومنكر ومناكير ومفرد ومفارب، و«مُفَعَّل» اسم فاعل كطفل ومطافيل و«مِفْعَال» كذباع ومذاييع و«مِفْعِيل» كسكين ومساكين و«مفعول» كضمون ومضامين^(١)، فالمتاعيب جمع «المتعَب» اسم مفعول من «أتعبه إيتاباً» فتأمل ذلك واعجب من رجل لم يدرس الصرف حقاً دراسته ويدخل نفسه في مسائل صرفية كالتي قدّمنا ذكرها .

١٠ - وقال في «ص ٩٤» في الجمع المذكور «بجهود مجاهيد» وتقل من معجم البلدان «أفت بمصر فرأيت أهلها مجاهيد» وقول القاضي الفاضل «مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدأبون» . والمجاهيد هنا جمع «تجهّد» اسم مفعول من «أجهده إجهاداً» فهو كالمتعَب والمتاعيب، وعلى قياسه الصرفي . ثم إن «المجهود» من المصادر التي جاءت على «مفعول» كالمجلود والمخوف والعرب تختص جمع «المجهود» اسم المفعول على مجاهد لثلاثين يجمع المصدر المذكور .

١١ - وقال في «ص ٩٤» : «مخروج محاريج» لا في العلاء :

ما اليسر كالعدم في الأحكام بل شحطت حال النياسير عن حال المحاريج ولم يفتن إلى أن «المحاريج» جمع «المحجّاج» أي المحتاج أو الكثير الحاج باجماع من ذكره من اللغويين وهم كثير . وقد أغرب أيضاً في تصحيحه «تاريخ قضاة الأندلس» بقوله «ص ١٢٤» من التصحيح «المجازيم جمع مجذوم

(١) يضاف إلى ذلك أن أشباع كسرة ما بعد الألف من صيغة متبني الجوع حتى تصير كسرة جائر كزورق وزواريق ومذبح ومذاييع ومنه «ثنية المذاييع» التي ذكرها الباحث الفاضل في مقاله «ص ٩٦» فظنها جمع المذبوح . وكذلك فعل بالمقول والمقاريل في «ص ١٠٣» ظنه جمع «مقول» اسم مفعول وبالملايين جمع ملبس في «ص ١٠٣» .

أو المحاويجُ جمعُ 'محوج أي القراء' فليسائل نفسه لماذا جمع هناك «المحوج» على «المحاويج» ؟ إنه بعيد عن هذا الفن الذي تكلفه تكلفاً ظاهراً ، فكان عليه أن يتوقى الوهم كثيراً .

١٢ — وقال في «ص ٩٥» من كتابه «محروق مخاريق» قال العتيبي :
ولي صاحب سرّي المكتّم عنده مخاريق نيران بليل تحرقُ
نقل ذلك من «الحامض والمساوي ٢ : ٥٩» . والنص الذي نقله فيه تصحيف
فهي «المخاريق» بالحاء المعجمة لا «المخاريق» كما ظن . قال المبرد في الكامل
«وقال آخر :

ولي صاحب سرّي المكتّم عنده مخاريق نيران بليل تحرقُ»
فقال الدجوني الأزهرى في شرحه «ج ٢ ص ٢٣٦» من طبعته «مخاريق
نيران : جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم
بعضاً ، استعارها للشعل التي تشعل النار فيها ، شبه السرّ عند صاحبه الذي
أوصاه بكتمانها . بشعل النار التي تخرق بالليل ، يريد أنه لا يكتم سرّاً » .
قلت : وأورد صاحب جهره أشعار العرب قول عمرو بن كلثوم :

كأنت سيوفنا قينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعينا
وقال «المخاريق : ثياب صفار يلعب بها الصبيان ويضرب بها بعضهم بعضاً
وقيل عيدان» (ص ١٦٣) ثم أورد قول قيس بن الخطيم «ص ٢٤٧» :
لقينكم يوم الخنادق حامراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
وقال «المخراق : ثوب يجعله الصبيان مفتولاً في أيديهم يتضاربون به » .
وأياً كان فهو ليس بمحروق .

١٣ — وقال في «ص ٩٦» في البحث نفسه «نحو من مخاميص ، من قولهم :
خمس الجوع فلاناً فهو نحو من قال زهير بن سهم المرادي من أبيات :
وابن المتبحر ومرداس وإخوته إذا فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

نقل ذلك من أنساب الأشراف للبلاذري ٤ : ٨٨ » . وكان المبرد قد نقل هذا البيت وما معه في الكامل « ج ٣ ص ١٥٦ - ٢ » ونقلها من كتابه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « مج ١ ص ٤٥٣ » قال الدجواني الأزهري « مخانيسا : أي ضامري البطون ، كناية عن الزهد في الدنيا وقلة ما يملكون منها رغبة عنها » . وعلى هذا يكون مفرد المخانيس « الخصاص » لا الخصوص ، فهو مثل « المحواج والمفضال والمقدام » أدل على المبالغة ، وليس من دليل في الشعر ولا في الكتب التي ورد فيها على أنه جمع مخصوص . والفعل « ختمص » ورد متعديا ولازما فالخخاص من اللازم .

١٤ - وقال في « ص ٩٦ » أيضا مذكور مذاكير ، لأبي الشبل البرجي (كذا) في رثاء صراحه :

وليس يقوى بروقه جبل صلا من الشمخ المذاكير
والصحيح أن « المذاكير » هنا جمع « المذكر » اسم مفعول بتشديد الكاف والمذكر عند العرب كل ما يدل على القوة والشدة والصلابة ، ولا معنى لمذكور هنا في وصف الجبل ، كما هو بين للتأمل المدرك معاني كلم العرب .
١٥ - وقال في « ص ٩٧ » نقلاً من الأغاني ١٣ : ٢٨ لأبي الشبل البرجي في رثاء صراحه :

يلتهب الموت في ظباه كما تلهب النار في المساعير
قال « مسعود مساعير » يعني أن « المساعير » في البيت جمع « مسعود » ، ولم يفتن المراد بالمساعير مع أن استعمالها كالأسماء لا كالصفات كان حري^(١) أن يعيش على التفكير في حقيقتها ، فالمساعير جمع « مسار » وهو ما تسير به النار كالقبس والأشياء السريعة الاحتراق والالتهاب ، وليس بين الأسماء « مسعود » بالاطلاق حتى يدعى أنه اسم جمع على « مساعير » وإنما يقال نار

(١) بفتح الحاء والراء والقصر .

مسمورة ورجل مسمور أي أكل متكثر وثاقه مسمورة لا تستقر من القلق .
 ١٦ — وأثبت في « من ١٠١ » معروفًا ومعاريف قال في « العقود اللؤلؤية
 للخزرجي : وصل كتاب بعض معاريفه من أهل تمر » . والصحيح أن « المعاريف »
 أصلها « معارف » يقال « هو من المعارف أي المعروفين » ، كأنه موضع
 للعرفان ، ثم أشبعت الكسرة فأصبحت « معاريف » وقد ذكرنا جواز الاشتباع
 في حاشية سابقة ، وليس في النص المنقول نص على المفرد فينبغي أن يخرج على
 الوجه المستعمل المقبول .

١٧ — وقال في « من ١٠٥ » « منكول منا كيل ، لابن الجندي الشاعر الحمصي :
 فكيف يرجون عهداً للذين هم بهت شجاع مثائم منا كيل »
 فمنا كيل ان لم يكن تصحيف « منا كيد » فهو جمع « منكال » للكثير
 النكول وليس للمنكول وجه لأن فعله لازم ولأنه لا يلائم معنى البيت .
 ١٨ — وقال في « من ١٠٦ » أيضاً « ميسر مياسير » والصحيح أن
 « مياسير » جمع « ميسر » اسم فاعل من الرباعي « أيسر إيساراً » وقد ذكرنا
 ان « مُفعِلاً » اسم الفاعل يجمع تكسيراً على مفاعيل ، في أول الكلام على
 هذا الجمع ، والموسر : هو الغني ضد المسر . قال الجوهري في الصحاح
 « ورجل مُفطر وقوم مفاطير مثل . موسر ومياسير » .

١٩ — وتكلم في « من ١٤٠ » على رزق جماعة من وزراء بني العباس كأبي العباس
 الخصب وأبي الحسن بن الفرات وقال بعد ذكر خبر من الأخبار « ومن هذه
 الملعنة يتضح أن رزق الوزير في أواخر الدولة العباسية في الساعة الواحدة كان
 يوازي رزق العامل في أوائلها الشهر كله » . والحقيقة أن هؤلاء الوزراء كانوا
 أقرب عهداً وأزماناً إلى أواسط الدولة العباسية فان الوزير أبا الحسن بن الفرات
 قتل في الربع الأول من القرن الرابع للهجرة ، وأواخر الدولة العباسية تبدأ
 من بعد القرن الخامس للهجرة ، ولم يبق رزق الوزير في أواسطها ولا في أواخرها
 على ما ذكره الباحث الفاضل ، قال ابن الطقطقي في سيرة الوزير عون الدين

يحيى بن هبيرة المتوفى سنة « ٦٠٠ هـ » « وما زال ينتقل من خدمة الى أخرى أرفع منها حتى تقلد الوزارة للمقتني فكث فيها مدة ومشاهيرته في كل سنة مائة الف دينار^(١) » . وقال ابن خلكان في سيرته « وكان اقطاعه عشر مقل البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية »^(٢) . « ومرادنا إثبات تغير الرزق الوزيري في أواخر الدولة العباسية لا الاستدراك على الباحث الفاضل فذلك باب واسع . هذا ما استوقفنا في أثناء تصفحنا هذا النافع من الكتب ونحن نعيد ما قاله الباحث الفاضل في « ص ١١٨ » خاصاً بالنقد قال « ولا بأس أن نعدد كل مامر بنا منها عملاً بحقوق النقد وغيره على العلم أن تلاحقه شبهة أو ريبة » . وهذا جدول حاوٍ غلط المؤلف في إنشائه وغلط المطبعة في حروفه .

ص	الغلط	الصواب	ص	الغلط	الصواب
د	تنبى عما غير	عما مضى	١٦	نيف ونصف	نصف قرن أو أكثر
د	كاف لاضاءة	كافر في إضاءة	٢٢	كما تدل عليها	كما تدل عليه
د	التردد على دور	التردد الى دور	٢٥	لا آلوك	ولا آلوك
هـ	والأنسجة	والنسيج	٢٦	يقطف	يقطف
هـ	تعريب	ترجمة ونقل	٢٦	يقضي طبعاً	يقضي باليداهة
هـ	القيود	التقييدات	٢٨	لا يعرفون سوام	لا يعرفون من سوام
و	ومنتجها بكتاب	... كتاباً	٢٩	كافية لتعريف	كافية في تعريف
ز	واختص كل	واختص ^(٣)	٣٠	التعصب والتشيع	التعصب والتصب
ز	كافية لنشر	كافية في نشر	٣٠	فلقوا كافور	فلقوا كافوراً
ح	لقاء ما تقتضيه	مقابل ما تقتضيه	٣١	الى سواء	الى من سواء
ح	تكبدنا من أجله	كابدنا من أجله	٣٢	كيف أنه لم يلبث	كيف لم يلبث
ا	التوثق من	التوثق في	٣٣	اعتقاده بصحة	اعتقاده صحة

(١) الفخري « ص ٢٢٩ » من الطبعة المصرية الأولى .

(٢) الوفيات « ج ٢ ص ١٨٧ » من طبعة بلاد الشام .

(٣) لأن الرغبة من الفاعل .

من	الغلط	الصواب	من	الغلط	الصواب
٣٤	أبو عمر الهذلي	أبو معمر الهذلي	٨٧	فتيان من الشاغوري	فتيان الشاغوري
٣٧	فتنذر به	فتنذر به	٨٨	لا بن ظهيرا الاربلي	لا بن الظهيرا الاربلي
٤١	ابن الطقطقي	ابن الطقطقي	٨٨	ابن نقادة	ابن نقادة
٤٦	والدقة في الرواية	والندقي في الرواية	٨٩	ازخراً وحليلاً	اذخراً لا حليل
٤٦	لم يكن ليجهل	لم يكن يجهل		ولا منزعجاً	
٤٧	يبيز ذلك	يجبر ذلك	٩٠	تعد بالآلاف	تعد بالآلاف
٥٣	بعض اشارات	إشارات قليلة	٩١	طافت بها الحدائق	أطافت بها الحدائق
٥٥	لم أشبه	لم أشبه	١٠٧	أمداح	مدح ومدائح
٥٧	أثناء مروره	في أثناء مروره	١٢٦	راق لنا	راقنا
٥٧	بالتزوي	بالتروية	١٣٣	يحاجي عن نفسه	يحاجه عن نفسه
٥٨	يجيب على الكتاب	يجيب عن الكتاب	١٣٣	رغبت به	رغبت فيه
٥٩	لا تكفي لتصوير	لا تكفي في تصوير	١٣٧	وافندين بذلك	٠٠٠ في ذلك
٥٩	أنعموا العالم	أنعموا العالمين	١٤٢	عارضه على	عارضه به
٦٠	والشيخ أبي الحسن	٠٠٠ أبو الحسن	١٤٨	أحد عشر نقراً	أحد عشر إنساناً
٦٠	يغدقون الأرزاق	يبدرون الأرزاق	١٤٨	ابن أسباط المغربي	الغربي
	ويخرونها		١٥١	أروبة	أوربة
٦٧	نال الليل تمهراً	بات الليل	١٥٦	ادعى أنه سعيد بن المسيب	ولا
٧٠	أمير فارقين	أمير ميفارقين		يمكن ذلك تاريخاً	
٧٥	وضع الفقراء	وضع الفقهاء	١٦٣	يقتات بها	يقتاتها
٨٤	ابن أبي الصفر	ابن أبي الصقر أحسن	١٦٤	ابن القلونسي	ابن القلانسي

ومنشر ملاحظتنا على الجزء الثاني من الخزانة الشرقية قريباً إن شاء الله تعالى .

(بغداد)

مصطفى جواد

غلط مطبعي

في مقالة كتاب الفنون

جاء في الجزء الأول من المجلد «مج ٢٩ سنة ١٩٥٤» :

ص ٣٢ «الماضية» ص ٤٠ «أبو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل»
ص ٤١ «القيصة النسخ» ص ٤٢ «وهو القرآن» ص ٤٣ «الدامغاني الحنفي»
ص ٤٤ «بذكر في الزبير» ص ٤٦ «الماحن» ص ٤٧ «تبلى نذاك» .
والأصل «الكاظمية» «أبو يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء وهو شيخ
ابن عقيل» «السقيفة النسخ» «وهو في القرآن» «الدامغاني الحنفي»
«بذكرني الزبير» «الماجن» «تبلى نذاك» .

(بغداد)

مصطفى جواد

ملاحظات على مصطلحات كيميائية

- ١ -

في الجزء السادس من مجلة مجمع نواد الأول لغة العربية المطبوع سنة ١٩٥١
(وقد حصلت عليه حديثاً من مكتبة السادة عبيد) اطلعت على (مصطلحات علم
الصحة ص ١٤٥) وعلى (مصطلحات كيميائية ص ٢٦٤) . وبما أن هذه
المصطلحات تدخل في نطاق اختصاصي رأيت أن أبدي رأيي في بعض منها على
صفحات مجلتنا ، فقد لا تخلو المقالة بينها وبين ما اصططلحت عليه من فائدة
لانتقاء الأصلح وما هو أكثر ملاءمة للمعنى المطلوب . أما مصطلحات علم الصحة
فلم أتعرض منها إلا لما كانت له علاقة بالكيمياء .

صفحة ١٤٥ عمود ١ سطر ١٣ - للئين مع عباد الشمس (tournesol)

• litmus Milk

قلت : للئين المعبّشَم ، منخوطة من (عباد الشمس) . وفي هذا النحت من سهولة الاشتقاق ما لا يخفى على المشتغلين بوضع المصطلحات . فيقال مَعْبَشَم tournesolé وعَبَشَم tournesoler الخ .

صفحة ١٤٥ عمود ٢ سطر ١ - معيار الجراثيم bacteriological standard

قلت : "مُعْثَل الجراثيم" ، منخوطة من (نموذج ، مثال) كما تفيد الكلمة الافرنجية . ومنها يشتق : مُعْثَل standardiser وتمثّلة standardisation ومُعْثَل standardisé . أما المعيار فهو لما يقابل كلمة titre . والمعيار آلة من (عِشْر الدنانير ، وزنها واحداً بعد واحد) فمعيار الشيء ما يختبر به صحته وجودته ، وليس هو عُثْل للمقابلة عليه .

صفحة ١٤٦ عمود ١ سطر ٨ - ماء غَرَوَانِي colloid water

قلت : ماء غَرَوِيْدِي أو ماء مُعْرَوْد . باستعمال الوميات الافرنجية المتفق عليها بين الكيميائيين : (ئين ine للقلويدات ، كينين مثلاً - آز ase للخائر ، غولاز ، شحاز مثلاً) أما وزن فَعْلَان فكان يجمع فَوَاد نفسه قد قرر قياسته لكثير من الحركات في علم الفيزياء ^(١) وليس في الماء المحتوي على الغرويد أية حركة أو اضطراب ليحوز وصفه بغَرَوَانِي . وعندى أن المجمع لو قال (غَرَوَانِي) لجاء موافقاً لما قرره في جلسته السادسة ٢٢ نوفمبر ^(٢) ١٩٤٣ .

(١) جلسته المنقذة ١٨ شباط ١٩٣٥ انظر المجلة المذكورة ج ٢ ص ٩ .

(٢) من السجيب ألا يستبدل المجمع حتى الآن بأسماء الشهور الافرنجية الأسماء المشهورة الشائعة الوارد ذكرها في الماچم العربية : آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين الأول (والثاني) ، كانون الأول (والثاني) ، شباط .

من أجل ترجمة الكلمات المنتهية بالوسمة ^(١) oid بالنسب مع (ان) مثل مسماني
من ٧٥ نسبة للسهم .

من ١٤٦ عمود ٢ سطر ٤ - تحلل كهربائي electrolysis .
قلت : تحلل كهربائي بالنسبة الى الكهربا لا الى الكهربي electron .
وقد شاع استعمال كهربي لما يقابل (الالكترونون) فلا يجوز أن يقال تحلل
كهربائي إلا إذا كان المقصود هو التحلل بسبب (الالكترونات) . أما التحلل
الناجم عن تأثير الكهربائي في المحلول فهو التحلل الكهربائي . واصطلاح بعض
الزملاء بكلمة (تحلّكبة) . ويجمع قواد نفسه اصطلاح على alcoholyse
بكلمة (التحلّكبل) ، والعجيب أنه لم يتخذها قاعدة ليقول (تحلّكّب) .
صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٣ - تركيز ايونات الهيدروجين

hydrogen - ion concentration .

قلت : تركيز شوارد الهيدروجين . ف (الايون) هو الشاردة جمعها شوارد .
والهيدروجين ، بالماء لا بالألف وان كان لفظها في بعض اللغات الافريقية (أ)
لأن المجمع نفسه في ص ٢٦٤ غ ٢ س ١ يقول (الهيد) كما سيأتي ، فمن
الصواب تجنب التناقض .

صفحة ١٤٧ عمود ١ سطر ٥ - طبقات لا نفّاذة impermeable layers .
قلت : كتّيمة أو مسيكة . ولما كان المفهوم من الجملة (طبقات الأرض
التي تمسك الماء) كان الأصح أن يقال (طبقات كتّوتة) . فالكثوت
وزان فعول الدال على القابلية هو ما يمسك الماء خاصة . يقال سقاء كتّيت
أي مسيك . ومنها يسهل اشتقاق كتّوتية لما يقابل imperméabilité .

صفحة ١٤٧ عمود ٢ سطر ٧ - معدّن minéralisation .

(١) الوسمة لا يقابل suffixe .

قلت : تفليز ، من (الفليز " ، وهو جواهر الأرض كلها) . وأقصد به العمل الذي يتم به تحويل المعدن أو الجسم العضوي - بالحرق - إلى فيليز . ومنها : مفلز *mineralisé* ، فلتز *minéraliser* . أما التعدين فهو لما يقابل استخراج المعادن من فلزاتها ، بالطرائق الصناعية *métallurgie* .

صفحة ١٤٧ عمود ٢ سطر ١٥ - تفاعل متعادل *neutral reaction* .

قلت : تفاعل معتدل ، من الاعتدال . أما المتعادل فهو المتكافئ أو المتساوي وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية *neutre* .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١ - انحلال عضوي *organic decomposition* .

قلت : تحلل عضوي ، ويقصد به التفكك . أما الانحلال فيوافق *dissolution* وكذا الذوبان .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ٨ - غور *percolation* .

قلت : حلتحلة ، من حلحلهم أزالهم عن مواضعهم وحرّكهم فتحلحلوا ، أقصد بها العمل الصيدلاني الذي تستعمل به جواهر النبات المؤثرة بإزالتها عن مواضعها من مسحوق النبات بمذيب مناسب . ومن مرادفات الكلمة الفرنسية : *par déplacement* وهو الإحلال ، من أحلّ : خرج) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٤ - ت ١٠ *pH* .

قلت : ١٠ . من (أس - المدرجين) لما يوافق *puissance d'H* رياضياً .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٥ - دلائل ت ١٠ *pH indicators* .

قلت : مشميرات ١٠ . ف (*indicator*) هو المشعر لا الدليل (*guide*) .

صفحة ١٤٨ عمود ١ سطر ١٦ - الفحص الطبيعي (الفيزيقي) للمياه *physical* .

قلت : الفيزيائي ، مقابلة لكلمة الكيميائي . وكلمة (فيزياء) من وضع صديقتنا وزميلنا الأستاذ عز الدين علم الدين منذ ٢٦ سنة ، شائعة الاستعمال . ولا يصح أن يقال (الطبيعي) نسبة للطبيعة *naturel* متعاً لكل ليس . وكذا القول في الكلمة التي بعدها (عوامل طبيعية) فالأصح : عوامل فيزيائية .

صفحة ١٤٩ عمود ١ سطر ٢٣ - طعم قابض styptic tast .

قلت : طعم عقيص ، تخصيصاً للطعم . أما القابض فقد خصصناه لما يعقل البطن أي يسكده فتقول : دواء متقللة (وزان متقللة) أو قابض (astringent) .

صفحة ١٤٩ عمود ٢ سطر ١٩ - عكّر turbidity .

قلت : كُدُّورة ، من (كَدَّرَ ، مثله الدال ، كَدَّارة وكَدَّرًا محرّكة ، وكُدُّوراً وكُدُّورة وكُدُّرة ، تقيض صفا) . أما العكّر فهو دردي كل شيء أي رؤسائه . وفي الكيمياء التحليلية ، مقياس يسمى (قياس الكدورة turbidimétrie) بُني على أساس الكُدُّورة في المائع لا على أساس الكثافة أو الثقل ، أو الرُسابة والترسب ، وبين المقياسين بون شاسع .

صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٢١ - absolut alcohol .

قلت : غُولٌ صرف . كنت كتبت في مجلّتنا (م ٢٩ - ج ٣ - ص ٤٧٤) كلمة بعنوان (غول أم كحول) بيّنتُ فيها أن الغول أضح من الكحول ، وذكرت أنه لو جاز استعمال الكحول لما يقابل alcohol لوجب أن تكون صفتها مؤنثة لا مذكرة أي (كحول صرّفة) لأن (كُحُول جمع كُحُل) .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٧ - قابلية الامتصاص absorbabilité .

قلت : مَصْوصِيّة ، وزان قَعُولِيّة من (قَعُول) الدال على القابلية . وبهذه الصيغة يسهل الوصف والإضافة كقولك مثلاً : مصوصية الجسم . أما بالمصطلح الأول أي قابلية الامتصاص فلا يمكن أن يقال إلا (قابلية الجسم للامتصاص) بإدخال لام الجر للتعليل .

صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ٨ - قابل للامتصاص absorbable .

قلت : مَصُوص وزان قَعُول الدال على القابلية . وبهذا الوزن يستغنى عن لام التعليل .

- صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٢ — شريط المص "absorption band" .
قلت : شريط الامتصاص من (امتص) على المطاوعة لأن الشعاع الضوئي
الوارد على السطح الماص يبدي في منظار الطيف شريطاً خاصاً به يوافق ما عناه
من الامتصاص .
- صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٣ — طيف المص "absorption spectrum" .
قلت : طيف الامتصاص ، وفق الشرح الآنف الذكر .
- صفحة ٢٦٤ عمود ١ سطر ١٤ — الدهيد aldehyde .
قلت : غوليد . ومنه غوليد الخل ، لا يقابل acétaldéhyde بإضافة
الوسمة (يد) الى كة (غول) لأن (aldehyde) منحوتة من alcool
dehydrogenatum .
- صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٦ — حمض الايتو أستيك aceto - acetic .
قلت : حمض خليل الخل (acetyl - acetic) أما (أيتو) فقد أهملت
بعد أن وضعت كلمة (أستيل) حسب اتفاق عليه في تسمية الجذور .
- صفحة ٢٦٤ عمود ٢ سطر ٧ — استيل acetyl .
قلت : خليل ، تعريفاً للكلمة الافرنجية .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٣ — لا حلقي acyclic .
قلت : لا دوري ، من (دورة) لا يقابل cycle التي اصطلح عليها المجمع
نفسه انظر ص ١٥٠ ع ١ س ٦ في كلمة (دورة الماء في الطبيعة) أما الحلقة
فهي تقابل ring (anneau) ، عدا عما في استعمالها من اللبس بخلق
(gorge : throat) حين النسبة اليه .

الكرواكي

(يتبع)

« غيابات » (كواليس)

قرأت في العدد م ٣٠ ج ٢ ص ٣٤٧ من هذه المجلة مقالاً للأستاذ الفاضل محمد صلاح الدين الكواكبي في شأن كلمة « كواليس » ج « كواليس » ، كلمة أعجمية فرنسية هجمت على متن لغتنا في هذا الزمن . وقد اقترح الأستاذ لفظة « دهليز » بإزائها . والذي يبدو لي أن ليس في « الدهليز » الخفاء الشديد الذي يلف « كواليس » . يضاف الى هذا أن مدلول الدهليز محدود مربوط : « ما بين الباب والدار » فمن المتعذر التلطف له من جهات . أعني إن جاز له من باب النقل أو من باب التخصيص أن يتم على أروقة دور الحكومة أو أيها الندوة النيابية حيث تجري أسرار وتحاك أمور فهذه أن يتم على الأجزاء المستورة من بناء المسرح ، وهي « الكواليس » ، ووضعها بعيداً عن هيئة الدهليز . ومن الكواليس انتقل المعنى في الفرنسية الى ميدان الأعمال وحقل السياسة . هذا ومن قبل اقترحت لفظة « غيابة » ج « غيابات » لتلك الأجزاء المستورة (مسرحية « مفرق الطريق » القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٤ ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٥٢) . واللفظة في اعتقادي تصلح لمجال الأسرار كيفما وقع : في المسرح ثم في ميدان العمل وحقل السياسة وما إليها ، بشرط الخفاء . وفي مادة (غ ي ب) طاقة غزيرة من الخفاء ، حسبك قولهم : « سمعت صوتاً من وراء القيب أي من موضع لا أراه » (أساس البلاغة) . و « الغيابة » فوق ذلك تفيد الاستتار في جملة مواقعها : النبات اذا أفلت من شعاع الشمس ، الأرض التي انخفضت عن مستوى الصعيد ، ومنها « غيابات الجب » (لسان العرب) ، بل « كل ما غيب شيئاً » (أساس البلاغة) . والذي يلزمه التغييب حتى لا يقع عليه بصر ولا ينفذ اليه سمع ولا يشهده ضوء تأهب الممثلين قبل جولانهم على خشبة المسرح وكذلك التهامس في زوايا الدوائر الحكومية والنيابية .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

صفحة	
٣٥٣	جـ رير (٢)
٣٦٧	اللغة العربية في أفغانستان
٣٨٠	كتاب الجليس والأنيس للسافى بن زكرياء النهرواني
٣٩٥	فهرست مؤلفات عبي الدين ابن عربي (٥)
٤١١	مقدمة المرزوقي لشرحه خماسة أبي تمام (٥)
٤٢٧	رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن مينا (٥)
٤٤٠	أبو الفتح بن جني (٣)
	للأستاذ خليل مرقم بك
	للدكتور كارل شتولز
	للدكتور ألبرت ديتريش
	للأستاذ كوركيس عواد
	للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
	للدكتور محمد خير حسن المعصومي
	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

٤٥٨	تلخيص البيان في مجازات القرآن
٤٦١	يديع الزمان الهذلي
٤٦٤	نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب
٤٦٧	ابن الرومي
٤٧٠	الجزء الثالث من محاضرات المجمع العلمي العربي
٤٧٢	المباحث القوية في العراق
٤٧٦	المدخل الى علم النفس الجماعي
٤٧٩	تحت قناطر أرسطو
٤٨٠	فقه الإسلام
٤٨٥	زبدة الحلب من تاريخ حلب
٤٨٦	تاريخ العراق بين احتلالين (الجزء السادس)
٤٨٧	معجم اللسان العربي الفصيح
	للأستاذ شفيق جبيري
	للأمير مصطفى الشابي
	للدكتور جميل صليبا
	للأستاذ محمد بهجة البيطار
	للأمير جعفر الحني
	للدكتور سامي الدمان

آراء وأنباء

٤٩٠	انتخاب أعضاء مراسلين
٤٩١	شرح لزوم ما لا يلزم (١)
٥٠٠	عثرات الأعلام والأفام
٥١٠	الخزانة الشرقية «الجزء الأول» (٢)
٥١٩	غلط مطبعي في مقالة كتاب الفنون
٥١٩	ملاحظات على مصطلحات كيميائية (١)
٥٢٥	«غيابات» (كواليس)
	للأستاذ عبد الوهاب عزام
	للأستاذ عبد القادر الخرفي
	للدكتور مصطفى جواد
	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي
	للأستاذ بشر فارس

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقٍ

- ١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ — كتاب الأثرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ — البيزة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي
قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكمله الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ — ديوان ابن حيثوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ — ديوان ابن حيثوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر التميمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

- ٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء المشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سنرستين .
- ٢٩ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣٠ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣١ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٣ — المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٤ — تكملة لإصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٣٥ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
- ٣٦ — الرسالة النبائية : للأمرير مصطفى الشهابي
- ٣٧ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٨ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني

مجلة المجيب العالم العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥

١٣ صفر سنة ١٣٧٥

جرير

- ٣ -

أما الأغراض التي نظم جرير فيها فأهمها الهجاء والنزل ، ثم المدح والفخر
والرثاء ، ويأتي بعدها أغراض شتى لم يُعنَ بها كثيراً كالوصف والحكمة
وما إليها .

الهجاء

جرير شاعر هجاء ، بل هو أكبر المجانين في العصر الأموي الذي امتشروا فيه
في هذا الفن . كان الهجاء أول ما جرى على لسانه من الشعر ، وظل يارسه
طول حياته حتى أسكته الموت ؛ ولقد تألب عليه نحو من خمسين شاعراً
فأسقطهم كلهم إلا الفرزدق والأخطل لذلك فأكثر شعره في الهجاء ، قال
مشيراً إلى عدد الشعراء الذين تألبوا عليه وهجوه فأسقطهم : (ديوان جرير ص ٣٤٣)
أعددتُ للشعراء كأساً مُرَّةً عندي 'مخالطها السُّمام المنقوع'

هلاً نهم تسعة قتلهم أو أربعون حدودهم فاستجمعوا
خصيت بعضهم وبعض جددعوا فشكاهموان الى الخصي الأجدع

وهو على خبث لسانه وإقذاعه في الشنيعة شريف في خصامه لم يتخذ الهجاء
أداة يتكسب بها كما فعل غيره . بل كان يعتبره سلاحاً ينازل به الأنداد
من الخصوم ؛ فكل من هاجم شعراء أو في معانهم . ولم يكن يبدأ أحداً
بالهجاء بل كان الشعراء يتحرشون به فيصليهم ناراً حامية ، وكان إذا روى
شيئاً من الهجاء استغفر الله وأطال التسبيح . قال له يوماً رجل : ما يغني عنك
هذا التسبيح مع قذورك للمحصنات ، فتبسم وقال : يا بن أخي (خلطوا عملاً صالحاً وآخر
سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) إنهم والله يا بن أخي يبدءوني ثم لا أحلم^(١) .
وفي شدته على الشعراء يقول : (الديوان ص ٥١٣)

عوى الشعراء بعضهم لبعض
كانهم الثعالب حين تلقى
إذا وقعت صاعقة عليهم
فمصطلم المسمع أو خصي
علي فقد أصابهم انتقام
هزيراً في العرين له انتقام
رأوا أخرى تحرق فاستداموا
وأخر عظم هامته حطام

ويقول : (الديوان ص ٣٥٥)

كان الذين هجوني من ضلالتهم
مثل الفراش وحر النار إذ يقع

ويقول : (الديوان ص ٤٩٥)

تري الشعراء من صعي مصاب
بصكته وآخر مستديم

وجرير يعتبره الرواة أكرم الهجائيين لأنه لم يهيج أحداً مدحه ولم يمدح
أحداً هجاء . قال أبو عبيدة : « كان الخبيل القريبي أهجى العرب ، ثم كان بعده
حسان بن ثابت ثم الخطيئة والفرزدق وجرير والأخطل ، هؤلاء الستة الغاية في

(١) الأثافي ، ج ٨ ص ٤٤ .

الهجاء وفي غيره ، لم يكن في الجاهلية ولا في الاسلام لهم نظير ، وكان جرير أشدهم تكريماً ، لم يمدح أحداً فهجاء ولم يهيج أحداً قط فمدحه ، وكان الفرزدق يمدح الرجل ثم يهجو^(١) .

وعلى يد جرير وصاحبيه الفرزدق والأخطل استطار شر الهجاء وهتك الشعراء أعراضهم وأشاعوا المثالب وأخشوا في القذف حتى أصبح الهجاء في العصر الأموي أوسع فنون الشعر ، ولو جمعت نقائض جرير وجميع الشعراء الذين هاجموا لكأن أكبر ديوان عرفه الشعر العربي ، والذي وصل إلينا منها نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل وفيها ما يربو على الغاية ، وضاعت نقائض بقية الشعراء الذين هاجموا وهم أكثر من أربعين شاعراً نصبوا له فرماناً واحداً بعد واحد .

وقد يعجب الإنسان لاحتمال العرب لهذه المساجلة من الشتائم مع ما عرف عنهم من الأنوف الحمية والعصبية الشديدة ، لأن الشاعر لم يكن يقتصر على قذف المهجو بل يتعداه إلى أهله وقبيلته ويسب في هذه الناحية كثيراً . ولعلمهم كانوا يعتبرون الهجاء حرباً لا يجوز أن يكون السلاح فيها غير الكلام ، ولهذا الاعتبار سمو القوائد التي يتهاجى بها الشعراء نقائض ، فكان الشاعر يتقض بجوابه جميع ما بناء خصمه من المثالب ويحوم ما نيزه وقومه به من المعائب ، ومن سقط في المعركة كف عنه خصمه ولم يعد إلى مبارزته .

وجرير في هجائه خصم شديد جري ، واسع الحيلة بصير بالمقاتل لا يخطئ المرمى ، يهاجم خصمه في نفسه وأهله وقبيلته ، لا يعرف هوادة ولا يقف عند حد ، بل يقذف ويفحش ويهتك الأعراض ويشيع المثالب ويبالغ ويتزبد ويختلق ويفتري على النساء ، ويظهر طبعه أقوى ما يكون وأشد تدفقاً ،

(١) نقائض جرير والفرزدق ، ص ١٠٤٨ .

وبواتيه حسن التعبير وبراعة الصوغ فيكرر المعنى الواحد في قصائد متعددة فيكون له وقع خاص كأنه معنى جديد . قال الجعفي : « جرير لا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين وقتل الزبير وبأخته جعثن وامراته النوار^(١) » وتسير أبيان مسير الشمس فترويهما الخاصة والعامة لسهولة وانسجامها .

وأشد ما في هجائه السخرية والتهكم والذع والمرارة ، يهزأ بالمهجو فيبرزه العوبة ممسوخة تستثير الضحك ويتهم به ويقومه فيجعلهم سخريه لا شأن لهم ولا خطر ، يسخر من هياتهم ومهانتهم وأقوالهم وأفعالهم وقبح نسائهم وخساسة رجالهم وقذارتهم وسقوط همهم ، بأسلوب مملوء بالتهكم والهزء . روي عنه أنه قال : « إذا هجوت فأضحك^(٢) » فالفرزدق قرد أصلع أو لعبة من لعب الصبيان يذرو بأبواب مصبغة مزركشة ، والأخطل خنزير هرم يتقمم الخبائث ويبعب في أم الخبائث ، فاذا رأى راية حرب طار فؤاده واستجار بما رجعش وأعلن أنه وقيلته من القائلين بالسلام لا بالحرب والخصام . وبنو تيم ممل لا يبالي بهم أحد ، يقضى عليهم وهم غائبون ، ولا يستشارون وهم حاضرون ، وتنتف شوارب وفودهم على أبواب الملوك . ولعل أثر معانيه في هذا الباب مما يذهب بطلاوتها فسير بك بعضها .

ولا يستجيب الشعر لجرير في فن من الفنون كما يستجيب له في الهجاء ، فتراه يشتد ويقوى ويتدفق طبعه ويثقب ذهنه وتفتح له أبواب القول وتنبسط آفاه ، فيصيب الهدف ويرمي بالصواعق ويبعث بالشوارد ويأتي بالمضحك والآفاكية ولا تغيب عنه النكتة ، ويسلس له عنان المقال فيبلغ منه ما يشاء ويجمع ثلاثة في قرنت واحد :

(١) الموشح للرزباني ، ص ١٢٤ .

(٢) العمدة لابن رشيقي ، ج ٢ ص ١٤٠ .

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضعا البعيتُ جدعتُ أنفُ الأخطلِ
ويصل بين اثنين بأدهى صلة :

ترى برصاً بأسفل إسكتيها كعنتقة الفرزدق حين شابا
ويسقط قبيلة بيت واحد :

ففض الطرف إنك من تميمٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا
وبعث بالمهجو وقيلته فيصورهم صورة مضحكة فينتبون الأتيان بما هجاهم به
خلفاً عن سلف ، روي عنه أنه قال : لقد قلت في تغلب يتناولو لدعتهم الأفاعي
بأستاهم بعده لما حكوها :

والتغلي إذا تمنحح للقرى حك امته وتمثل الأمثالا
ومر^(١) بلال بن جرير بننازل تيم ، فقال النساء : مرحباً بابن جرير انزل فلك
ماشتت من شواء وأقط وتمز ، أما الطحين فلا طحين . يردن بذلك ما قاله
فيه جرير :

إذا حركت نيمية هادي الرجي تنفس قنباها فطار طحينها
ولو خلا هجاء جرير من الإقذاع لكان في دراسته متعة ولذة وفائدة لما فيه
من قوة المعارضة وحسن البادرة وشيوع النكتة ولذع التهمك ومر السخرية ،
أضف الى ذلك بعض الحوادث التاريخية كالمثالب التي يعيب بها قبيلة المهجور ،
والمفاخر التي يفخر بها عليه في الجاهلية والإسلام مما يجعل للقاري كثيراً من
أيام العرب وحوادث القبائل وأخبار بعضها مع بعض .
وهجاءه كله قوي معدود من أجود شعره وجامع لاكثر خصائصه التي امتاز بها .
من ذلك قوله يهجو الفرزدق : (الديوان ص ٥٥٩)

لقد ولدت أم الفرزدق فاجراً فجاءت بوزواز قصير القوائم

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٣ ص ٣٩٧ .

- وما كان جاره للفرزدق مسلم . ليأمن قرداً ليله غير قائم
يوصل حبله إذا جنّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسلام
تدليت تزني من ثمانين قامة وتصرّت عن باع العلي والمكارم
وقوله فيه : (الديوان ص ٢٨١)
- وهل كان الفرزدق غير قرد . أصابته الصواعق فاستدارا
وكنّت إذا حلت بدار قوم رحلت بخزية وتركّت عارا
وقوله فيه : (الديوان ص ٤٨٢)
- لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كثر رج وجلّ جلّه
أعدوا مع الحلي الملاب فانميا جزير لكم بعل وأنتم حلائله
وقوله فيه وكان الفرزدق قد حلف ليقطن مربعا راوية جرير : (الديوان ص ٣٤٨)
- زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع
وقوله يهجو الأخطل : (الديوان ص ٥٢)
- أبا مالك مالت برأسك نشوة وبالبشر قتلى لم تطهر ثيابها
ظلمت بقي الخندريس وتقلب مغانم يوم البشر يحوى نهاياها
أيفخر عبد أمه تغلية قد اخضر من أكل الخنايص نايها
غليظة جلد المنخرين مصنّة على أنف خنزير يشدّ تقايها
وقوله فيه : (الديوان ص ٤٥١)
- والتقاي إذا تنحج للقرى حك أسته وتمثل الأمثالا
حملت عليك حماة قيس خيالها شعثا عوايس تحمل الأبطالالا
مازلت تحسب كل شيء بعدم خيلا تشد عليكم ورجالا
قال الأخبطل إذ رأى راياتهم يا مار مرجس لا تريد قتالا
لو أن تغلب جمعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا
تلقاهم حملاء عن أعدائهم وعلى الصديق ترام جهالا

وقوله فيه : (الديوان ص ٤١٤)

لقيم بالجزيرة خيل قيس
تسوف التعلية وهي سكرى
من المتولجات على النشاوى
تظل الخمر تخلق أهدعها
إذا انتفت عبايتها وضافت
ألبس أبو الأخيطل تغليبا
إذا ما كان خالك تغليبا

وقوله يهجو التيم (الديوان ص ٥٥)

تيمية همتى^(١) نقول لعلها
وكان عريتها إذا واجهتها
أعرابكم عاراً على حضاركم
قوم إذا حضر الملوك وفودهم

وقوله فيهم : (الديوان ص ١٦٥)

ويُقضى الأمر حين تغيب تيم
وإنك لو لقيت عييد تيم

وقوله فيهم : (الديوان ص ٤٣٨)

كان التيم إذ نغرت بسعد
تري التيمي يزحف كالقرقبي

(١) الهمتى : الكثيرة الاختلاف التي لا تقر في بيتها .

(٢) اي كإماء يفخرن بأحداج ساداتهن .

(٣) القرني : خيفس طويل القوائم . وعصا الليل : العصا التي يحرك بها ما يمل

في النار .

إذا كشرت إليه يقول بلوى بلا حسن كشرت ولا جميل
تسين الزعفران عروس تيم وتمشي مشية الجمل الزحول
يقول المحتلون عروس تيم شوى أم الحبسين^(١) ورأس فيل

الغزل

برع جرير بمحلاوة الغزل كما برع بمرارة المصباح ، يتجلى طبعه في نسيبه رقيقاً عذباً سمحاً سهلاً ، فهو من أنسب الشعراء الإسلاميين وأرقهم غزلاً ، وغزله بدوي عفيف يريء يمثل مروءة البداوة وصيانة الإسلام ، حتى قيل إن جريراً لم يتغزل إلا بأزواجه أو بمن يملك ، وهو يترجم عن عاطفة رقيقة ونفس حساسة بالرغم من قوله : « ما عشت قط ولو عشت لتنت نسيباً تسمعه العجوز تبكي على ما فاتها من شبابها » وأظهر ما في غزله الحنين والشوق والشكوى والذكرى ويقل فيه المرح شروى قوله :

أزمان يدعوتني الشيطان من غزلي وكن يهوبني إذ كنت شيطاناً

وقوله :

يقول العاذلات علاك شيب^٢ أهذا الشيب يمنعني مرامي
ولا تكاد تجد في غزله قصصاً أو ما في معناه من الوصف المثالي ، وإنما هناك بدوات وأفكار متداعية تمثل عاطفة وثابة ولوعة تنتزى ، والمقطوعة من غزله تعرض على القاري صوراً شتى من ذكرى تهيج إلى دمة تجري إلى قلب يخفق إلى حنين يشجي ، تثيرها الدور الخالية والأطلال البالية والظعائن الراحلة والبروق المتألقة والحمام المغردة ، ولا تجد غزلاً أرق ولا أعف من غزله . سمع الفرزدق بالمدينة قينة تغني^٣ بشعر جرير فقال : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه

(١) الشوى : البدان والرجلان والأطراف . وأم الحيين : دوية كالحرباء .

إلى صلابة شعري وأحوجني منع شهواني إلى رقة شعره^(١) والذي يرى عفافه
في غزله يستغرب ذلك الإقذاع في هجائه .

والأمثلة على إحسانه في الغزل كثيرة نورد منها هذه الأبيات :
(الدبوان ص ٦٠١)

إلينا نوى ظمياء 'حييت واديا	ألا أيها الوادي الذي ضمّ سبله
وحسنت جمال الحبي حنت جماليا	إذا ما أراد الحبي أن يتفرقوا
وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا	إلى الله أشكو أن بالغور حاجة
فطارت برهبي شعبة من فؤاديا	نطرت برهبي والظمائن باللوى
على ما ترى من هجري واجتناينا	إذا ذكرت ليلى أتبع لي الهوى
وان كان قد أعيا الطيب المداويا	ولو أنها شاءت شفتني بهين
منمت وحلأت القلوب الصواديا	فإنك إن تعطي قليلاً فطالما
بخير وجل غمرة عن فؤاديا	إذا اكتحل عيني بعينك مسني
ينحوض خدارياً من الليل داجيا	تخطى إلينا من بعيد خيالها
مزاراً على ذي حاجة متراخيا	فحييت من ساري تكلف موهنا

الرثاء

الشاعر المرمف الحس يحسن الرثاء فيمن يجب من قريب أو صديق ،
وهكذا الشأن في مرثي جرير ، فما كان منها في أهله فحيد بارع ، وما سوى
ذلك فليس له تلك المنزلة . وما أجاد فيه وبرع وفاق جميع معاصريه من
الشعراء رثاؤه لامراته أم حوزة ، وقل من الشعراء في جميع العصور من وفق
في رثاء النساء كما وفق جرير في قصيدته هذه ، فقد كان فيها زوجاً أميناً
رقيق العاطفة حسن الرعاية وافر المودة عميق الحزن شديد اللوعة ، وصف امرأته

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ١٢ .

بأكرم ما توصف به الحرائر وبكاهما بكاء مخلص في حبه مفجوع في حبيبه ومحبه ،
حتى صارت تلك القصيدة مما يباح به على النساء في المآتم ، فقد روي أنه نبح
بها على النوار امرأة الفرزدق . وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوماء
لدهائها في البلاد . وهاك أياتاً من أولها : (الديوان ص ١٩٩)

لولا الحياء لعادني استعمارٌ ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ
ولقد نظرتُ وما تمتع نظرةً في اللحد حيث تمكن الحفار
فجزاك ربك في عشيرك نظرةً وسقى صدك مجلجلاً مدرار
ولمست قلبي إذ علتني كبرةً وذوو التائم من بنيك صغار
ولقد أراك كسيت أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينته ووقار
صلى الملائكة الذين تمخَّروا والصالحون عليك والأبرار

وكذلك قصيدته التي يرثي بها ابنه سودة والتي مطلعها :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لم من للعرين إذا فارقت أشبالي
فهي دمة مصبوبة ولوعة مشبوبة وحزن ينطق . كان بشار بن برد ينشدها يوم
فقد ولده ويقول : لله در جرير . أما مرثيته في غير أهله فأكثرها مقطعات
لا تعرب عن نفس حزينة وإنما هي تقرّظ وتفجع مصنوع .

الفخر

أكثر شعر جرير في الهجاء ، والهجاء في القرن الأول لا يكاد يخلو
من الفخر ، لأن الشاعر يرمي خصمه بكل تقيصة وينسب لنفسه وقيلته كل
مكرمة ، ولا تكاد تجد قصيدة في الهجاء لجرير إلا وجدت فيها نفراً مثل
قوله بهجو الأخطل :

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فينا
مضرّ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أبي كائنا

ولا يكاد جرير يفتخر بكليب لقلة مفاخرها بل يتخطاها الى يربوع وتيم
فينوء بمفاخرهم والأيام التي كانت لم وأخبارهم الحميدة في الجاهلية والاسلام .
وهذا الفن من الشعر يصور عصية العربي الى قبيلته التي ورثها عن الجاهلية
ولم يستأصلها الاسلام . ولا بنفسى جرير الى جنب ذلك ان يفتخر بنفسه فينسب
اليها الشجاعة والكرم والنجدة وطيب العنصر ، ولا سيما التفوق في الشعر
والسبق في مضماره وكبت خصومه من الشعراء على كثرتهم . وقصائده التي
صرفها للفخر خاصة قليلة ومنها مقطعات وأبيات وأراجيز . ولكن أكثر فخره
في أهاجيه ، وهو لا يسامى الفرزدق في هذا الباب وإن فضله بعضهم عليه في
الفخر أيضا مثل بشر بن مروان ^(١) .

المدح

ليس المدح من أبواب شعر جرير البارة إذا قيس بهجائه وغزله ، فقد
كان يقوله مستجدياً ، ولا تكاد قصيدة من مدائحه تخلو من الاستجداء وشكوى
الفاقة والإلحاح بالمسألة ، مثل قوله : (الديوان ص ١٥٦)
« لولا رجاؤك قد قتلت أولادي »

وقوله : (الديوان ص ٣٥٤)

أشكو إليك فأشكني ذربةً	لا يشبعون وأهم لا تشبع
كثروا عليّ فما يموت كبيرهم	حتى الحساب ولا الصغير الموضع
وإذا نظرت يريني من أهم	عين مهيجة ^(٢) وخد أصفع
وإذا تقسمت العيال غيوقها	كثر الأنين وفاض منها المدمع
رشي فقد دخلت عليّ خصاصة	مما جمعت وكل خير تجمع

(١) الأغاني ، ج ٨ ص ٣٧ .

(٢) أي عين غائرة .

ولكنه لا يذهب عن فطنته تقريظ الممدوح بما ينبغي أن يمدح به ، فقد اتصل
بالحجاج بن يوسف ومدحه بالقوة وشدة الشكيمة وقمع الفتن وإخماد النواثر
وسعة السطوة وأن الله أمدّه بالملائكة واستجاب دعاءه . قال يمدح الحجاج
(الديوان ص ٩٠)

من سدّ مطّلع النفاق عليهم	أم من يصل كصوله الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة	إذ لا يثقل بغيره الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا	ماضي البصيرة واضح المنهاج
ماض على الفمرات يمضي همم	والليل مختلف الطرائق داج
منع الرثي وأراكم سبل الهدى	واللص نكّل عن الإدلاج

فلما اتصل بعبد الملك بن مروان بشفاعة الحجاج مدحه مدحاً سياسياً ، فقال
من عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، وجعل من يخالف بني أمية ملحداً أو مبتدعاً .
قال في القصيدة التي يمدح بها عبد الملك وبنال من ابن الزبير : (الديوان ص ٩٩)
دعوت الملحدين أبا خبيب^(١) جماعاً هل شفيت من الجراح

ومنذ ذلك الحين علقت حباله بحبال بني أمية قمدح جميع الخلفاء الذين تتالوا
بعد عبد الملك إلى هشام ، كما مدح عدداً من أمراء بني أمية ، وكان يسمي
الخليفة منهم بالمهدي ، قال في سليمان بن عبد الملك : (الديوان ص ٤٦٢)

سليمان المبارك قد علم هو المهدي قد وضع السبيل

وقال في أخيه هشام : (الديوان ص ١٤٧)

فقلت لها الخليفة غير شك هو المهدي والحكم الرشيد

وقال فيه أيضاً : (الديوان ص ٥٠٥)

إلى المهدي تنزع إنا فزعنا ونستقي بغيره الغماما

(١). يريد بآبي خبيب عبد الله بن الزبير .

وكان يصرح بأن هواه السيامي مع بني أمية قال : (الديوان ص ٥٠٦)
وريشي منكم وهواي فيكم وإن كانت زيارتكم لlama
ويدح الشاميين ومباستهم ، قال في القصيدة التي يدح بها يزيد بن عبد الملك :
(الديوان ص ٣٩٠)

تدعو فينصر أهل الشام إنهم قوم أطاعوا ولالة الحق وائتلفوا
ما في قلوبهم نكث ولا مرض إذا قذفت محلاً خالماً قذفوا
قد جرب الناس قبل اليوم أنهم لا يفزعون إذا ما قمع الحيف
ويعتذر عما فرط من قومه بني تميم في نصرة عبد الله بن الزبير ويشفع بهم لأنهم
تابوا توبة نصوحاً ، قال هشام بن عبد الملك : (الديوان ص ٥)

لا تجفوت بني تميم إنهم تابوا النصوح وراجعوا حسن الهدى
من كان يمرض قلبه من ريبة خافوا عقابك وانتهى أهل النهى
وبنوه بلاء بني أمية بالتفوح وسعة السلطان ، ولقد مدح طائفة من أمراءهم
وولايتهم ، ولم يرو عنه أنه مدح أحداً من خصومهم لأنه كان معروفاً بمداواة
السلطان ، ولأنه كان يتكسب بمدحهم فلا يتورط فيما يفضيهم أو يقطع صلحتهم
منه ، ومع أن الاستجداء أظهر ما يكون في مدحه فقد أشار إلى فتوح بني أمية
أكثر من جميع شعرائهم .

بقية الأغراض

تلك أم الأغراض التي عالجها جرير في شعره ، ولكل منها فروع تسوقها
المناسبات ليس بالسهل استقصاؤها ، وهناك أغراض أخرى نظم بها جرير كالوصف
والعتاب والشكوى والأدب والحكمة وبعض حوادثه الخاصة . وأهم ما يعنينا
أن نتكلم عنه في هذا الفصل هو الوصف .

إذا أردنا بالوصف الوصف الفني المتتالي المتسلسل الذي يصور الموصوف صورة واضحة لم نجد جريراً من السابقين في هذا الباب ، لأن شعر جرير في جملة بدوات ولحات ، لا يصبر على الاستمرار في وصف ما يتناوله حتى ينتصف منه ، بل تتداعى أفكاره فينتقل من معنى الى آخر دون استقصاء ، ولا تكاد تجد له قصيدة أو مقطوعة صرفها بوصف شيء واحد ، وإنما كان يصف عرضاً وبالمناسبة على سبيل الاقتضاب ؛ وأكثر ما عالج وصفه البادية وعالمها من سهل وجبل ورسم وطلل وركب وإبل ومراب وواد ووحش وطير وشبح وقيصوم وغضا وما الى ذلك مما يتعلق بالبادية التي كان يقطعها في وفوده على الخلفاء بالشام . وقد وصف - على طريقته التي ذكرناها - أسطولا حريباً للحجاج في قصيدة مدحه بها قال : (الديوان ص ٤٤١)

سلكت لأهل البر براً فنتهم وفي اليم يأتى السفين الجوافل
تري كل مرزاب^(١) يضمن بيوتها ثمانين ألفا زابلتها المنازل
جفول تري المسار فيها كأنه إذا اهتز جذع من صميحة ذابل^(٢)
إذا اعترك الكلاء والماء لم تقدر بأمراسها حتى تثوب القنابل^(٣)
تخال جبال الثلج لما ترفعت أجلتها والكيد فيهن كابل^(٤)
تشق حباب الماء عن واسقاته ونغرس حوت البحر منها الكلاكل
وألّم بشيء من وصف الرصافة التي كان ينزلها هشام بن عبد الملك وبما بذله
هشام في إصلاحها وتزيينها قال : (الديوان ص ١٥٠)

(١) المرزاب : السفينة الضخمة .

(٢) المسار : الدقل . وصميحة : يثر بالمدينة .

(٣) الكلاء : مجتمعها . يريد أنها لا تضبط إلا بأعوان كثيرة .

(٤) أجلتها : شرعها . والكيد : السلاح .

شفقت من الفرات مباركاً
وسخرت الجبال وكن خرساً
بلغت من الهني^(١) فقلت شكراً
بها الزيتون في غلال^(٢) ومالت
فمت في الهني جنان دنيا
بمضوت الأنامل أن رأوها
ومن أزواج فاكهة ونخل
وقال أيضاً : (الديوان ص ٤)

إن الرصافة منزل خليفة
أوتيت من جذب الفرات جوارباً
والمجد للزند الذي أوريتم
ومن هذا الوصف يرى القاري بداوة جرير في تناوله وصف الماء والشجر
وإغفاله وصف قصور الرصافة العظيمة وبنياتها الفخمة .
ولعل أصدق ما يقال في جرير أنه أطبع الشعراء الإسلاميين وأهجام
ومن أرقهم نسيباً .

خليل مردم بك

(١) الهني والمرية : نهران بإزاء الرقة حفرهما هشام بن عبد الملك .

(٢) الغلال : الماء الجاري تحت الشجر على وجه الأرض .

وصية

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الى ولده رحمة الله عليها

استرعى نظري الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، في أثناء بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، الى رسالة لطيفة لابن قتيبة تقع في ثماني صفحات مثبتة في آخر مجموع مخطوط رقمه ١٧٠ ي ٢١ ص ١ . والمجموع يحتوي على (١) الصحيفة المعروفة بالغراء والصحيفة المعروفة بالرحمة والصحيفة المعروفة بالصفراء لادريس النبي عليه السلام منقولة الفاظها من اليونانية الى العربية (٢) رسالة دواء داء القلوب ومعرفة همم النفس وآدابها وغير ذلك (٣) كتاب الشبهات (٤) وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده . وذكر الناسخ في آخر كتاب الشبهات أنه فرغ من نسخه سنة ٤٨٦ هـ ، في ثغر الاسكندرية .

ورسالة ابن قتيبة كثيرة الثقوب ، قد أصاب العطب أطراف بعض صفحاتها فألصقت أوراق بيض عليها لصيانتها . وخط الناسخ فيها وفي سائر المجموع واحد . وهو خط مشرقى قاعدته مغربية . بيد أن خط الرسالة أدق . وعلى ذلك يكون تاريخ نسخها بعد وفاة ابن قتيبة بـ ٢١٠ سنوات . وطول الصفحة ١٨٥ سم . وعرضها ١٤ سم . وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٥ كلمة . والرسالة فريدة لم يرد ذكرها في أي مصدر - حسب علمنا - ولعل السبب أنها كتبت قبيل وفاة صاحبها كما يذكر ، وإنها تقع في بضع صفحات . فهي ليست كتاباً . على أنه لا شبهة في أنها لابن قتيبة نفسه . فالمباحث التي طرقها تنفق وآراءه في سائر كتبه ، وأسلوبه فيها يطابق أسلوبه في سائر مؤلفاته ،

لا سيما في تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية
والمشبهة . ويغلب على الظن أن ولده الذي كتب اليه هذه الوصية هو أحمد
ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الذي روى كتب أبيه كلها بمصر حفظاً ،
بعد أن قدمها على القضاء سنة ٣٢١ هـ . وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ .
ويُساعدنا حقاً أن نظفر بهذا الأثر النفيس القريب للإمام من أئمة الأدب
والفقه في القرن الثالث الهجري . وقد طبع بعد تأليف كتابنا عنه بالإنجليزية^(١)
(من منشورات الجامعة الأميركية في بيروت رقم ٢١ سنة ١٩٥٠) كتاب الأثرية
بتحقيق المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٧ هـ ، وكتاب المعاني الكبير في ثلاثة أجزاء
ضمن منشورات مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٩٤٩ هـ .
وبلغنا ان الأستاذ السيد صقر يحقق كتابين من كتبه هما مشكل القرآن
وعريب القرآن . ويبقى من كتبه المخطوطة : الانواء ، وتأويل الرؤيا ،
وعريب الحديث ، وكتاب العرب المعروف بالرد على الشعوية (انظر كتابنا
بالإنجليزية ص ٥٠ و ٥٣) .

وقد أثبتنا الرسالة كما هي ، واجتهدنا في ملء الفراغ الناجم عن الثقب .
وهي في جملتها تامة ، وان كنا نظن ان الناسخ أغفل سطرأ أو سطرين في
مكان واحد فقط عند كلامه على أوجه الايمان الثلاثة .
وأشكر للأستاذ عبد المطلب إرشادي الى هذا المخطوط النادر ومساعدتي
في نسخه . وهو في الحق يبذل جهداً عموداً في البحث عن المخطوطات العربية
وتصوير النادر منها لقسم المخطوطات في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .
والله يحزل ثوابه ويتولى مسماه بالتوفيق .

(الجامعة الأميركية)

اسحق موسى الحسيني

(١) نقله الى العربية الأستاذ هاشم عبد الوهاب ياغي ومستره دار بيروت للطباعة والنشر قريباً .

وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده رحمة الله عليها

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني أوصيك بوصية ان تمسكت بها رجوت لك
النجاة ، وان استعملت ما فيها سئمت ان شاء الله . واعلم يا بني ان أساس الدين
كله التقوى والعاقبة لمن اتقى « والآخرة عند ربك للمتقين » ^(١) « ومن يتق الله
يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ^(٢)
« ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً » ^(٣) . وأصل الدين
التقوى الذي مدار الأمور كلها عليه ، وهو قول لا إله الا الله لقرله عز وجل :
« وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها » ^(٤) . فمن قام بحقوقها وشروطها
وأدى ما عليه فيها حتى يستكملها فهو من أهلها (بإذن) ^(٥) الله ، لأن الله عز
وجل يقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة
الدنيا وفي الآخرة » ^(٦) .

يا بني ألزم التقوى قلبك والعمل الصالح جوارحك فان الله عز وجل يقول :
« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير » ^(٧) . فقد جمع الله عز
وجل الخير كله في التقوى والعمل الصالح في قوله عز وجل « اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه » ^(٨) . فمن اعتصم بقول لا إله الا الله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها . ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم .

(١) الزخرف ٣٥ . (٢) الطلاق ٢ و ٣ . (٣) الطلاق ٦ .

(٤) الفتح ٢٦ . (٥) الكلمة مطبوعة في الأصل ولعلها بإذن .

(٦) فصلت ٣٠ و ٣١ . (٧) التوبة ١٥٩ . (٨) فاطر ١٠ .

واعلم أن التقوى أصل كل طاعة واجتناب كل معصية . وسبب ذلك كله العصمة والتوفيق ، وإن من التوفيق أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه ورسوله في السر والعلانية لقول الله عز وجل : «وذروا ظاهر الاثم وباطنه» ^(١) . والانسان عريان ولباسه التقوى فمن استتر بغير التقوى لم يستر شيئا وتكشفت عورته لقول الله عز وجل : «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير» ذلك من آيات الله» ^(٢) .

يا بني التقوى أصل كل طاعة وهو اخلاص العمل لله ، وفرع التقوى اليقين ، فضع أساسك عليه بعمل بغيانك ويقر إيمانك ويزدد يقينك .
يا بني اتق الله وتوكل عليه حيث شئت ، فإن من اتق الله في الأصل والفرع وما بين ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً . واجعل التقوى زادك فإن خير الزاد التقوى .
والتقوى أمم . وهو كلمة الاخلاص . والمتقي العبد الذي يتقي الكفر والشرك والنفاق وجميع العصيان حتى يخلص عبادته للرحمن . واتق الأهواء المضلة وجميع الحوادث في الدين واتبع السنة واتق السلف وتمسك بالكتاب فإن الله عز وجل يقول : «فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» ^(٣)
يعني سنة رسوله صلى الله عليه . ولا دين إلا دين محمد ولا سنة إلا سنة محمد عليه السلام .

يا بني قد جمعت لك السنة بحرفين فتمسك بها واعتمد عليها «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» ^(٤) ومع هذا فقد بينت لك شروطها وما يلزمك فيها . ومن السنة أن تقدم من قدم الله ورسوله . وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضوان الله عليه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح . وترحم على أصحاب النبي

(٢) الأعراف ٢٦

(٤) الخثر ٧ .

(١) الأنعام ١٢٠ .

(٣) النساء ٥٩ .

صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل يقول : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » ^(١) واترك النظر فيما شجر بينهم لقول الله عز وجل : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » ^(٢) .

ومن السنة الايمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وان الخير والشر من الله ابتلى به عباده لقوله عز وجل : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » ^(٣) واعلم انه لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما شاء الله وان الأمور كلها بيد الله وفي (قبضته) ^(٤) ولا خار ولا نافع غير الله . وسبب كل طاعة التوفيق من الله . وترك كل معصية (التوفيق) ^(٥) من الله . ولا يقدر أحد يعصي إلا بعد ترك الله . ولا عذر لأحد عند المعصية غير الاعتذار الى الله مع الندم والتوبة الى الله . وأصل التوبة رحمة من الله فتح الله تعالى لآدم (بابها) ^(٦) وعم بها ذريته . والتوبة على العباد فريضة من الله لقوله عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ^(٧) وقوله عز وجل : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » ^(٨) وباب التوبة (مفتوح) ^(٩) الى يوم القيامة . وتوبة العباد من توبة الله عز وجل لم . والله يتوب على من يشاء من عباده . ولا تصح التوبة لأحد إلا بتوبة الله له فطوبى لمن رزقه الله التوبة وألمسه شكر النعمة . واحذر يا بني أن تعصي الله وتعتل بالقضاء والقدر لأن المعصية مصيبة في دين العبد وإن جرت عليه بالقضاء والقدر . والذنب لازم له . والعبد مستعبد ان يقول

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) الخشر ١٠ . | (٢) البقرة ١٣٥ . |
| (٣) الأنبياء ٣٥ . | (٤) نصف الكلمة مطبوس في الأصل . |
| (٥) الكلمة مطبوسة في الأصل . | (٦) الكلمة مطبوسة في الأصل . |
| (٧) النور ٣١ . | (٨) التوبة ١١٨ . |
| (٩) الكلمة مطبوسة في الأصل . | |

ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمي وتب عليّ انك انت التواب الرحيم .
 ومن أخرج ذنبه من القدر فقد أشرك لأنه زعم انه قدر على الذنب بغير قدر ،
 ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال دينه على القدر ليعذر نفسه بالقدر
 فقد فجر ، ومن ادعى أن الاستطاعة والقدر والمشيئة اليه مع الله أو دون الله
 أو ملكه الله أو جعل الله أمر ذلك اليه دونه فقد أشرك نفسه مع الله .
 والشرك ظلم عظيم . لأن الله عز وجل يقول : «إن الله لا يقدر أن يشرك به
 ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ^(١) فويل لمن لا يؤمن بالقدر أو يرى انه قادر ،
 لأن القدر من صفات الله لا صفات الخلق . ومن صفات الخلق الضعف والجزع
 والعجز . وكل من أضاف صفاته الى صفات الله فقد أشرك ، لأن الله
 عز وجل بان بصفاته عن صفات خلقه ، وثبت صفاته لنفسه ، وان الله تعالى
 أمر العباد أن يعبدوه بإخلاص الوجدانية بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له ، وأعجزهم عن أنفسهم عن إخلاص الوجدانية ولم يمنهم عما أمرهم به ولم
 يقصرهم عليه واضطرم في ذلك اليه بطلب المعونة والعصمة والتوفيق منه مع
 إظهار الفقر اليه والفاقة والمسكنة والاحتئانة اليه حتى يتولى ذلك منهم لقوله
 عز وجل : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ،
 ولكن الله يزكي من يشاء» ^(٢) . فلا يزكي أحد من العباد وان بذلوا بجهودهم
 وطاقتهم إلا من زكاه الله عز وجل بحوله وقوته . وان الله عز وجل نهى
 العباد عن أمر ولم يحل بينهم وبينه وأعجزهم عنه ولم يضطرهم اليه ليكون له
 الحجة عليهم .

يا بني فابراً الى الله عز وجل من حولك وقوتك واستطاعتك واسأله أن
 ينقلك بحوله وقوته مما يكره الى ما يحب ويرضى .

(١) النساء ٤٨ و ١١٦ . (٢) التور ٢١ .

يا بني إن الله عز وجل ركب في أنفسي بني آدم خصلتين ، وهما من أعظم
 البلاء عليهما ، الهوى والشهوة . وركب فيهم الخرص وطول الأمل وأعظم من
 ذلك كله الشرك الخفي اذا عمل عملاً لله يريد أن يحمده عليه . وأدنى الشرك
 الرياء ، ورياء الأعمال كلها من الشرك الخفي . وان من السنة التبري من القدرية
 والمرجئة الذين يقولون الايمان قول والعمل شرائعه ، ويقولون من قال لا إله
 إلا الله مصداقاً به قلبه فهو مؤمن حقاً وان أتى الكبائر والفواحش . ويقولون
 ان ايمان الملائكة والأنبياء ومائر الخلق كلهم واحد لا يزيد ولا ينقص .
 واعلم يا بني ان الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة . والشرائع كلها من
 الايمان . والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والايمان
 إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأبدان . والايمان ما وقر في القلب وصدقه
 العمل . والايمان يتصرف على ثلاثة أوجه ، الايمان من الله كله ^(١) شهادة الله
 لنفسه بالوحدانية وهو قوله عز وجل « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة » ^(٢)
 فهو الذي يزيد ولا ينقص ^(٣) لأنه من الله لله وايمان الخلق بعدها وهو ^(٤)
 يزيد وينقص بالطاعة . ومن قول أهل السنة أن يحمدا الله عز وجل على جملة
 الايمان لأن الله عز وجل هدام للايمان ويستثنون في الحقيقة إشفاقاً على الايمان
 وإذا تحقق بالايمان (لحقهم الاشفاق وكل ما لم يحقق بالايمان) ^(٥) فهو على النقصان
 من الاشفاق ، والاشفاق وقع على الصحة والنقصان على العلة ، والاشفاق للعبد
 يقين ، ومائر الناس في نقصان من المجتهدين والباقي هم من الجهال الغافلين .
 واعلم ان العبد اذا جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وبذل مجهوده لله على قدر
 طاقته واستغفر الله عز وجل من النقصان والتقصير الذي يدخل عليه فقد أدى
 لله ما يجب لله عليه في حق العبودية .

(١) هكذا في الأصل ولعلها لله . (٢) آل عمران ١٧ .

(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة لا يزيد ولا ينقص .

(٤) في الأصل ولا . (٥) زيادة في الهامش .

ومن السنة أن يعلم أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق في جميع ما قرئ وتلى ووعى ، منه نزل وإليه يعود . ومن السنة صلاة الجمعة والعيد والحج والجهاد مع كل امام يراى كان أو فاجراً ولزم الجماعة والصبر تحت لواء السلطان على ما يكون فيه من عدل أو جور مالم يدع الى بدعة أو يترك سنة أو ينقض شريعة ، ودفع الصدقات اليهم ، والمحافظة على صلاة الجماعة من السنة المذكورة ، وتركها من غير عذر خلافة ، وأشياء كثيرة قد يبتتها لك في غير هذا الكتاب فتمسك بها .

واعلم يا بني أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة والخوارج . ومنها تنشعب الفرق كلها حتى تنتهي الى ثلاث وسبعين فرقة الذي ^(١) جاء به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون منها هالكة ، والواحدة منها ناجية الذي أنا عليه وأصحابي » . والجهمية الذين يقولون ان القرآن مخلوق ويؤمنون بالقدر ويقولون ان الله عز وجل حال في كل شيء كالشيء في الشيء وكالروح في الجسد والخوارج هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر ويرون إمامتهما ويبرءون من عثمان وعلي . وقد بينتهم وسميت أئمتهم في هذا الكتاب . واعلم أن العلم علان : علم باللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع وهو التقوى والخوف والوجل والاشتاق من علم الله تعالى والخشية من الله ، وكفى بخشية الله علماً : « ومن يخش الله ويته فاولئك هم الفائزون » ^(٢) وليس لمريد العلم غاية ولا نهاية . والمعرفة معرفتان : معرفة إلهية وهي الافرار بالربوبية . وهي مع كل ذي روح خلق الله . وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها . وهي ودعة الله فيهم وحجته عليهم . والثانية معرفة التوحيد الذي استعبد الله عز وجل عباده بها . وهي معرفة الديانة لله . والذي

(١) لها الذي . (٢) الأعراف ٢٣ .

عرف محمد صلى الله عليه وسلم بمعرفة الإلهية عرف الله عز وجل العباد نفسه وهي الفطرة . والمعارف كثيرة . وكل إنسان له مقام من المعرفة على قدر قسمه منه . والذكر ذكران : فذكر باللسان وذكر بالقلب . والأفكار كثيرة . وكل طاعة لله فهي ذكر ، ومن أطاع الله فقد ذكر الله .

يا بني أنت ولدي وقرّة عيني وحقك واجب علي ببذل النصيحة لك ، وقد أصلت لك أصلك ، وأسست لك أساساً ان استقيمت عليه فقد اهتديت وهديت الى صراط مستقيم ، وبالله اهتديت . « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .^(١) يا بني قد صحبت لك طوائف من الناس وبلوت أخبارهم فما رأيت طائفة أجل وأعظم قدراً من أهل الفقر الى الله عز وجل والفاقة والمسكنة الى الله عز وجل ، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك وتواضع لهم بجسمك وتقرب الى الله عز وجل بالنظر اليهم ، ورأسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ، فان الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء الله .

يا بني إن استطعت أن تخاطب الناس كلهم بخلق حسن فخالطهم ، وإن لم تقدر فجانهم وفارقهم على السلامة ، وخالص أولياء الله مخالصة ، وخالف أبناء الدنيا مخالفة ، وبابينهم بالأعمال مبابنة ، ولا تعير أحداً بذنب فتبلي به ، ويشغلك ما تعلم من نفسك عن الاشتغال بغيرك ، واسمع في صلاح قلبك يذكرك الله شر نفسك .

يا بني اعمر قلبك بذكر الله عز وجل ، وجوارحك بطاعة الله ، وكف أذاك عن الناس تسلم لك حسناتك يوم القيامة من المظالم والقصاص . وإن أردت أن تكون أكرم الناس فتوكل على الله . وإن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما عند الله أوثق منك بما عندك .

يا بني ان الدنيا دار غرور ، وقد اغتر بها الأولون وستغر الباقيين ، إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ، فتزود منها لمعادك ، وارض من الدنيا بما قسم الله لك ، ولا تغفل عن أيامك فتقع بك الحسرة والتدامة عند الموت . وبادر الأوقات قبل فواتها من قبل أن يحال بينك وبينها ، واعلم ان الله عز وجل جعل الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبرها ولا تعمرها ، ولا تغتر بزينتها . واعلم أن متاع الدنيا قليل ، وانظر الى عاقبة أمرها في آخرها حتى لا تغتر بأولها .

يا بني من عقل عن الله سارع الى الخيرات وعمل في الباقيات الصالحات . واعلم أن الناس خلقوا للآخرة وابتلوا بالدنيا فهم سكان الدنيا أبناء الآخرة ، ينقلون بالموت من دار الى دار ، فاتعب نفسك في طاعة الله عز وجل قليلاً .

تنعم في دار الآخرة طويلاً .

يا بني انه كان من وصية يعقوب لولده بنيامين : يا بني لا تتبع هواك فتفارق إيمانك ولا تُسَيِّء الظن بالله فيجب دعاؤك عن الله . ولا تتكلم بما لا يعينك فتسقط من عين الله . ولا تظلم أحداً من خلق الله فان الجنة لم تخلق للظالمين .

يا بني لا يكن شيء آثر عندك من الله ، وتجب الى الله عز وجل بمخالفة نفسك لله يحبك الله ويحببك الى عبادته ، ولا تتعب نفسك فيما تكفل الله لك به من الرزق المضمون ، واشتغل بالعمل المفروض . واعلم أنه لا عدو لك أعدى من نفسك فعاد نفسك يرضاً ربك .

يا بني ارض الخلق برضاء الله ، فان رضوا عنك فذلك من الله الذي أَرْضاهم لك ، وان لم يكن رضاء الله إلا بسخطهم فأَسْخَطْهُمْ ولا تبال من مَخْطِ منهم عليك ، واقبل على شأنك ، وكن عارفاً بأهل زمانك ، وأحسن جوار من جاورك ، وعشرة من عاشرك ، وصحبة من صاحبك ، وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والفاقة والمسكنة الى الله واخدمهم بنفسك . وتجب الى الله عز وجل في المحبة لهم وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ، فان

لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة ، وجانب الأغنياء المترفين الذين يتزينون بعمل الآخرة . واحذر مجالس علماء السوء الذين يتزينون بالعلم ويأكلون الدنيا أكلآ ، وان من شرار العلماء الذين يزورون السلاطين ويتصنعون لأبناء الدنيا لينالوا من دنياهم شيئآ . واعلم أن الزاهد من زهد في أموال الناس ، وبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، وقنع باليسير من الدنيا . والفقير الصادق من كتم فقره عن الناس ، ولم يشك ما به الى أحد من المخلوقين ، وقطع أسباب الطمع عن نفسه ، وصبر عند عدم الأشياء حتى يكرث الله عز وجل موضع فرجه .

يا بني لا تطلب الدنيا لتستغني بها ، فإنه ليس في الدنيا ما يغني العباد غير القناعة والبلغة منها .

يا بني خف الله خوفاً لا يكون شيء أخوف له منك ، وارج الله رجاء لا يكون أحد أرحى له منك ، وأحب الله حب من خالط لحمه ودمه وعروقه وشعره وبشره من فرقه الى قدمه ، وتوكل على الله تكف ، وثق بالله تقنع ، وإذا أصابك شدة أو نائبة أو مصيبة فتعز بشواب الله واصبر على بلاء الله وارضى بقضاء الله تكن مؤمناً تستحق من الله حسن ولايته .

يا بني اذا أقبلت عليك الدنيا فلا تفرح لها ، واحذر أن تكون وبالآ عليك ، واذا أدبرت عنك فلا تحزن عليها رجاء أن يكون لك عند الله منزل ، وخذ من الدنيا ما ينفعك ودع منها ما يضرك ، ولا تستكثر منها فيطول حسابك ، فإن السلامة منها ترك ما فيها ، وان أقبلت عليك الدنيا وأنت زاهد فيها لم يضرك وان أدبرت عنك وأنت راغب فيها أضرت بدينك ، فخذ منها القوت ، وقدم الفضل منها لنفسك ، ولا تستكثر الضحك والمزاح فإن كثرتها تميم القلب وتذهب بنور الوجه ، وجالس العلماء ، واستمع كلام الحكماء يحمي قلبك بنور

الحكمة وتزداد في كل يوم علماً وفهماً ؛ واستشعر في أمرك الذين يخشون الله ؛
واعرض حالك على العلم ، فان رأيت العلم يحمد حالك فذاك نعمة من الله
عز وجل ؛ وازدد شكراً تزداد من الله قرباً . ومن شكر الله عز وجل استحق
المزيد من الله . ومن استغفر الله استوجب الغفران من الله . ومن نسي الله
غفل عن أمر الله .

يا بني أنا راغب الى الله في مسألتني له أن يجعلك خلفاً من بعدي تخلفني في
علمي ومذهبي . وقد أملت ذلك من الله أن يجري الله منافع الخير على يدك ،
ويكون ذلك سريعاً ان شاء الله .

يا بني إذا لقيت أحداً من اخواني واصحابي فأقرهم مني السلام وأخبرهم عني
بالله عز وجل ، قال : «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لافيه كن متعناه متاع
الحياة الدنيا» (١) . «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» (٢) .
واعلم أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له يجمع فيها من لا فعل له .
فلا تتمب نفسك وقلبك في شيء يصير منهنا لغيرك وحسابه عليك ، فاطلب من
الدنيا الكفاف وتزود منها للمعاد . واعلم انك ميت لا محالة ، فكن من الموت
على يقين ، ولا تطل أملك في الدنيا ، فانه ليس فيها ما يقني عن الفقر والرخى ،
فاسأل الله عز وجل الفروع والرضا ، ولا تبسط يدك كل البسط ولا تقبضها
كل القبض ، ولتكن بين ذلك قواماً . واقصد في معيشتك واحذر الاسراف
والتبذير ، فان من علامة فقه الرجل القصد في المعيشة .

يا بني من ترك الدنيا زاهداً فيها أقبلت عليه الآخرة وأتته الدنيا راغمة .
ومن كانت الدنيا همه قلت عن الآخرة رغبته . وكل من أعطي من الدنيا شهوة

يحال بينه وبين أمنيته من الآخرة واعلم ان الدنيا حلوة خضرة ، والآخرة مرة
كريمة ، فمن صبر على مكاره الدنيا وصل الى نعيم الآخرة .

يا بني لا تسأل الناس شيئاً واستغن عنهم بغنى الله ، ولا تطمع بأحد غير الله
وإن أصابك شدة فاستعذ بها الصبر ، فإن الفرج كله مع الصبر ، ولا تشك
ما بك إلا إلى الله عز وجل ، واكتم حالك في نفسك جهداً ، فات قلب
صبرك فاشك ما بك إلى إخوانك وخاصة أصحابك .

يا بني إن أباك قد عزي نفسه عند إخوانه وأصحابه بأنه آبقن بالرحيل فهو
يتوقع الأمر صباحاً ومساءً فعز نفسك فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله
عليه وسلم « إنك ميت وإنهم ميتون » ^(١) ، فاستعد للقاء وتزود للرحيل ،
ولا تغتر بالبقاء إذ كان آخر الدنيا إلى فناء وكل ما فيها إلى زوال . واعلم
أن الدنيا بحر عميق لا غور لها قد غرق فيها الماضون وسيغرق الباقون فات
استطعت أن تخطو الدنيا إلى الآخرة خطوة واحدة فافعل ، وإن كانت عليك
فيها مشقة . ان العامل ^(٢) اللبيب من قدم دنياه لآخريته ، وآثر ما يبقى على
ما يفنى ، وخالف نفسه ولم يتبع هواها .

يا بني ان أردت أن يرفع الله قدرك ويعلم في الملكوت ذكرك ويحبك الله
ويحببك إلى عباده فعليك بلين الكلام وإفشاء السلام وخفض الجناح إن اتبعك
من المؤمنين ، واجهد نفسك إلى أن تحسن إلى كل من أساء إليك ، واعف
عن ظلمك ، وكن كفوالم تلجأ إليك ، وخالق الناس بخلق حسن . ولا تعبس
وجهك فيغلظ كلامك ، وإن اعتراك الغضب فاذكر وقوفك بين يدي الله عز
وجل ، وراقب الله جل ثناؤه حتى مزاقته ، واستحي من الله كل الحياء .

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) مكذا في الأصل ومن الجائز أن تكون العاقل .

واعلم أنه معك يسمع ويرى فالزم قلبك علم هذا ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » .

يا بني اذكر الله يذكرك ، وتقرب (إلى) ^(١) الله بقربك ، وتجنب إلى الله ينجبك . وإذا شرع لك أمران ، أمر دنياك وأمر آخرتك ، فأثر أمر آخرتك على أمر دنياك ، وقدم أمر الله في كل حال واعلم أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وآخرته . احفظ الله يحفظك معناه احفظ سريرتك يحفظ الله لك علانيتك . من أصلح سريره أصلح الله له علانيته . ومن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس . وتعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة معناه اشكر الله في الرخاء لا ينسك في الشدة .

واعلم يا بني أن الله عز وجل على لسان كل قائل فاعرض كلامه على قلبك ، فما كان لله فيه رضى فتكلم ، وما كان للنفس فيه هوى فاصمت ، وإن كان حقاً . وإذا تكلمت فتكلم لله ، وإذا سكنت فاسكت لله ، وإذا أعطيت فأعط لله ، وإذا أمسكت فأمسك لله . واجعل حركاتك وسكونك كلها لله ، حتى تكون عند الله عبداً خالصاً مستخلصاً من الأهواء كلها . واحذر مجالسة كل غني أبطره غناه ، ولا تمدن عينيك إلى زينة المترفين في أموالهم ، فرجما ذهب بشماع أبصار القلوب . وإياك والخلوة بالنساء والأحداث فإن الشيطان يزين للعبد في نفسه الفاحشة بالمحادثة لهم والنظر إليهم حتى يوقعه فيها . واحذر المراء والجدال والخصومات في الدين ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وقال جل ثناؤه : « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » ^(٢) . واعلم أن الدين نصيحة والمجالس بالأمانة . وعلينا النصيحة وقبول الحق لمن أوضح الله حجته ووقفه لإصابة الحق . ومن لم ينتفع بقليل الحكمة ضره كثيرها . ومن

(١) زينة منا يقتضيا المقام . (٢) غافر ٤ .

عمل بقليل العلم أدّاه قليل العلم الى كثيره . وخير العلم ما تنفع . وأعوذ بالله من علم لا ينفع . وإنما يراد من العلم العمل . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وإنما نزل العلم والقرآن من عند الله ليعمل به ، فاتخذوه لباس رياسة وضيعوا العمل به فصار حجة عليهم لأنهم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، وتزينوا به عند العامة وأكلوا به الدنيا ، فاستعذ بالله من فتنة العلماء ومن منافقي القراء ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها » وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون قوم من أمتي في آخر الزمان مساجدم منهم عامرة وقلوبهم من الهدى خربة ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم بدت الفتنة وفيهم تعود » . واعلم أن الله عز وجل جعل الخير في قليل من الناس لا في كثير لقوله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور » ^(١) ، وقوله عز وجل : « وقليل ما هم » ^(٢) ، و « قليلاً ما تذكرون » ^(٣) ، « وما آمن معه إلا قليل » ^(٤) وما قل وكفى خير مما كثر وألّى . والله عز وجل يقول : « من رضي مني بقليل من الرزق رضيت منه بقليل من العمل » فأقل من الطعام والشرب والنوم ، وأقل من الكلام فيما لا يعنيك . وليكن كلامك حكمة ، ونظرك اعتباراً ، وصمتك تفكيراً . فإن الله عز ذكره لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدى ولم يهملهم كلهم هملجاً . وخير العلماء الحكماء الرحماء العلماء ثم المتسكون بعلمهم والمتبعون لأثارهم والباقي همج لا خير فيه . وعليك بالجوع والزهادة ، فإن الله عز وجل عبداً لم درجات عند الله لا ينالونها ^(٥) إلا بذلك ، وفي الدنيا يعطيهم الحكمة . ولم أر شيئاً مما يستعمله الميتلى يبطئه وفرجه أنفع له من الجوع والعطش والخوف من الله ، وإن ينصب الموت بين عينيه ، وبذكر

(١) سبأ ١٣ . (٢) ص ٣٤ . (٣) الأعراف ٣ .

(٤) هود ٤ . (٥) في الأصل ينالوها .

وقوفه بين يدي الله عز وجل خائفاً ذليلاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
أتى الله بقلب سليم . وأكثر آفة الناس من البطن والفرج وهما الأجوفان ،
فطوبى لمن عصمه الله عز وجل من بطنه وفرجه .

يا بني ارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم
الغافلين لكثرة غفلتهم واعتراهم بالدنيا ، كل من عليها مرحوم من الجن
والانس والطير والدواب والسباع والأنعام مبتلى بعضهم ببعض ومسلط بعضهم
على بعض . وأعظم البلاء لبني آدم لأنهم مأمورون منهيون ، والبهائم وغيرها
من الدواب مصابون بسبب بني آدم وليس لهم عقوبة ولا لهم ثواب ، ولا عليهم
عقاب في الآخرة ، حكم الله جار عليهم في الدنيا وما الله بظلام للعبيد .

يا بني احذر من الناس من يخذلك بالله ويحرك الى نفسه ليستأصلاك ويستخدمك
وهم العلماء السوء الذين يمتثلون على الدنيا بالدين ويأكلون أموال الناس بالباطل
فانهم شرار الناس في كل زمان . واعلم أنك إن أطعت الله عز وجل بالصدق
والاخلاص أطاعك كل شيء وهابك الفجار وعلتك السكينة والوفار وأثبت في
ديوان الاختيار .

يا بني أحسن جوار نعم الله عليك بالشكر له . فما زالت نعمة عن قوم
فكادت أن ترجع اليهم سريعاً .

يا بني طب عن الأمة نفساً وارضى بالرحمن أنساً ، فما عليها أحد يعدل في
الخيرة فلماً .

يا بني وفقنا الله وإياك لمحابه وجميل مواهبه وجعلك أهلاً للموعظة وتعمك بها .
تمت الوصية لابن فتية رحمة الله عليه وصلى الله على النبي محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً .

في إعجاز القرآن^(١)

... وبعد فما زال هذا القرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » آية باقية على وجه الدهر ، وقد أولع العلماء به بحثاً ودرسا ، فعنوا بتدوينه وجمعه ، ومكيه ومذنيه ، وترتيبه وترتيبه واختلاف مرسومه ، ومعنى أحرفه السبعة وطرق أدائه ، ووصف قراءاته السبع وقرآته ، وبيان الحق في ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وبأقسامه وأمثاله ، وفواتح سورته وخواتمها ، وما في قصصه من عظات وعبر ، وكون إعجازه بلفظه ، وتعذر ترجمته الحرفية (لا التفسيرية) .

ولكن أعلى هذه المباحث خطراً ، وأجلها قدراً ، وأبقاها أثراً ، ذكر خصائصه ومزاياه التي كان بها وحياً معجزاً ، فقد ألفت في إعجازه كتب مستقلة ، وتجلت مباحثه في المصنفات الكلامية والبلاغية ، بآلة ما فسر به المفسرون ما جاء في آية الاسراء ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفي سورة يونس ٣٨ : « أم يقولون افتراء ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي هود ١٣ : « أم يقولون افتراء ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » . وقد تزلت هذه السور الثلاث بمكة متتابعات كما رواه رواة المأثور ، وفي رواية عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية ، والراجح الأول ، لأن أصولها

(١) مقدمة للقرآنات المتسلسلة في إعجاز القرآن للأستاذ فهد المحمي التي نشرتها المجلة في المجلدات : (٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠) .

مكي ، وجاء في سورة البقرة المدنية : « فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » ٢٣ .

وقد توالى الأزمان ، والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو بمشر سور تضاهيه في بعض أنواع إعجازه ، بل بسورة واحدة أيضاً مثاله بلفظه ونظمه وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد تبين بعد طول هذا التحدي بأنه كتاب الله للتزل ووجه المعجز ؛ لكن ما ألفه أمراء اليبان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومعجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إعجازه وإعجازه ، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضياءها تستنير بنوره الأبصار ، ولا تحيط بكنهه الأفكار ، أو هو :

كالبدر من حيث التفت وجدته يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا .

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يفتش البلاد مشارقا ومغاربا

هذا ويود كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده أن لو جمع مادونه البلاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور ، واتساع دائرة العلوم ، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي ، فلتخص ماسطرته الأقلام ، مما جادت به القرائح والأفهام ، وجمعها في كتاب واحد سماه (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بادئا بتاريخ استعمال كلمتي : معجزة وإعجاز ، مفسراً لها لغة واصطلاحاً ، مشيراً الى أنها بمعنى ما ورد في القرآن من الآية والبرهان والسلطان ، ذاكراً أول كتاب عنوان باسم : (إعجاز القرآن) في أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع ، وكتب تحت عنوان (المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب) صفحات كثيرة (معج ٢٧ من ٢٤٣ — ٢٦٣) ضمنها حاجة الرسول لقومه بهذه المعجزة العظمى ، وما كان من إنكارهم لها ، واستكبارهم عن الإيمان بها ، وعجزهم عن الإتيان بمثلا ، ووضعهم

السيف والسنان مكان الحجة والبرهان . وهنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب ازدهاراً ، فإذا عجز أهله عن محاكاة القرآن فغيرهم أعجز ، ويرى أنهم كانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي ، وهو لا يرى أن الزمان قد رجع في البيان العربي القهقري في عهد عز العرب الإسلامي . واستدرك على من يفهم من قوله أن ليس القرآن إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي ، من حيث الفن والمرونة والقدرة على الأداء ، قال : « وهذا غير صحيح ولا أفصده ، ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه قد في بيانه ، وبكفي لا إدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من النقد الأدبي الفني ، فيقارن بينه (أي النص القرآني) وبين نص أدبي آخر يشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله مجزأ رائعاً ، والذي يرجع إلى أسباب سأذكرها في حينها » .

وقد أنشأ فصلاً أبان فيه رأيه في إعجاز القرآن ، وجاء في أوله : « والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها » وردت هذه المميزات إلى أمرين اثنين ، أولهما لفظي يرجع إلى أسلوب القرآن المخالف لأساليبهم جميعاً ، وثانيهما خفي أو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتمليله ، وفصل القول في هذين تفصيلاً (مج ٢٧ ص ٤١٨ - ٤٢٣) وهنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدل بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول كما قال .

ثم قدّم (مقدمة) للإعجاز بعد عصر النبي (ﷺ) ذكر فيها ما خلاصته أن الصحابة الكرام ، كانوا قبل الاتصال بالأعاجم وعقائدهم ، على سلامة

في الفطرة ، وصفاء في العقيدة ، وقوة في الإيمان ، ووحدة في الأمة ، ثم امتد الزمان ، فاشتعلت الفتن ، ونشأت الفرق ، واقتتل المسلمون أنفسهم اقتتالا شديداً تحت راية القرآن وتأويله ، وفي عهد الفتوح ، وامتزاج المسلمين بشعوب البلاد ، كانت دعوتهم وجدالهم مع أهل الأديان « وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الإسلام بزمان طويل على ساق وقدم ، تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة ، أهمها قضية لاهوتية المسيح أوثانوتيته ، وقضية القضاء والقدر ، فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات ، واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم ، فاضطربوا الى مناقشة اصحاب الأديان في أديانهم ، والدفاع عن الإسلام الذي ينكره خصومهم ، وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي ، ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ، ومسألة أنه وحى منزل من عند الله ، لا كلام ألقه الرسول . »

ومن هنا أخذ المؤلف يتكلم على فكرة إعجاز القرآن وتاريخها في العصور ، وأشهر من كتب فيها أخذاً ورداً وقبولاً ورفضاً ، الى عصرنا هذا . ثم أخذ يصف كلام البلغاء في إعجاز القرآن وكتبهم التي ألّفوها فيه خاصة ، وفي طليعتهم الجاحظ والواسطي وإن كان كتابه مفقوداً ، والجرجاني والفخر الرازي ، والزملكاني والقرطاجني ، وبين أن الجماعات التي بحثت مسألة الإعجاز هي أربع : جماعة المعتزلة ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والادباء ، وأن هذه الجماعات ليست متباينة ، فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ ، وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزنجشيري ، وتراهم جميعاً يستمد بعضهم من بعض ، وختم البحث بقوله (ميج ٢٧ ص ٥٧٣) ومن الخير أن أنتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسية - الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً ، أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها . »

وقد طبق مارسعه بدقة وعناية ، ومشى في العصور عصرًا فصيرًا ، مبتدئًا من العصر الثاني ، مختتمًا بالعصر الرابع عشر ، مراعيًا زمن الكتاب ، واصفًا روح عصورهم الأدبية ، ونحلهم التي يميلون إليها . هذا وقد كنت اطلعت على هذه الأقوال أو كثير منها ، وأمرت عليها الآن مجموعة في كتاب بذل صاحبه فيه جهداً يشكر عليه ، وهو ناقل ناقد مستقل ، قلما يتيسر لغيره مثل ما وفق اليه وناقش فيه . وظاهر أن الغرض منه تأييد إعجاز القرآن لا تنقيده ، بدليل أنه أثبت لنفسه رأياً في إعجازه ، وكتبه تحت عنوان (رأبي في إعجاز القرآن) واستدل على ما ذهب اليه بأدلة أوضحها (مج ٢٧ ص ٤١٨ وما بعدها) . ومن سبر هذه الأقوال والآراء سبراً بعيداً عن العصبية والتقليد ، وجد فيها الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والشاذ الذي لا صرية في شذوذه ، وإني ذاكراً لما يجول في خاطر عوناً للمؤلف الكريم على تنقية مؤلفه من الشوائب ، لا سيما ما هو فيه ناقل غير قائل ، وما عرفناه إلا مسلماً منصفاً والله الحمد .

١ - في (مج ٢٧ ص ٢٤٩) : « وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني ، كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنّا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحى من الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

القول الثاني هو الصواب ، والاول خطأ صرف ، قال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس ، ودينيه ، ودرمنغام وأمثالهم ، وقد كانوا كتبوا في الديرة النبوية شيئاً حسناً ، وبسطوا لأنهمم حقائق منها لولاهم لطعمها الجهل والتعصب ، غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام ، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عمومًا ، والمحمدي منه خصوصًا ، ضرباً من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي ، أي

انه تابع من قلب الرسول (ﷺ) ، غير نازل من عند الله (ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفاً للقرآن (مج ٢٧ ص ٢٥٨ و ٤٢١) من قولهم : تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيتها (أي الغاية الإصلاحية) عاطفة متأججة وخيال خصب) .

وقد بسط السيد الإمام (محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى) هذه الشبه ، وأبرز معانيها ، وصورها بأجلى صورها ، ثم كرر عليها بالنقض والإبطال ، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء . (ص ١٠٢ - ١١١ من كتاب الوحي المحمدي) . وقريب من ذلك جعل المعتزلة القرآن مخلوقاً لا وحياً منزلاً ، ففيه نقي صفة الكمال عنه تعالى وهي الكلام ، ورد لقوله « وكلم الله موسى تكليماً » وبدفع قولهم (بالصرقة) - وهي في حقيقتها نقي الإعجاز عن القرآن - أن ليس للعرب من قبل ولا من بعد ما يماثله أو يدانيه .

ويقرب من هذه الأقوال بل يؤدل إليها إثبات الكلام النفسي لله عز وجل دون الكلام اللفظي ، فيكون معنى تنزيل الكتاب من عند الله هو إظهار صورة حسية عن تلك الصورة النفسية الإلهية ، كما تؤخذ نسخة من الكتاب بآلة التصوير فتكون نسخة طبق الأصل ! والأصل هنا ما في نفس الله عز وجل من الكلام المسمى بالقرآن ، والمأخوذ عنه هو هذا القرآن المحفوظ في الصدور وفي السطور ، ومعنى ذلك أن الله لم يتكلم حقيقة ! ! وقد عاب الله من يعبد إلهاً لا يتكلم فقال : « ألم يروا أنه لا يتكلم ولا يهديهم سبيلاً » وقد أنطق العالم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان كالحاكي مثلاً ، أفأبى قدرة الله وحكمته أن يتكلم إلا بفم ولسان كالأإنسان ؟ ! أفليس هو القادر على أن يختم على فم الإنسان وينطق جسده كما قال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم . . . » الآية ، فهل يكون عاجزاً عن النطق من يفعل ذلك ؟ سبحانك اللهم وغفرانك . .

٢ - (ص ٢٩ ص ٥٧٦) قول الرافعي : « في اشتغال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة » لا يدل على أنه « يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض ! ؟ » وإني مورد أمثلة توضح هذه المشكلة :

(أ) قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله : « وأعدوا » هو أمر عام ، موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة ، للدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً (من قوة) ليشمل كل قوة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وفي عصرنا تعم بعموم اللفظين « (ما) استطعتم من (قوة) » القوى البرية والبحرية والجوية .

(ب) ومن معناها قوله سبحانه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهي آمرة بصد كل عدوان يصدر من المجرمين أو الأعداء المحاربين وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مهما اختلف أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، فهو شامل للقذائف النارية اليدوية ، والمدافع والرشاشات ، والسفن الحربية والغواصات والطائرات النفاثة وغيرها ، بل تعم الآن القنابل الذرية والهيدروجينية ، ولا بد من إنشاء المعامل والمصانع لصنعها ، فهل في دلالة هذه العمومات العربية والأصولية الشرعية ، على ما قدمنا ، افتتات على اللغة أو الدين ، ولماذا تقصر العام على بعض أفراد كالسبوف والسهام وهو أضعفها في هذا الزمان ، ونقول هذا هو الاسلام ؟

(ج) وفي صحيح مسلم من حديث عتبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) - وقد تلا هذه الآية - يقول : « ألا إن القوة الرمي » قالوا ثلاثاً ، ولفظ الرمي كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها ، ونحن لا نقول : إن النصوص دلت

على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سميتها بأسمائها ، بل تقول : إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم .

(د) وفي سورة يس : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وهذه الآية كما تدل على « سفائن برّ والسراب » بجمادها » تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسفن الهوائية وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود ، ومثلها آية : « ويخلق ما لا تعلمون » أفما يصح أن يكون هذا الایجاز الشامل طريقاً من طرق الایجاز ؟ بلى ، وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ، وكونه لا تنأى عجائبه ؟

٣ — (مج ٢٧ ص ٢٥٥) : « وذكر الألوحي ذهب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة ، وقع قبل التحدي بعشر سور . . . وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة والاشتغال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحدّاهم بعشر مثله في النظم ، وأيد الشهاب رأي المبرد في أن التحدي كان أولاً بسورة ثم بعشر » قلت : وأيدهم في هذا السيد صاحب المنار في تفسيره ويُن أن حكمة التحدي بالعشر بعد الآية الواحدة هو التوسعة بالآيتين بالخبر الواحد بأصاليب متعددة متساوية في البلاغة ، وإن القاموس الأعظم لا يعجز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والأسلوب ، وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئ والسماعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها .

٤ — يسرد الأستاذ المؤلف أسماء طائفة من أشهر المفسرين الذين خاضوا في الایجاز من الطبري إلى طنطاوي جوهرى في تفسير « الجواهر » ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار ، قال « من الجزء الثاني حتى العاشر » ثم أفرد آراءهم

بالذكر ، ولم يبين عن تفسير المنار شيئاً ، والظاهر أنه سها عنه ، أو لم يتمكن من تلخيص رأيه .

والذي أعرفه أنه تكلم في إعجاز القرآن في الجزء الأول ، وفي الحادي عشر والثاني عشر مفسراً فيها آيات التجدي في البقرة ويونس وهود ، وبما كنت كتبت في إعجاز القرآن من تفسيره مانصه ، أنه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ، ومميزات النبي (ﷺ) التي ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ، ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار ، وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة ، وكجمل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين ، والرياح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر إلى الأنثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١) قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات ، أعماها وأغربها وأعجبها قوله تعالى : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » .

٥ - للإمام ابن القيم كتاب مطبوع سماه « كتاب الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان » وكله شواهد لما وقع في الكتاب العزيز من فنون النفاضة وعميون البلاغة ، وفي آخره فصلان في وجوه الإعجاز وأمثلة منه .

٦ - كتبت تصحيحاً لما رأيت من سهو في بعض الآيات الكريمة وما هي ذي مصححة :

(ميج ٢٧ ص ٢٥٠ س ٨) « وكذلك ... » : « كذلك ... »

السورة ٢ الآية ٢٤٢ .

(ميج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٠) « ... وإن الله ... » : « ... وأن الله ... »

الحج ١٦٦ :

(ميج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٥) نبي أعطي : نبيّ إلا أعطي «حديث» .
(ميج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٨) «إنه أساطير . . .» : «وقالوا أساطير . . .»
الفرقان ٤ ٥ ٥

(ميج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) « . . . تتلى عليه . . . » : « . . . تتلى عليه . . . »
الفرقان ٤ ٥

(ميج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «إنه اقتراه . . .» : «إن هذا إلا إناك . . .»
الفرقان ٤ ٤

(ميج ٢٧ ص ٢٥٣ س ١) «وقال الذين كفروا . . .» : «قال الذين
لا يرجون لقاءنا . . .» يونس ٤ ١٥

(ميج ٢٧ ص ٢٥٤ س ٨) « . . . لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم . . . » :
«ولما يأتهم . . .» يونس ٤ ٣٩

(ميج ٢٧ ص ٤١٨ س ١٢) «يأيها الذين أسرفوا . . .» : «قل يا عبادي
الذين أسرفوا . . .» الزمر ٤ ٥٣

٧ — (وفي ميج ٢٧ ص ٤٢٢) : «فالذي اعتقده أن النبي لو فشل أو قتل
انما قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة» .

لَمْ لا يقال : لو فشل النبي الصادق لكان مسيلمة وأمثاله من الكذابين
أشدّ فشلًا ، وأقلّ ناصراً وعدداً ، ولا يمكن أن تقيم نبوة الكذب طويلاً .

٨ — في (ميج ٢٧ ص ٥٧٧) : «فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافي أنه
كان يقول إن في القرآن كذباً وصفها» ١ : «وأما عيسى بن صبيح المزدار
ف . . . حتى أنه كفر مرة أهل الأرض قاطبة» وقد صنف الأستاذ الحمصي
من تناول قضية الإعجاز في العصر الثالث إلى أصناف : ١ — من ضعفت عقيدتهم
وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر ، وأرباب الأديان ، ويمثلهم ابن الراوندي
من المتفلسفة ، وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة . وقال : «كما كان من
واجب المعتزلة أن يردوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الإسلام» .

فتبين من هذا كله أن هذه الفوضى في الدين تسمى بحجة الفكر ، والمؤلف يسمي من اتهموا بالمعارضة للقرآن أو الزندقة بالمفكرين الأحرار ، والصواب أن هذا الصنف الأول وغيره من الطاعنين في الإسلام ، ومكذبي القرآن هم من أهل الكفر أو المكر والسفه فكيف يصح أن يلقبوا بهذه الألقاب : أحرار الفكر أو الفلاسفة ؟

١ - المؤلف صافي الديباجة ، فصيح الأسلوب ، وقد مررت بي وأنا أطلع الكتاب هنات هينات ، أرجو أن تلاحظ في الطبعة الثانية إن شاء الله :
جاء في آخر (ص ٢٤٧ مج ٢٧) : وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي : لا محل للفظ (فقط) هنا ، لأن (إنما) تفيد الحصر وتغني عنها . ومثلها (في مج ٢٨ ص ٦١) : يمكن (فقط) أن تعرف ، ولا يمكن أن توصف . (وفي مج ٢٨ ص ٦٦) : كاللثني الذي لم ينسب إليه (فقط) عدم اعتقاده بإعجاز القرآن ، بل يرى الخ ومحل (فقط) بعد (بإعجاز القرآن) . ومثلها في (مج ٢٨ ص ٧٧) : أسلوب القرآن ليس أعلى (فقط) من أسلوب الأوس ، بل الخ فأت محلها قبل (بل) .

(وفي مج ٢٧ ص ٢٤٩ ص ٧) : برغم أن الرأي الذي تربد دعمه (ومج ٢٧ ص ٤١٩ ص ١٤) برغم بساطتها . (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٠ ص ٧) : على الرغم من أنه يتناول الخ (و ص ١١) برغم تقدمها النسبي .
أقول إن الأستاذ المؤلف يكتب في إعجاز القرآن وهو يجب أسلوبه ، وقد قال تعالى : « ويطمعون الطعام على حبه مسكيناً » الآية ، ولم يقل برغم حبه أو على الرغم من حبه إياه ، فالأنصح على هذا أن يقال : على أن الرأي : على بساطتها : على كونه يتناول : على تقدمها النسبي الخ .

١٠ - جاء في الخاتمة (مج ٣٠ من ٣٠٨) قول المؤلف : ولا أرى الآن بدءاً من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي جامم ، بكون له قوة البرهان الرياضي ، فيقنع الخصم المعاند » .

قلت : أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي أو الحسي « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » « فاستحبوا العمى على الهدى » . ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلمة هو التجربة ، فكل معتقد أو متفقد في وسعه أن يتحجج نفسه أو من شاء بالاثبات بسورة أو عشر سور كالقرآن ، فإذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإثبات بمثله ، آمن عقله وحسه بالعجز الذي آمنت به نفسه .

ألا وإب هذه لحركة مباركة ، ونهضة قرآنية بالغة ، تدعو حماة اللغة والقرآن في المدارس والجامعات ، ودعاة القومية العربية في كل مكان ، أن يمعنوا النظر فيما كتب هذا الأخ الكريم في إعجاز القرآن ، ليضاعفوا نشاطهم ويعيندوا إلى هذه اللغة الكريمة عهداً الأول الأغر المحجل ، ولقد زرت مدارس الاستشراق في بلاد الأجانب فرأيت فيها الدارسين والدارسات للقرآن ، ومن يتكلم منهم باللغة الفصحى ، وما ينبغي أن يكونوا بدراساتهم للغتنا وكتابنا أسعد حظاً منا . والله تعالى يشكر للمؤلف ما بذله في هذه السبيل من عناء وجهد ، ويبارك فيه ويكثر من أمثاله ، والسلام .

محمد بهجة البيطار

مقدمة المرزوقي

لشعره الحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٦ -

(ويروى عن عمرو أنه قال في زهير: كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال) .

أراد الاحتجاج بكلمة صدرت من أحد أهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قدّم زهيراً بن أبي سلي على غيره من الشعراء بثلاثة أمور سيجيء ذكر الأول والثاني في كلام المؤلف وثالثها هو أنه لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال وفي رواية إلا بما فيه . وما اقتصر عليه المؤلف أظهر في الغرض يعني أنه يصيب الحز من وصف المعنى فإذا مدح أحداً مدحه بصفات الكمال في الرجال كقوله في معلقته يخاطب هرم بن سنان والحارث بن عوف .

تداركتما عبساً وذياناً بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من الجدد يعظم

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو أفضل من قول النابغة :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحميون بالريحان يوم السباب

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق الساج فوق مفرقه على جبين كانه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
وإنما أنكر عليه من أجل أنه عدل به عن بعض الفضائل النفسية إلى ما هو من صفات
الجسم في البهاء والزينة فكان كالذي ينسب بمحاسن الحسناء .
واعلم أن هذا الأصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف أغراض الناس
من عناية بالفضائل النفسية أو المزايا الجسمية أو كليهما قال تعالى : « وزاده
بسطة في العلم والجسم » . وكذلك اختلاف أحوال المدينة والبدواة وانظر
قول جعفر بن عتبة :

إذ هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
تجد ما مدح به نفسه جارياً على خلق الأبطال ولو سمعه الحكيم لعدّه تهوراً .
(فتأمل هذا فان تفسيره ما ذكرناه) .

أمر بالتأمل لظهور أن عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحتراز عن صفات
النساء لأن ذلك لو وقع لكان غلطاً ولا يريد أيضاً أن يكون ما يمدح به
ليس بمدح ولكنه أراد أنه يمدح بما هو كالـ حق . وقوله فان تفسيره ما ذكرناه
أي هو جزئي من جزئيات قاعدة إصابة الوصف أي توصيف المعاني المقصودة
فان المديح نوع من أغراض الكلام ومعانيه فأراد بالتفسير التمثيل .
(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدق ما لا ينتقض عند العكس) .
لأن الفطنة هي التي ترشد إلى مشابهة شيء لشيء أو أشياء وأما حسن
التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطة أشبه الأشياء بالمشبه به في الصفات
المقصودة ومعنى أصدق التشبيه أنه الأشد مطابقة لما في نفس الأمر بحيث لو
عكس التشبيه فجعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب لأنه
ينأى عن شدة المشابهة كقول المتنبي :

وقابلني رماناً غصن بانه يميل به بدر ويمسكه حقف

فشبه الشدين برمانين وقال الآخر :

ورمانه شبيهاً إذ رأيتها بشدي كعاب أو بحقة صرصر
(وأحسنه ما أوقع بين شيتين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما) .
هذه الكلمة لقدامة في كتاب نقد الشعر .
(ليبين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر
صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض
والالتباس) .

أي أحسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج إلى ذكره
فإن كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :
رب ليل كأنه الصبح في الحسـن — وان كان أسود الطيلسان
وقول النابغة في التشبيه المركب :
فأنك كالليل الذي هو مذركي وان خلت أن المتأى عنك واسع
(وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر وتشبيه نادر واستعارة قريبة) .
لم يعز هذا القول إلى معين .

وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر للمبالغة تنويعها
بهذه الثلاثة كما لا يخفى والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي إليه عامة الناس
فالآتي به يدل على حسن فطنته وتخيله . قال في أسرار البلاغة ^(١) : « والمعنى
الجامع في سبب الغرابة أن يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا يترع إليه
الخاطر ولا يقع في الهم عند بدهة النظر إلى نظيره الذي يشبه به بل بعد
ثبوت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك الهم في استعراض
ذلك » . وقال ^(٢) : وما يزيد به التشبيه دقة وسحرًا أن يجيء في الهيئات
التي عليها الحركات كقول الوزير المهلي :

(١) ص ١٢٥ طبع المتل .

(٢) صفحة ١٤٥ .

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقاً ليس لها حاجب
 كأنها بوثقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب
 وقول المؤلف « واستعارة قريبة » كذا في سائر النسخ بالقاف قال ابن رشيق^(١) :
 « إنما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جملة العلماء وإذا استعير للشيء
 ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد أحسن
 استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

يح صوت المال مما منك يشكو ويصبح
 فأني شيء أبعد من صوت المال فكيف حتى يبع من الشكوى والصياح . «
 وحاصل مرادهم أن يكون وجه الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة واضحاً
 وأن تكون إرادة الاستعارة واضحة حتى لا يحتاج إلى القرينة أو إلى تقوية القرينة .
 (وعينار الثام أجزاء النظم والثامه على تخير من لذيذ الوزن الطبع واللسان) .
 أراد بالطبع طبع الممارس للأدب كما قدمناه في شرح قوله « اتسع مجال
 الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصله بقوله :
 (فما لم يتعثر الطبع بأية وعقوده) .

التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض شيء في الأرض . وأراد بالأبي
 الكلام المتكلف المستكره كما تقدم في تفسير قوله « من الأبي المستكر »
 وفي إحدى نسخي تونس ونسخة الآستانه بأبنة وضبط بضمة على الحمزة وفتحة
 على الباء فهو جمع أبنة وهي العقدة تكون في العود فتعرض لكف المثقف
 فتضطرب اليد كأنها عشرة وهذا أنسب بقوله يتعثر . وفي نسخة دار الكتب
 مثل ذلك لكن بلا ضبط . والعقود جمع عقد بمعنى المعقود وأكثر ما يطلق
 هذا الجمع على عقود البناء دون عقد الخشب وفي نسخة مكتبة طلعت وعقده
 وهو جمع عقدة وهي أنسب بالجمع .

(١) صفحة ١٨١ من السدة ، مطبعة هندية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٦ .

(ولم يتجسّس اللسان في فصوله ووصله) •

إن أراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله «تناسب الفصول والوصول» فمبين أن يكون المراد بتجسس اللسان في ذلك أن يشغل عليه ما اختل من ربط الجمل بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد أهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها ويفصلها حيث اعتيد وصلها وفي إطلاق التجسس على هذا تكلف • ويجوز أن يكون أراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال أبيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الأبيات والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا أنسب بقوله :

(بل استمرا فيه واستملاء بلا ملال ولا كلال فذلك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكمة تسالما لأجزائه وتقارنًا) •

وفي نسختي دار الكتب وطلعت وتقارباً بالوحدة والمعنيان متقاربان •
(والا يكون كما قيل فيه :

وشعر كبير الكيش فرّق بينه لسان دعي في القريض دخیل)

في إحدى نسختي تونس ضبط بفتحة على نون يكون فتعين أن تكون همزة الا منثوحة • وهي أن المصدرية ادغمت في لا الناقية وهو عطف على قوله ان يكون من قوله يوشك أن يكون • وأما ضبطه بهمزة في أسفل الألف فيقتضي أن يجزم يكن •

والبيت المذكور هنا نسبة الجاحظ في اليات لأبي اليداء الرياحي واسم أبي اليداء أسعد ترجمه ياقوت في معجم الأدباء •
(وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر أولاد علة بكّد لسان الناطق المتخفّظ)

نسخة يكّد بالبدال أحسن من نسخة يكل باللام وأشهر وكذلك هو في

نسختي تونس ونسخة الآستانة والعلّة بفتح العين خصرة المرأة وأولاد العلة الأخوة للأب وشاع أن يكون بينهم جفوة لأجل جفاء الأمهات ويضرب مثلاً للأشياء المتقاربة غير المناسبة . وخلف هو خلف الملقب بالأحمر ابن حيان مولى بلال ابن أبي بردة وهو بصري علامة في العربية وكان قريب الأصمعي وأعلم أهل عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة .

(وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال : قد قلت لو كان له قران) .

كلمة رؤبة هي من الرجز . وفي البيان للجاحظ قال نوفل بن سالم أوعيد الله ابن سالم لرؤبة بن العجاج : « يا أبا الجحّاف مت متى شئت - قال وكيف ذاك - قال - رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجبتني - قال - إنه يقول لو كان لقوله قران » يريد بالقران التشابه والموافقة كما فسره الجاحظ .

فالمراد بالقول في « قد قلت » في الخبر الذي حكاه المؤلف ومعنى « أنه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول أي هو يقول الرجز الحسن ولكنه يأتي بالبيت الحسن معه البيت الذي لا يماثله في الحسن وهذا كما قال عمر بن جلاً لبعض الشعراء ^(١) : « أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه » ^(٢) . أراد بكونه أخاً شدة المشابهة في معنى الشعرية بحيث يحق أن يوضع إلى جنبه .

(وإنما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لأن لذيذه يطرب الطبع لا يبقاعه ويمارجه بصفائه . كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :
تغن في كل شعر أنت قائله إن الفناء لهذا الشعر مقمار)

(١) عمر بن جلاً التيمي من تيم الرّباب شاعر معاصر لجريز بن عطية الشاعر وقد تهاجيا ولعل كلمته هذه قالها لجريز .

(٢) صفحة ١٤٩ من البيان للجاحظ جزء ١ طبع المطبعة التجارية .

ساق بيت حسان حجة على أن ميزان الشعر من نوع الموسيقى فأوزان الشعر وضروبه تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى ، فحسان يرشد الشاعر الى اختيار استقامة ميزانه بأن ينشد أبياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزن فانه اذا أنشده فلم يتعثر لسانه في تساوي أجزائه علم استقامتها وإلا شعر باختلال فأصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وإنما كانوا يدركون الميزان بالسليقة ، والمضمار المسافة التي تتحدد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

(وعيار الاستعارة الذهن والفتنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفى منه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له) .

إدراك حسن الاستعارة كإدراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك أمرها قرب التشبيه . وملاك الشيء بفتح الميم وكسرهما قوامه الذي يملك به أي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه وتقريب التشبيه تقدم وقوله « لأنه المنقول عما كان له في الوضع الخ » تعليل ليكتفى منه أي لأنه ادعى ان المشبه من أفراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه وأطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لأن الاستعارة مبنية على تنامي التشبيه .

(وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية طول الدربة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نيو ولا زيادة فيه ولا قصور وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص والأخص للأخص فهو البريء من العيب) .

أحال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام الدراسة أي مداولة أهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار وهذا من الحوالة على الذوق وقد قدمناه .

وقوله لا جفاء في خلالها وقع في نسختي تونس ونسخة الآستانة لا خفاء بانحاء المعجزة من فوق في خلالها بضمير التثنية والظاهر ان ذلك تحريف .
والمراد بالأخص الكامل كأنه جعل من اخاصة أي أصحاب الكمال ولذلك قابله بالأخص .

(وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقة في مقراها مجتلبة لمستغن عنها) .

قوله (يتشوقها المعنى بحقه) أي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق وجعل ذلك الشوق ملائماً للحق أي يتشوقها تشوقاً حقاً وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه أي يحظه من البيت فان للألفاظ حظوظاً من المناسبة كما تقدم .

ألا ترى قول أبي الطيب :

رَأَيْتُكَ فِي الدِّينِ أَرَى مَلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مَحَالٍ
فإنك تجد كلمة القافية مفتصلة مجتلبة لأجل الروي وإلا فانت الاستقامة بقابلها الاعوجاج يند أنه غفر له ذلك قوله بعده :

فَأَنْتَ تَفْقُ الْأُنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
فجاء بمعنى بدیع وقافية منشوقة بحيث لا يمكن أن تعرض بغيرها . وقد تقدم بيان بقية كلام المؤلف في عد الأبواب السبعة .

(فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبني شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم . والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلها فيقدر سهته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان . وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن) .

قال قدامة في تقد الشعر « ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف الحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها ، يسمى شعراً في غاية الجودة

وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة وما يجتمع فيه من
الحالين أسباب ينزل له اسماً (كذا) بحسب قرينه من الجيد أو من الرديء أو
وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء .
(واعلم ان لهذه الخصال وسائل وأطرافاً فيها ظهر صدق الوصف وغلو الغالي
واقصاف المقتصد وقد اقتفراها اختيار الناقلين) .

أثبت الدكتور الناشر كلمة اقتفراها بتقديم القاف على الفاء وكذلك هي في نسخة
الآستانة وهي كما فسرهما الدكتور الناشر بمعنى تنبع الأثر وسباق الكلام
يرجع هذه النسخة وذكر الناشر انها في نسخة ط بتقديم الفاء وكذلك هي في
نسختي تونس ويظهر انه تحريف .

(فمنهم من قال أحسن الشعر أصدق قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه
في اسار الصدق يدل على الاقتدار والحدق ومنهم من اختار الغلو حتى قيل
أحسن الشعر أكذبه لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف
امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة وظهرت قوته في الصباغة وتمره في الصناعة
وانسعت موالجه ومخارجه فتصرف في الوصف كيف شاء لأن العمل عنده على
المبالغة والتثليل لا المصادقة والتحقيق وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له .
وبعضهم قال أحسن الشعر أقصده لأن على الشاعر أن يبائع فيما يصير به القول
شعراً فقط فما استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير غلو في القول ولا
إحالة في المعنى ولم يخرج الموصوف الى أن لا يؤمن بشيء من أوصافه لظهور
السرف في آياته وشمول التزويد لأقواله كان بالإيثار أولى) .

هذا مقام شاع خوض البلقاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن
النافقة على حسان في عكاظ - قول حسان :

لنا الجنة الغر يلعبن في الضحى وأسباننا يقطرب من نجدة دما

وهي مشهورة في دواوين الأدب العربي وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر . وقد اختار أئمة الأدب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه إليه قدامة في نقد الشعر إذ يقول « إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً - قال - وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه اهـ » . والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك المبالغة وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على أن مرادهم بالأكذب هو الغلو وهو كذب تصاحبه قرينة على أنه يخالف للواقع لغرض لطيف وليس مرادهم الكذب مطلقاً . وقوله « فمنهم من قال أحسن الشعر أصدق » قال حسان بن ثابت وربما نسب إلى زهير ^(١) :

وانما الشعر لب المرء يعرضه على البرية ان كيباً وان حمقاً
وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقاً

يعني بذلك أن يكون الشعر تعبيراً عن الأمر الواقع وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى . وقوله « كان بالأيثار أولى » في نسختي تونس ونسخة الآستانة « كان بالأيثار والانتخاب أولى » .

(ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع . والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني ودرت أخلافتها وافترقت خفيات انحواطر إلى جليات الألفاظ فتى رفض التكلف والتعمل وخلي الطبع المذهب بالرواية المدرب في الدراسة لاختياره

(١) كما في صفحة ١٤٢ ج ٣ المقدم الفريد والمشهور في كتب الفن ثبتته إلى حسان .

فانترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه - أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر وعفواً بلا جهد وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد العمل والتكلف عاد الطبع مستخدماً متمسكاً وأقبلت الأفكار تستحمله أنقالها وتردده في قبول ما يؤديه اليها مُطالبةً له بالإغراب في الصنعة وتجاوز المؤلف الى البدعة فجاء مؤداه وأثرُ التكلف بلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في آيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسيرُ التزُّرُ ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنائهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاقتدار وذهاباً على الإغراب فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحمل ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف . - فمن مال الى الأول فلائنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالتُه على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابه) .

كلام المؤلف هنا مفصح أتم الإفصاح غير محتاج الى الشرح .
ويجب التنبيه على كلمات : فقله « واذا حاشيت » في نسختي تونس ونسخة الآستانة فاذا بالقاء وهو أحكم ربطاً - وقوله « لاختياره » متعلق بقوله « وخلي الطبع » .

(وأما تعجبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان أبا تمام كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يشتهي وبين ما يستجد ظاهر ، بدلالة ان العارف باليتز قد يشتهي لبس ما لا يستجده ويستجيد ما لا يشتهي لبسه وعلى ذلك حال جميع أغراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجداء والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشهرين منهم دون الأغفال ولا من

الشعر الى المتردد في الألفواه والمجيب لكل داع ، فكان أمره أقرب ، بل
اعتسف في دواوين الشعراء جاهليتهم ومخضرمهم واسلاميتهم ومولدهم فاختلف منها
الأرواح دون الأشباح واختلف الأثمار دون الأكام وجمع ما يوافق نظمه
ويخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تجف عليه وطرق الاحسان والاستحسان
لم تستر عنه .

ليست بعد هذا الكلام حاجة الى الشرح .

(حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد فيه لفظة تشبه فيجبر تقيصته من عنده
ويبدل الكلمة بأختها في تقدمه) .

ان ما حدا أبا تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار من الشعر لم يقصد
صحة رواية أشعارهم لأنها كانت مجموعة مروية وانما أراد تقريب المختار منها الى
أذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثلاً تحذيه أذواقهم ومنوالاً
تنسج عليه أشعارهم ومع هذا فانه لا يصير الى هذا التغيير إلا نادراً عند الاقتضاء
فقد عمد الى قول الربيع بن زياد في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

فغيره وجعله فليأت ساحتنا وحمله على ذلك كراهية تعليق فعل الإتيان

بالنسوة . وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأبئت الى فهم وما بكت آيباً وكم مثلياً فارتقياً وهي تصفر

فغيره ولم أك آيباً مراعاة لكون ما بكت يقتضي أنه تني اقتراب إياه

مع أنه قد آب وفي داعي تغييره نظر يعلم من قوله تعالى : «فذبوها وما

كادوا يفعلون» .

(وهذا يبين ان رجوع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو أنت

نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

وبكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا بقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف
تقدمه ، على ذلك كان المجتري لأنه فيما حكى عنه كان لا يعجب من الشعر
إلا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه) .

قال في دلائل الإعجاز : روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأل المجتري
عن مسلم بن الوليد وأبي نواس أيهما أشعر فقال : أبونواس . فقال : ان أبا العباس ثعلباً
لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر
دون عمله إنما يعلم ذلك من دفع في سلك طريق الشعر إلى مضايقة وانتهى إلى
ضروراته اهـ .

(وحكي الصولي أنه سمع المبرد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت
أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكي عنه أنه مر بشعر
ابن أبي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا
وشعره أبعد الأشياء من شعره وهذا واضح) .

تقدمت ترجمة الصولي . وأما المبرد فهو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد
بكسر الراء الأزدى البصري المولود سنة ٢١٠ والمتوفى سنة ٢٨٥ إمام العربية
بغداد إذ كان فصيحاً علامةً في العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من أبلغ
الكلام وأفصحها نظماً ونثراً . ولقب المبرد أي المثلث للعق وله تأليف جملة .
وأما الحسن بن رجاء فهو أديب شاعر كان زمن الواصل ولم أقف على سنة وفاته
وذكر له في الأغاني ألياناً أربعة كتب بها إلى الحسين بن الضحاك الشاعر في
ترجمته . وابن أبي عيينة اسمه أبو عيينة ^(١) وكنيته أبو المنهال ونسب إلى جده
فهو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى ^(٢) البصري

(١) جهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٤٩ طبع دار المعارف بيجر .

(٢) الأغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولات .

كان شاعراً مطبوعاً من شعراء^(١) دولة الأُميين^(٢) ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون . قال ابن الأثير في الكامل انه أنشد طاهر بن الحسين :

ما ساء ظني إلا بواحدة في الصدر محصورة عن الحكم
يعرض بقتل طاهر محمداً بن يزيد المهلي فتبسم طاهر وقال أما والله ساء في
من ذلك ما ساءك وآلني ما آلمك الخ ترجمه في الأغاني^(٣) وقال « كان
ابن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هنار مرد من قواد
الدولة العباسية . وعن المبرد أنه قال لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد
هجاء رجل ومدح أيه كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :

أبوك لنا غيث نعيش بكنفه وأنت جواد ليس يقي ولا يذر

وعاش ابن أبي عيينة بعد موت المأمون ولم أقف على تعيين عام وفاته . وقول
أبي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في أنه لم يثبت شيئاً من شعره
في ديوان الحماسة .

(وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعراء موقوف على الشهوات إذ
ما كان يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وإن سبيلها سبيل الصور في العيون
إلى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك لأن من عرف مستور المعنى
ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض ولم
تعنسه الخواطر ونظر وتبحر ، ودار في أصاليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته
في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النائب عن
الكثير ، واللمحظ الدال على الضمير ، ودري ترائيب الكلام وأسرارها ، كما
دري تعاليق المعاني وأسبابها ، إلى غير ذلك مما بكل الآلة ويشجذ القرينة ؛

(١) تاج العروس .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩٥ .

(٣) جزء ١٨ صفحة ٨ .

تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا باذن النصفة ولا ينتقد إلا بيد المعدلة فحكمه الحكم الذي لا يبدل وتقدم النقد الذي لا يغير) .

قال الآمدي في الموازنة^(١) : « وأنبه على الجيد وأفضله على الرديء . وأبين الرديء وأرذله وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحييط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجها الى البيان . ولا إظهاره الى الاحتياج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الممارسة وبهذا بفضل أهل الخدافة بكل علم وصناعة من سواهم ممن تقصت قريحته وقلت دريته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج وإلا لا يتم ذلك اد » .

(واعلم انه قد يعرف الجيد من يجمل الرديء والواجب أن تُعرف المقايح المستنخطة كما عرفت المحاسن المرتضاة) .

هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئه بعد أن انتهى من بيان أسباب الجودة والاختيار . وأراد بقوله قد يعرف الجيد من يجمل الرديء انه قد يتمحص بعض الأدباء للانكباب على مطالعة المختارات والدواوين المشهورة لها بالإجادة ولا يشتغل بتتبع سافط الأشعار لأن في طباع الناس اتباع الكمال ومحبة العكوف على الحسن إرضاء لميل النفس الى محاسن الأشياء وجمالها فيبقى غير عالم بالرديء ، وينطاول الأعراض عن تتبع الرديء يضعف انتباهه الى علل السقوط وأسباب الرداءة . وليس مراده يجمل الرديء العجز عن أن يدرك رداءة الرديء فان من عرف الجيد لا يعدم إدراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله « والواجب أن تُعرف المقايح الخ » فكما يجب معرفة أسباب الاختيار يجب معرفة علل النقد . فلا جرم ان كان واجبا على من يُعنى بالأدب اهتمامه بمطالعة ما للشعراء من أسقاط^(٢) وأغلاط كما يهتم بما لم من بدائع انشاد .

(١) صفحة ١٦٧ .

(٢) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً ولأن ذلك يكسبه ملكة الحكم مقدرة
الاقناع بأسباب الارتفاع والانحطاط .

(وجماها إذا أجملت أنها أخصداد ما يبناء من عمدة البلاغة وخصال البراعة
في النظم والنثر) .

أراد بعمدة البلاغة ما سماه فيما تقدم عمود الشعر وهو الأبواب السبعة وبخصال
البراعة ما سبق من شروط الإرجادة عند البلغاء .
(وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً) .

قوله وفي التفصيل عطف على قوله إذا أجملت وهذا تفصيل ما أجمله آنفاً .
وقوله « كان يكون اللفظ وحشياً » يقال وحشي ويقال حوشي بطريق القلب
المكاني والوحشي اللفظ الذي يقل استعماله في الكلام الفصيح أو يكون مراد
الشاعر به غير معلوم ومثاله ما وقع في شعر أبي حزام غالب العملي من شعراء
زمن المهدي قوله :

تذكرت سلى وأهلا سها فلم أنس والشوق ذو مطرؤة
وأشد أحمد بن جحدر ابن الأعرابي ألياناً منها قوله :
حلت بما أركلت نيموه همرجللة خلفها شيعظم
فقال له ابن الأعرابي إن كنت جاداً فخبيك الله .
(أو غير مستقيم) .

أراد به ما خالف قياس اللغة كقول أبي النجم « الحمد لله العلي الأجلل »
بنك الادغام ، أو ما خفي اشتقاقه كقول العجاج « وفاحماً ومرسناً مسرجاً »
فلم يدر أراد أنه منسوب إلى السيف السريحي في الدقة والاستواء أم إلى السراج
في البريق .

(أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب) .

يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم من قول المسيب بن علس :
« بناج عليه الصعيرة مكدم »

ومثله الاستعارة المذمومة كقول أبي تمام :

لا تسقني ماء الملام فاني صب قد استعذبت ماء بكائي
(فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتبع الوحشي ولا يعاظر
في الكلام) .

ساقه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم
يقصر على إحدى الجملتين كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدم من قول عمر
« ولا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال » حيث كانت ترجع إلى حسن
معنى الوصف .

وقول عمر « لا يعاظر في الكلام » وقع في نسختي تونس وفي نسخة
الآستانة ولا يعاظر الكلام بسقوط حرف الظرفية وكذلك في النسخة الشنيطية
من النسخ التي اعتمدها الناشر ولا وجه لسقوط « في » إذ لا يتعدى فعل يعاظر
إلى الكلام بنفسه . وفي كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ^(١) « ولا يعاظر
بين الكلامين » وفي نقد الشعر والموازنة والمثل السائر « ولا يعاظر بين الكلام »
وإضافة بين إلى الكلام وهو مفرد لأنه على تقدير الأجزاء أي بين أجزاء
الكلام ومفرداته . ومعنى يعاظر يجعل الكلام متعاظلاً كما جاء في الحديث :
« سابق بين الخيل » أي جعلها تناسق والمؤلف غير كلام عمر بأن جعل حرف
الظرفية في موضع بين لبوضح معنى بين . واختلفت أقوالهم في تفسير المعازلة
اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقاق اللفظ : ففسر أبو زيد المعازلة بأن يردد
الكلام في القافية لمعنى واحد (يعني الإبطاء) . وفسرها قدامة بأنها أن يدخل
الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وهذا تفسير غلط فيه الأمدى
في الموازنة . وفسر هو المعازلة بأنها شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها
ببعض وإن بداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وإن اختلف المعنى
بعض الاختلال كأنه يعني الإفراط في التجنيس ومثلاً بقول أبي تمام :

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

خان الصفاء أخ خان الزمان 'أخاً' عنه فلم يتخون جسمه الكمد
 لكثرة ألفاظ خان وتخون وأخ وأخاً . وفسرها ابن الأثير في كتاب
 المثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر وتكرار العوامل
 وتتابع الإضافات . ويظهر أن المؤلف يجعل المعازلة كون اللفظ غير مستقيم
 الدلالة أو غير مستعمل في المعنى المطلوب وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به
 المعازلة فله دره في إيجازه وإعرازه وأياً ما كان تفسير المعازلة فهي عيب يتعلق
 بالألفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها .
 (أو يكون فيها زيادة تفسد المعنى أو نقصان) .
 أما الزيادة المفسدة فكقول الشاعر :

بأطيب من فيها لو أنك ذقته إذا ليلة أسجعت وغازت نجومها
 فقوله لو أنك ذقته زيادة تفسد المعنى لأنها توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً .
 وأما النقصان المفسد للمعنى فهو أن يترك من اللفظ ما به تمام المعنى المراد
 كقول الشاعر :

لا يرمضون إذا حرّت مشافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميالا
 وينشلون إذا نادى ربيهم ألا اركبن فقد آنسنا أبطالاً^(١)
 فقوله وينشلون أراد أن يقول ولا يفشلون فحذف لا فصار إلى ضد المعنى .
 ومن هذا النوع الإيجاز الذي لا يفي بالمقصود كقول الحارث بن حلزة :
 والعيش خير في ظلا ل التوك من عاش كدا
 أراد العيش الناعم في حالة الحفاقة خير من العيش بكدا في حالة العقل فقصر عن المراد .
 (تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

« يتبع »

(١) يصف قرماً باباء الضم فتبهم بابل لا ترمض أي لا ترمي الرميضة وهي الأرض التي
 اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء . وفي لا يرمضون استعارة . كناية ووصفهم
 بالنشاط إذا دُعوا إلى منازلة الأبطال .

كتاب اللمعة

في صنعة الشعر

لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري



زار دمشق منذ أسابيع الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد إحياء المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعرج في أثناء زيارته على المجمع العلمي العربي وأطلع معالي رئيسه الأستاذ خليل مردم بك على صورة شمسية لصفحات من مجموع موجود في مكتبة سليم آغا في امكودار باستانبول كانت المنشرق الكبير ريتز قد قام مشكوراً بتصويرها وإرسالها الى المعهد المذكور .

وهذه الصفحات تشتمل على كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) للأنباري .
والأنباري هذا هو كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن أبي سعيد الأنباري^(١) . ولد سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) في مدينة الأنبار على الفرات وأخذ عن كبار علماء عصره كالرزاز والجواليقي وابن الشجري ودرس في النظامية في بغداد ثم توفي سنة ٥٧٢ هـ (١١٨١ م)^(٢) بعد أن صنف

(١) بين المؤرخين خلاف حول أسماء أجداد الأنباري ، فمنهم من يُنقل عبيد الله من سلسلة نسيبهم ومنهم من يجعل اسم أبيه محمداً واسم جده محمد بن عبيد الله
(٢) ترجم للأنباري من المتقدمين السبكي والسيوطي وابن خلكان والكتبي في (فوات الوفيات) وابن قاضي شبة ، ومن المتأخرين بروكلمان وقايل ودائرة المعارف الإسلامية وغيرهم .

أكثر من سبعين كتاباً تجد ثباتاً بالهم منها في (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي وفي (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان (ج ١ ص ٢٨١) وذيله (٤٩٥/١) وفي كشف الظنون لحاجي خليفة وفي مقدمة كوتيهولد ثابل التي صدر بها كتاب الأنباري (الإيضاح في مسائل الخلاف) الذي نشره في لندن سنة ١٩١٣ على أن أكثر المؤلفات الأنباري لم يطبع^(١) . ومن هذه المؤلفات (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) . أشار إلى هذا الكتاب بعض من ترجموا للمؤلف من القدامى والمحدثين كالسيوطي وحاجي خليفة - وقد ذكر فاتحة مقدمته وهي وفق فاتحة المخطوط الذي نتحدث عنه - وبروكلمان^(٢) . وفي آخر المخطوط يحيل الأنباري على كتاب آخر كان قد ألفه من قبل واسمه (الموجز في علم القوافي) - وترجمو الأنباري يثبتون له كتاباً بهذا الاسم أو باسم قريب منه فيسميه السيوطي (الموجز في القوافي) ويجعله حاجي خليفة (شرح الموجز في القوافي) - وعلى ذلك فلا مجال للشك في نسبة (كتاب اللمعة) للأنباري .

ومخطوط خزانة سليم آغا الذي نشره هنا يشتمل على أربع ورقات رقها في المجموع ٩٦ - ٩٩ وفيها سبع صفحات ، في الصفحة قرابة عشرين سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة في الغالب . ويبدو لي أن هذا المخطوط كتب

(١) يقوم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي بتحقيق كتاب من أجل مؤلفات الأنباري وهو (أسرار المريسة) وسيصدر قريباً بإذن الله في (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) .

(٢) يسميه بروكلمان في متن تاريخه (٢٨١/١) : كتاب اللمعة . . . وفي ذيله (٤٩٥/١) كتاب السمع . . . ويقول إن له بمخطوطاً في خزانة سليم آغا رقمه ١٠٧٤ (وهو الذي نقل صورته إلينا) وقد تحدثت عنه مجلة ZDMG ٥٩/٦٨ ومخطوطاً آخر في خزانة أحمد تيمور وقد تحدثت عنه مجلة RAAD ٣٤١/٣ .

أولاً حوالي القرن السابع ثم جاء ناسخ آخر في القرن العاشر فأجرى قبله من جديد على الكثير من سطور المخطوط لتتضح حروفها وتسهل قراءتها . وعلى الصفحة الأولى من هذا الكتاب نجد ما يلي (من كتب الفقير الى رحمة الله تعالى اسمعيل بن خويدار البزاز الاسعدي^(١) غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين) . ويبدو أن اسمعيل هذا قد امتنسخ الكتاب لنفسه ، فقد ذكر في خاتمة قوله : (ووقع الفراغ من نسختها غفر الله لكانتها اسمعيل بن خويدار البزاز الأسودي) . ولعل (الأسودي) هنا خطأ في النسخ صوابه (الاسعدي) كما جاء في صفحة الكتاب الأولى .

أما تاريخ كتابة هذا المخطوط فشكل تعيينه ، فنحن نجد في آخر المخطوط (ووقع الفراغ من نسختها ثالث شوال سنة تسع ء وستائة ٩١٩) وقد كتب شطر الجملة الأول يخط يختلف عن خط الشطر الثاني ، كما نجد عسراً في معرفة المقصود من الكتبتين اللتين تليان (تسع) وهما (ء وستائة) فالكلمة الثانية يمكن أن تقرأ (تسماية) وقد أضيف الرقم (٩١٩) إلى الجملة ترجيحاً من الناسخ الذي ختم بهذا الرقم الكتاب بعد قوله (ولوالديه ولجميع المسلمين) . الخط واضح في الجملة والكتابة أقرب إلى الصحة . ومن عادة الناسخ تسهيل الهمزات غالباً وإثبات كراسيها ، فهو يكتب (ليست) بدل (لبشت) وهو يضع أحياناً نقطتين تحت الألف المقصورة ويهملها تحت الياء . ومن عادته الوصل بين صدر البيت وعجزه في الأغلب . أما الشكل فلا يركن اليه دائماً لوقوع كثير من الغلط فيه .

(١) اسمعدي : جعلها صاحب القاموس بالكسر وبإثبات الألف في أولها ، على أن المتأخرين كشمس الدين سامي صاحب قاموس الأعلام حذفوا الألف . واسعدي لا تزال عامرة إلى اليوم وهي قائمة بالقرب من الحدود السورية الشمالية في الأناضول جنوبي بتليس بقرب دجلة . ومن سكانها عرب كثيرون .

كتب الناسخ اسمعيل على صفحة الكتاب الأولى البيتين التاليين :

إن عيشاً يكون آخره الموت لعيش معجلاً التنقيص
 رحم الله من قرا خط كفي ودعا لي بالعمو والتحميص

ثم يلي ذلك خاتم خزانة الكتب التي أردعت اللمعة وعليه : « حبي الله .
 قد وقف هذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهاب الحاج سليم آغا وشرط
 بأن لا يخرج ولا يرهن فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه » .
 وفي تضاعيف ذلك تاريخ الخاتم وهو غير واضح . وفي آخر الورقة الرابعة في
 الصفحة الثامنة أبيات بالتركية في ذم الدنيا والشكوى من غدر الصديق ،
 كتبت في عصر متأخر .

★ ★ ★

كانت المطولات قد كثرت في القرن الثالث والرابع بعد ازدار العلم واستبحار
 الحضارة وانتشار الثقافة . فلما جاء عصر الأنباري عكف العلماء على اختصار
 هذه المطولات في رسائل موجزة تقتصر على إيراد زبدة ما في تلك المطولات ليسهل
 حفظها على الناشئين وتخفيف وئونها على الشادين . وكما ألف الأنباري كثيراً
 من المطولات فقد ألف عدداً وافراً من هذه الرسائل الموجزة ومنها (كتاب
 اللمعة في صنعة الشعر) . وقد جهد في توضيحه كثيراً من الوجوه البلاغية
 المستعملة في الشعر بأوجز عبارة ، حتى ليبلغ الأمر بالمؤلف أن يجنّز غالباً
 باسم الوجه وذكر شاهده عن تعريفه وتحديدده . وقد يلقى المطالع في اللمعة
 عسراً في تبين الوجه من المثال وحده . والمؤلف يقفل اسم قائل البيت إلا
 الخفاء فقد ذكر اسمها مرتين . وقبلهما يثبت للوجه الواحد أكثر من مثال
 واحد . وقد يكتفي من بيت الشاهد بذكر صدره أو يذكر البيت السابق
 اعتماداً على ذبوع تلك الآيات ومعرفة الناس لها . على أن أكثر شواهد

اللمعة مشهور مذكور في كتب البلاغة المطبوعة . وهذه الأشعار مستقاة من الشعر
الجاهلي والأموي والعباسي . ورواية الأنباري لبعضها قد تختلف أحياناً عما جاء
في دراهين أصحابها .

وفي نسخة اللمعة هذه (٤٦) وجهاً من الوجوه البلاغية أطلق عليها الأنباري
أسماء تختلف أحياناً عن أسمائها المشهورة بها ، فما يسميه المجانسة مثلاً يسميه
البلاغيون المشاكلة ، والإعنتات عنده هو لزوم ما لا يلزم عندهم . وهذا أمر
يجدر الوقوف عندهم للاطلاع على أطوار نشوء علم البلاغة .

وقد ساق الأنباري هذه الوجوه تباعاً ولم نستطع تبين النسق الذي اتبعه
في إيرادها وترتيبها ^(١) ، ولعله لم يتقيد في ذلك بميار .

بقيت كلمة واحدة وهي أن المؤلف ينتقل في صدر كتابه من الحمدلة والصلاة
على النبي إلى ذكر هذه الوجوه دون توطئة ولا تمهيد ، فهو يقول :

(. . . .) انه جواد وهاب فمهما الاستعارة) ويختل إلى أن في الكلام
نقصاً ، اللهم إلا إذا بلغ حرص الأنباري على الإيجاز مبلغ حرص ذلك الشاعر
الذي أنشد الأمير قصيدة في مدحه أطال فيها الغزل فعاتبه الممدوح ، فجاءه
الشاعر في الغد بقصيدة مطلعها :

هل تعرف الدار لأم عمرو دع ذا وحبر مدحة في نصير

(دمشق) عبد الرهاري هاشم

(١) وضنا لهذه الوجوه أرقاماً متسلسلة لتسهيل مراجعتها .

كتاب اللُّعْنة في صنعة الشعر (٩٦) آ

صنّفه الشيخ الإمام العالم كمال الدين أبو البركات^(١) عبد الرحمن
ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي قدّس الله روحه
ونور ضريحه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٩٦) ب

الحمد لله رب الأرباب ، والصلوة على محمد خيرته سيد الأحياب ، وعلى
آله وأصحابه أولي البصائر والألباب ؛ وبعد فهذه مُلَمّة في صنعة الشعر مُعرّاة
عن الإطناب ، مجردة عن الإسهاب ، فالله تعالى ينفع بها إنه جواد وهاب .
فمنها

١ - الاستعارة : وهي أن تعلق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل
اللغة ، كقول الشاعر :

أصبتُ المدام يريق النمام وقد زُرّ جيب قبص الظلام
فشابت نواصي الدجى وانتري عن المبيع مربال ليل التمام
فاستعار للظلام قبصاً ، وللقبص جيباً ؛ واستعار للدجى نواصي ، وللنواصي
شيباً ؛ إلى غير ذلك من فنون الاستعارة ، وهي أكثر فنون الشعر استعمالاً .
ومنها

٢ - المطابقة : وهي على ضربين : ذكر المعنى وضده ، ورد آخر
الكلام على أوله .

(١) وردت هذه الجملة في المخطوط : صنعة الشيخ الإمام العالم كالال (كذا) أبي البركات .
وكامة (كالال) كان موضعها ياضاً ثم أضيفت بحبر مختلف .

فذكر المعنى وضده كقول الشاعر :

”تحيي الرواس ربها فتجده بعد البلاء وتميته الأمطار“^(١)

فطابق بين الإحياء والإماتة وهما ضدان .

وردد آخر الكلام على أوله كقول الشاعر :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوم لبست الخلتان : الجهل والجبن

ومنها

٣- المجانسة : وهي على ضربين : مناسبة ومزاوجة .

فالمناسبة كقول الشاعر :

فما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوبا عن المجد حابس

والمزاوجة كقول الشاعر :

ألا لا يجهان أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا

فاستعار للشأن لفظ الأول وهو الجهل لمزاوجة الكلام ، كقوله تعالى :

”فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم“^(٢) ؛ فاستعار للشأن

لفظ الأول وهو الاعتداء لمزاوجة الكلام ، وهذا يقع كثيراً في الجزاء فاعلم .

ومنها

٤- المشاكسة : وهي^(٣) أن تذكر كلمتين ساكنهما واحد ومعناها مختلفان ،

كقول الشاعر :

(١) من معاني الرواس : الرياح التي تنطلي آثار الديار بما تشيد ، وأجد الشيء

صيره جديداً ، والبلاء بفتح أوله وحذف همزة الآخر هو كالبلي بكسر أوله

من بلي الثوب : رث .

(٢) البقرة ١٩٤ .

(٣) في المخطوط : وهو .

كادت تسافطني والرحل أن نطقت حماة فدعت ساقاً على ساق (٩٧) آ
(قالساق) الأول ذكر القماري (والساق) الثاني ساق شجرة والحمامة هاهنا قمرية .
ومنها

٥ - الموازنة : وهي أن تكون أوزان الكلام متساوية ^(١) وأجزاؤها متوالية كقول الشاعر :

سلم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال ^(٢)

ومنها

٦ - الترصيع : وهو أن تكون مقاطع الأجزاء مسبوقة متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، كقول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليفة ———— لدي الطريقة تقاع وضرار ^(٣)
جواب قاصية جراز ناصية عقاد ألوية للجيش جرار ^(٤)

(١) في المخطوط : اوزازن الكلام مشاداً ؛ والى الصواب ما أثبتناه .

(٢) ورد البيت في المخطوط بالرسم التالي :

سلم الشظا عبل الشوى اشج النسا له حجبات مشرفات على الفال
وما أثبتناه رواية اللسان في مادة : شظى .

(٣) لم يرد هذا البيت في مخطوطات ديوان الخنساء التي اعتمدها لويس شيخو في طبع « أنيس الجلاء في ديوان الخنساء » بيروت ١٨٩٦ . ولكنه ورد في العقد الفريد (٢٢/٢) وفي المثل السائر لابن الأثير في (الترصيع) وهو النوع الثالث من المقالة الأولى في الصناعة الانظمية .

(٤) ما أثبتته الأنباري هنا هو رواية أبي حلال العسكري في كتاب (الصناعتين) ورواية صاحب الحماسة البصرية . أما رواية ديوان الخنساء الذي طبعه شيخو لهذا البيت فهي :

حال ألوية هباط أودية . شهاد أندية للجيش جرار

ومنها

٧- التسميط : وهو أن تكون الأجزاء متوالية مسجوعة أو كالمسجوعة ،
كقول الشاعر :

مكرّ مفرّ مقلّ مدير معاً

ومنها

٨- التصحيف : وهو كقول الشاعر :

فلم يكن المغترّ بالله إذ مرى ليُجزّ والمعتزّ بالله طالبه

ومنها

٩- الغلو : كقول الشاعر :

هذا الذي تعرف البطحاء وطائنه والبيت يعرفه الحِلُّ والحرم
يكاد يمسه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومنها

١٠-^(١) وهي أن يؤكّد معنى لو اقتصر عليه لكان كافياً ،
كقول الشاعر :

وأقبح من قرد وأبخل بالقرى من المكاب أمسى وهو غرثان أعجف

ومنها

١١-^(٢) وهو تأكيد التشبيه بالقافية ، كقول الشاعر :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي^(٣)

(١) يابض في الأصل .

(٢) شبه يابض في الأصل لم تتين ما فيه .

(٣) في المخطوط : البالي .

ومنها

١٢ - المقابلة : وهو أن يذكر فيها يرافق ما يرافق وفيما يخالف ما يخالف ،
كقول الشاعر :

ففي تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء
ومنها

١٣ - التكافؤ : وهو قريب من المطابقة كقول الشاعر :

إذا أبقتك حروب العدي فبينة لها 'عمرآ ثم ثم'
ومنها

١٤ - القسم : كقول الشاعر :

بقيت وفري وانحرفت عن العلي ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشن على ابن حرب غارة لم تخل يوماً من نهاب نفوس
ومنها

١٥ - صحة التقسيم : وهو أن يذكر جميع أقسام ذلك المعنى لا يتأدر
منها شيئاً ، كقول الشاعر :

فقال فريق القوم لا وفريقهم بلى وفريق قال ويحك ما تدرى
ومنها

١٦ - الاستثناء : وهو كقول الشاعر :

ولا عيب فينا غير عرق المعشر كرام وأنا لا نخط على النمل^(١)

(١) كذا في المخطوط ، والثملة : بقية الماء في الحوض . وقد تكون :
... وأنا لا نخط على الرمل .

ومنها

١٧ - الاستدراك : كقول الشاعر :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتُها إليك وكلاً ليس منك قليل

ومنها

١٨ - الإشارة : وهي أن تدل الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة ،

كقول الشاعر :

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقل في مَقبلِ نَحسٍ متغيب

ومنها

١٩ - التذييل : وهو ضد الإشارة ، كقول الشاعر :

فدعوا نزالٍ فكنتُ أول نازلٍ وعلامَ أركبه إذا لم أنزل

ومنها

٢٠ - التفريع : كقول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تماذفت به جنبنا الجودي والليل دامس
فلما أقرته اللصاب تنفست شمال لأعلى مائه فهو فارس^(١)
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكنني فيما ترى العين فارس

ومنها

٢١ - التكرير : كقول الشاعر :

وكادت فزارة تشقى بنا فأولى فزارة أولى فزارا

(١) في المخطوط : شمال لا علا ما به فهو فارس . ولعل الصواب ما أثبتناه .
واللصاب جمع اللصب وهو الشب الصغير في الوادي أضيق من اللهب وأوسع
من الشيب أو مضيق الوادي .

ومنها

٢٢ - التكميل : وهو أن تذكر المعنى بجميع ما أتم به صحته ،
كقول الشاعر :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى بالحن عند موفى لقضى لها
بقوله (عند موفى) تكمل المعنى .

ومنها

٢٣ - التوشيح : كقول الشاعر :

وليس الذي حالته بجلل وليس الذي حرّمته بجرام

ومنها

٢٤ - المساواة : وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى من غير زيادة
ولا نقصان ، كقول الشاعر :

ومها تكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومنها

٢٥ - التبيين : وهو كقول الشاعر :

لقد خنت قوماً لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لألفيت فيهم معطياً ومطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوم (١٨) آ
بين (حاملاً ثقل مغرم) بقوله (معطياً) ، وبين قوله (طريد دم) بقوله
(مطاعناً) .

ومنها

٢٦ - التسيم : وهو أن يتدنى بمعنى غير مشروح فينوم أن السامع
لم يفهمه فيرجع إليه فيكشفه ، كقول الشاعر :

ليست عليهم إذا يندون أردية^(١) إلا جياذ قسي^(٢) النبع والجم^(٣)
من غير عدم ولكن من تبذلهم للصيد حتى يضج القانص اللحم
فكشف المعنى في البيت الأول بالبيت الثاني ونممه به .

ومنها

٢٧ - التفويف : وهو من البرد المفوف ، وهو الذي في وشبه شيء
من البياض ، كقول الشاعر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لما في غيل خفان أشبل
هم بمنعوت الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطا بوارأ جزلوا

ومنها

٢٨ - التعطف : وهو أن يعلق كلمة بمعنى ثم يعيدها ويعلقها بغير ذلك
المعنى ، كقول الشاعر :

من يلق يوماً على علاته هريما يلق السباحة منه والندى خاقا

ومنها

٢٩ - الإرداف : وهو^(١) أن تعيد معنى فتعدل عن اللفظ الذي يدل
عليه إلى لفظ هو تابع له ، كقول الشاعر :

ويضحى فبيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق^(٢) عن تنفل

(١) في المخطوط : وهي .

(٢) في المخطوط : لم ينتطق .

ومنها

٣٠- الالتفات : وهو أن يكون في كلام فيعدل عنه ^(١) الى غيره

قبل تمامه ثم يعود إليه فيتمه ، كقول الشاعر :

فلو أن ريحا بلغت وحي مرسل خفي لنا جيت الجنوب على النقب
فقلت لها : أدي اليهم تحيي ولا تخلطها طال سعدك بالترب
فقوله (طال سعدك) التفات •

ومنها

٣١- السلب والایجاب : كقول الشاعر :

وتنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ومنها

٣٢- الكناية والتعريض ^(٢) : كقول الشاعر :

وأحر كالدياج أما سماؤه فرياً وأما أرضه فمحاول—
سماؤه أعلاه وأرضه قوائمه •
(٩٨) ب

ومنها

٣٣- العكس والتبديل : كقول الشاعر :

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

ومنها

٣٤- الجمع بين المختلف والمؤتلف في بيت واحد : كقول الشاعر :

سماعة ذا وير ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

(١) في المخطوط : منه •

(٢) في المخطوط : والتعويض •

ومنها

٣٥ - المذهب الكلامي : كقول الشاعر :

ولكنني كنتُ امرءاً لي جانب من الأرض فيه مُستتراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكمهم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطفتهم فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا
يعني كذا لا تعدُّ مذنباً مَنْ مدحك لإحسانك إليه ، فكذلك لا أعدُّ مذنباً لمدحي
آل جفنة لإحسانهم إليَّ^(١) .

ومنها

٣٦ - الاستطراد : كقول الشاعر :

إن كنتِ عاذلتِ فديري نحو العراق ولا تجوزي
ومنها

٣٧ - براءة الاستهلال : وهو أن يذكر في أول كلامه ما يدل على

مراده ، كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرئ متناولاً من الجود إلا والذي نلت أطول
وما بلغ الميذون للناس مدحة وإن أطبوا إلا الذي فيك أفضل^(٢)
ومنها

٣٨ - براءة التخلص : كقول الشاعر :

ما زال يُلثمني مرأشفه ويُعَلِّني الإبريق والقدح
حتى استرد الليلُ خلقه وبدا خلال سواده وضع
وبدا الصباح كأن غمرته وجه الخليفة حين يمتدح

(١) ما أورده الأتباري من الآيات مأخوذ من إحدى (اعتذاريات) النابتة الدياني

إلى النعمان عن مدحه آل جفنة من القناسة .

(٢) روي هذان البيتان على وجه شتى أشار إلى أكثرها شيخو في الديوان ص ١٨٤ .

ومنها

٣٩ - تجاهل العارف : كقول الشاعر :

يا ظبيات القاع قان لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

ومنها

٤٠ - الهزل الذي يراى به الجدل : كقول الشاعر :

إذا ما تمبجي أذاك مفاخرأ فقل عد عن ذا كيف أكلك تلضب

ومنها

٤١ - الزيادة التي يتم بها المعنى : كقول الشاعر :فتى ديارك غير مفسدها صوب^(١) الربيع وديعة تهمي
فقوله (غير مفسدها) زيادة تم بها المعنى .

ومنها

٤٢ - التنبيه : وهو أن يذكر مثلاً يكثر فيه ثم يتنبه لموضع الأخذ

عليه فيستدرك ذلك ، كقول الشاعر :

سأرقم في الماء القراح اليكم على نأبكم إن كان للماء راقم

كأنه لما قال : سأرقم في الماء القراح ، تنبه على^(٢) أن قائلاً يقول له : وهل (٩٩) آ
يرقم على الماء أحد ؟ فاستدرك بقوله : إن كان للماء راقم .

(١) في المخطوط : ضرب .

(٢) تنبه على أو للأمر : تنظن له .

ومنها

٤٣ - الموارد : وهو أن يوافق قولُ شاعر قولَ شاعر آخر في اللفظ والمعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر ، كمرافقة طرفه قولَ امرئ القيس في قولهما :

وقفنا بها صبيح عليّ مطيئهم

وقد جاء كثيراً في أشعارهم .

ومنها

٤٤ - المواربة : وهو أن يغير المعنى إلى ما يتخلص به إذا أنكر عليه من يخاف منه ، كقول عُتبان الحروري :

فمنا حسين والبطين وقعب ومنا أمير المؤمنين شبيب
فلما أخذ وأتي به إلى هشام قال له : أنت القائل (ومنا أمير المؤمنين شبيب) ؟
فقال : إنما قلت (ومنا - أمير المؤمنين - شبيب) ، يعني بالنصب علي النداء
المضاف ، كأنه قال : ومنا يا أمير المؤمنين ... وتقدير الكلام : ومنا شبيب
يا أمير المؤمنين .

ومنها

٤٥ - الإعانات : وهو لزوم ما لا يلزم . وقد تصدى له جماعة من
الشعراء كالمعري ^(١) وغيره .

(١) في المخطوط : كالمعري .

ومنها

٤٦ - التضمين : وهو ان لا يتم معنى البيت إلا بالذي بعده . وهو

على ضربين :

أحدهما يدخل في صنعة الشعر ، كقول الشاعر :

أقول لصاحبي والعين تهوي بنا بين المنيفة فالضمار^(١)[يتمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار]^(٢)

والثاني لا يدخل في صنعة الشعر ، وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالذي

بعده ، وهو عيب من عيوب الشعر ، وقد بدناه في كتابنا (الموجز في علم القوافي)
والله أعلم .تمت اللمعة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطاهرين^(٣) .

(١) في المخطوط : فالتمار .

(٢) أغفل المؤلف إيراد البيت الثاني وهو موضع الشاهد اعتماداً على ذبوع هذا البيت وانتشاره . والبيان للصحة بن عبد الله الفخيري .

(٣) في المخطوط بعد هذا ما نصه :

« ووقع الفراغ من نسختها (كذا في الأصل) ثالث شوال سنة تسع و
ستماية (أو تسماية) غفر الله لكتابتها اسمعيل بن خويدار البرزاز الاسمردي
(وفي الأصل هنا الاسودتي) ولوالديه ولجميع المسلمين ، ٩١٩ هـ .
وقد ألمنا يبحث هذه الخاتمة في مقدمتنا لكتاب اللمعة . »

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٤ —

أخلاقه :

عرف ابن جني بطيب الأخلاق والعفة والاخلاص في الود وقد رأينا ذلك جلياً في مراثية الشريف الرضي فيه وحسبك بالشريف شهيداً .
وكان أبو الفتح متصفاً بما يجب أن يتصف به جلّة العلماء من دأب على التحصيل ورحلته في سبيل العلم وملازمة للشيخ ، وقد رأينا طرفاً من ذلك في سيرته ...

وكان يحب الجد في الأمر كله ويجب أن يعتمد عن سفاسف الأمور والمزاح ولكنه كان إذا سمع بالنكتة الطريفة ابتسم لها وهش وطرب ، فقد ذكر بانوت «أن أبا الحسين القمي حفيد أبي اسحق القمي صاحب ديوان صمصام الدولة أبي ابن جني مرة سيف الديوان فجعل يتحدث تارة مع أبي الحسين وتارة مع جده أبي اسحق وكانت لابن جني عادة في حديثه بأن يميل شفته ويشير بيده فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً يصبره يتعجب منه فقال له ابن جني : مالك يا أبا الحسين تمدق النظر إليّ وتكثر التعجب مني ؟ قال : شيء طريف ! قال ما هو ؟ قال شبهت ، ولأبي الشيخ - وهو يتحدث ويقول - يوزع كذا ويبدع كذا -

بقرد رأيت اليوم عند صمودي الى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ ، فامتعض أبو الفتح وقال : ما هذا القول يا أبا الحسين أعزك الله ومنى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أعجن فتمجن بي ؟ فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب ؛ قال المезде أيها الشيخ اليك والى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد وإنما شبهت القرد بك ! فضحك أبو الفتح وقال ما أحسن ما اعتذرت ، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع فكان يتحدث بها هو دائماً ^(١) .

ولأبي الحسين هذا نكت أخرى مع أبي الفتح ذكرها ياقوت في ترجمته . وكان أبو الفتح كغيره من ذوي الفضل كثير الحساد ولكنه كان هزأ بهم وقد ضمن قصيدته البائية ^(٢) طرفاً من أخبارهم معهم .

وفي هذه القصيدة قد افتخر أبو الفتح بروميته وحزني بن عابه بها فقال :

فان أصبح بلا نسب فعلي في الوري نسي
على أني أوول الى قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا ارم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم كفى شرقاً دعاء نبي ^(٣)
وإما فانسني نسب كفاني ذاك من نسب

كما ضمنها طرفاً كثيراً من مناقبه ومزاياه رحمه الله .

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) انظر القصيدة في ياقوت ج ٥ ص ١٩ .

(٣) يشير بذلك الى الخبر المروي عن الرسول (ﷺ) أنه لما بلغه من عمل قبصر الروم بكتابه الذي كنه اليه يدعوه الى الاسلام قال (ثبت الله ملكه) كما في فتح الباري لشرح صحيح البخاري للمقلائي ٤٢/١ طبعة يولاى .

أدبه وعلمه :

عرف أبو الفتح بالعربية وبخاصة علم التصريف ، ولم يعرف بين الناس بأدبه وشعره ، وفي الحقيقة إنه كان كاتباً من خير كتاب زمانه وليس أدل على ذلك من توليه ديوان الإيثار لسيف الدولة الحمداني ولعضد الدولة الديلمي ويكفيه فخراً قول أبي الطيب المتني فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » وكان اذا سئل عن معاني شعره قال : « عليكم بأبي الفتح فإنه أعلم مني بشعري » . ولقد أطنب فيه أبو الحسن الباخري في كتابه (دمية القصر) وذكره في باب الأئمة من الأدباء وقال فيه « . . . ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ماله ، ولا سبيل في علم الإعراب فقد وقع عليها من تمرّة الغراب ^(١) ، ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته - فوري - إنه كشف الغطاء عن شعره ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسبغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثيته في المتني وأولها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوتت بعد ريّ دوحة الكتب ^(٢)
وقد قل هذا الكلام كله ياقوت في ترجمة أبي الفتح وزاد عليه قوله انه من « أحذق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف » ^(٣) . وقد حفظت لنا كتب الأدب طرفاً من شعر أبي الفتح وهو شعر حسن جيد يدل على ذوق أدبي رفيع فمن ذلك قصيدته البائية التي تربو على سبعين بيتاً والتي أولها :

وحلو شمائل الأدب منيف مراتب الحسب

(١) من أمثال العرب (وجد ثمرة الغراب) أي وجد أفضل شيء لأن الغراب لا يقع إلا على أفضل ثمرات النخلة .

(٢) الدمية طبع حلب ص ٢١٧ .

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٧ .

وهي قصيدة جد حسنة رواها كلها ياقوت في المعجم . ومن ذلك أيضاً مرثيته في أبي الطيب المتنبي وقد رواها الباخريزي في النونية وياقوت في المعجم وهي من عيون المراثي^(١) . ومن ذلك أبيات مشهورة في كتب الأدب كينية الدهر للشمالي ، وخاص الخاص له أيضاً وغيرهما من الكتب الأدبية ، واليك طرفاً من شعره ، قال في غلام :

غزالٌ غيرٌ وحشيٌ حكي الوحشيُّ مقلته
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلقته
وشمٌ بأفقه الرجا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريحه الصبا د فاختلسته فكته^(٢)

وقال معانبا صديقاً له عابده بأنه أعور :

صدودك عني ولا ذنب لي يدل على نية فاسدة
فقد - وحيانك - مما بكيت خشيت على عيني الواحدة
ولولا عناية أن لا أراك لما كان في تركها فائدة^(٣)

وقال يرثي أبا الطيب المتنبي من قصيدة طويلة رائعة :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوتت بعد رية دوحة الأدب
مازالت تصحب في الجاني إذا إنشعبت قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حليت لعمرى الدهر أظفاره تخطو بهمة لا وانٍ ولا نصب
وقال أيضاً وهو من الشعر العاطفي الجيد :

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٨ . وشيعة الدهر ج ١ ص ٨٩ .

(٢) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ .

(٣) المعجم لياقوت ج ٥ ص ١٨ وابن خلكان ج ١ ص ٣١٣ . وقيل إن هذه الأبيات الثلاثة ليست له وإنما هي لأبي منصور الديلمي وهو غير صحيح .

رأيت محاسن ضحك الريع أطال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشبب في لمتي فلم لا أبكي ربيع الشباب ؟
أشرب في الكأس كلاً وحاشا لا أبصره في صفاء الشراب^(١)
وله أبيات جيدة كثيرة أخرى متفرقة^(٢) .

هذا وقد ذهب الزميل الصديق الأستاذ القصاص في رسالته النفيسة التي كتبها عن ابن جني مذهباً مخالفاً لما ذكرناه فحمل على شعر أبي الفتح وقال [انه شعر لبست له قيمة تذكر^(٣)] واعتمد على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه حيث يقول [وله شعر بارد] ولا ندري على ماذا اعتمد ابن الأثير في حكمه الظالم هذا ، وليس غريباً أن يصدر ابن الأثير هذا الحكم القاسي على ابن جني فانه معروف باستهائه بأقوال الناس وباستخفافه بآثارهم ، وكتابه مملوء بأمثال هذا محشو بالدعوى الكثيرة والغرور . وليت ابن الأثير يرهن دعواه فأبان لنا عن مواطن البرودة في شعر أبي الفتح كما فعل الثعالي حين أشاد بأدبه وبشعره ففاق على ذلك الشواهد والأمثال^(٤) . ثم ان زميلنا القصاص يفرط حين يحمل تلك الحملة القوية على ذوق أبي الفتح في البلاغة والنقد ويعتمد في ذلك على قول الواحدي « إنه اذا تكلم في المعاني تبدد حمارة ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن إذ قد حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة بها » . وكان ينبغي على الزميل ألا يقبل قول الواحدي المعروف بالحمل على ابن جني وانتقاصه وهذا شرح ابن جني موجود شاهداً على مكانة أبي الفتح ومقدار فهمه

(١) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) انظر البنية ج ١ ص ٧٧ .

(٣) ابن جني ولفته اللغوية ص ١٦ .

(٤) انظر البنية ج ١ ص ٧٧ فابعدا .

لشعر المتنبي وهو في رأينا أفضل شرح للمتنبي وأجدر من يستطيع أن يفهمه كما قال أبو الطيب عنه .

ولم يكن ابن جني محسناً قول الشعر فحسب بل كان مجيداً في النثر أيضاً وليس أدلّ على ذلك من هذه الالفة الحلوة وهذا الأسلوب المبين الذي نراه في كتبه العلمية كسرّ الصناعة والخصائص ؛ فأنا لا أعرف نحوياً أو صرفياً أو بلاغياً كتب النحو والصرف والبلاغة بلغة كلها سلاسة وعذوبة وكلها جمال ولذة بأسلوب فني رائع إلا الإمام أبا الفتح بن جني وإلا الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمهما الله .

ولا بن جني عدا النثر العلمي المبين الذي نجده في كتبه رسائل فنية وخطب كثيرة حفظ لنا الدهر بعضها ، من ذلك خطبة نكاح ذكرها ياقوت (١) ، وأن الذي يقرأ هذه الخطبة ويرى قوة ابن جني في الصرف وحسن السبك ليؤمن بأن هذا الإمام قد ملك عنان الشعر والنثر معاً ، ولو أتيج لنا أن نظفر برسائله الديوانية مجموعة لرأينا أدباً جمّاً وفصاحة بارعة وعلماً غزيراً . وبعد فقد رأينا أن ابن جني على الرغم من سيطرة الروح العلمية عليه كان شاعراً وناثراً وليس هذا بغريب فإن القرن الرابع قد خلق رجالاً قالوا الشعر ويرعوا فيه ثم كان لهم من وراء ذلك نثر رائع وثقافة واسعة في اللغة والفلسفة والفقه وغيرهما من علوم ذلك العصر . ولعل الزميل القصاص يتراجع عن رأيه في شعر ابن جني وأدبه حين يقول [وقد يحسن بنا في هذه المناسبة أن نشرح بعض الشيء عل هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة عجيبة وهي اجتماع الشعر وعلم اللغة لشخص واحد] أما اجتماعها لكثير من أبناء هذا الزمن والزمن الذي تقدمه فيقوم ويفهم على صور تلك الحقيقة التي وجه إليها الأنظار أستاذنا الجليل طه حسين بك : فالشعر

(١) انظرها في ياقوت ، ارشاد الأريب ج ٥ ص ٢١ .

الحسني والاتقالي الذي كان في العصور السابقة حل محلّه اليوم شعر آخر يخدم التفكير ويقوم على ثمار التأمل العقلي فلا يأخذنا العجب إذن أن نرى لابن جني شعراً أو نجد شاعراً فحلاً كصديقه المتنبي عالماً لغوياً^(١) . أفلا ترى معي أن السيد القصاص قد تراجع هنا عن رأيه حين قال : إنه لا قيمة تذكر لشعر أبي الفتح .

أما علمه فقد كان مضرب الأمثال حتى عدّ إماماً في علوم القراءات والصرف والنحو والعروض والقوافي والشعر واللغة والأدب والبلاغة . وله في هذا كله آثار ونصائيف أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين ولم يكن في شيء من علومه أتم وأكمل منه في التصريف ، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه^(٢) .

هكذا يقول ياقوت ، وياقوت حجة فيما يقول . فقد قرأ كتب أبي الفتح وسبر غورها وعرف ما فيها من علم ، وأدب ، وبحت وتمحيض . ظل أبو الفتح دائماً على تحصيل العلم وبخاصة العربية ، وكان إذا أشكل عليه أمر - على جلالة قدره - كتب إلى العلماء في البلاد الإسلامية واستفتاهم أو رحل إليهم . فقد ذكر في كتابه (مر الصناعة) أنه كتب إلى شيخه أبي علي الفارسي في حلب يستفتيه عن مسألة وماك نصّ عبارته « وكتب إليّ أبو علي من حلب في جواب شيء سألته فقال : وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من (هنا) إنما لحقت في الوقف لغماء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة في نحو وازيداء ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحرّكت فقالوا يا هنا ، ولم يسم أبو علي هذا العالم فلما انحدرت إليه في مدينة السلام وقرأت عليه نوادر أبي زبد نظرت

(١) ابن جني وفلسفته ص ١٧ .

(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ١٦ .

واذا أبو زيد هو صاحب هذا القول وهذا من أبي زيد غير مرضي عند الجماعة (١)»
فهل بعد هذا تحقيق أو حرص على طلب المعرفة الصحيحة ؟ .

ثم انه ليس من شك في أن أبا الفتح على الرغم من انتسابه الى المدرسة البصرية لم يكن مقلداً غيره من أئمة البصرة أو الكوفة أو بغداد ، فانه كان صاحب مذهب مستقل انفراد به وكان يعمل فكره في المسألة ويناقشها بعقله الواسع وتفكيره الصحيح ويستقصي أقوال الفصحاء والأعراب ثم يصدر حكمه فيها بعد التمحيص والتدقيق ، وما أجدرنا أن نسمي كتب ابن جني في الصرف والنحو بكتب (فلسفة العربية) وما أجدرها أن توصف بما وصفت به كتب الجاحظ من أنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، فإنها تعلم العقل والأدب ، وأمرار العربية وأقيستها . وكتب أبي الفتح هي الكنز الدفين وهي أنفع المصادر العربية القديمة لفهم حقيقة النحو العربي ، وتفهم أمراره ، والتعرف الى ذلك الميزان العقلي الراجح الذي كان يزن به النحاة آراءهم ، وكتب ابن جني في رأي الأستاذ بروكلمان « مملوءة بدرس صحيح مفيد في تعرف أمرار اللغة العربية وفلسفتها ، وإن تجليل هذه الكتب وتفهمها لمن خير ما ينبغي أن ينصرف اليه العلماء في العصر الحاضر لفهم تاريخ النحو ، كما أن دراسة هذه الآثار التي خلفها دراسة عميقة لما نحن في أشد الحاجة اليه (٢) » .

ويقول الأستاذ ميتس « . . . وكما ان كتب اللغة التي ألفت بعد الجوهري كلها عيال عليه ، فكذلك كتب علم الاشتقاق وفقه اللغة ومعرفته أمرار العربية فإنها مما ابتكر الإمام ابن جني الذي فهم أمرار العربية وفلسفتها وبخاصة الاشتقاق ، وإنه لمن المؤسف أن لا يجيء بعد ابن جني عالم يتعمق ما بدأ به مع أن كل الذين جاءوا من بعده قد استفادوا من كتبه (٣) » .

(١) سر الصناعة ص ٤٤٥ من مخطوطتنا .

(٢) تاريخ الآداب العربية ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) ميتس Mez ص ٢٢٧ .

والحق أن ابن جني كان آية الآيات في علمه بأسرار العربية من نحو وصرف
ولغة وإنك إذا قرأت (سر الصناعة) أو (الخصائص) ، أو (التصريف الملوكي)
رأيت نمطا من البحث والتفكير وأسلوبا في معالجة القضايا لا تجده في مؤلف
غيره . فانه مزج العلم الصحيح والرواية الواسعة بالعقل السليم والتفكير المستقيم
فأنتج هذه الآثار والبحوث المفيدة .

لم يكن ابن جني - في أبحاثه ودروسه - يكتفي بأن يورد ما سمعه من
أفواه الشيوخ أو مارواه عن الفصحاء من الأعراب وإنما كان كثير العناية
بالبحث والتدقيق الشخصي فيما يعرض له من آراء العلماء الذين سبقوه . وانك
لترى أثر هذا واضحا في كتبه ، وإليك طرفا من ذلك وهو رأيه فيما قال
النحاة في قولهم « هذا جُحْرٌ خَبِرٌ خَرِبٌ » :

« إن هذا ليس شاذاً ولا غلطاً من العرب كما يزعم النحاة وإنما هو من قبيل
حذف المضاف وإن في القرآن نيفا على ألف موضع منه وإن تقدير هذا
الكلام « هذا جُحْرٌ خَبِرٌ خَرِبٌ جُحْرُهُ » وإن (خرباً) وصف (للجحر)
كما تقول مررت برجل قائم أبوه ^(١) » .

فأنت ترى من هذا شدة اعتماده على بحثه وتفكيره الشخصي ، قال في
الخصائص « . . واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقيح والبحث عن
هذا الموضوع ، - يعني تفهم أسرار اللغة - فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ،
مختلفة جهات التناول على فكري ، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة
الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة
ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن
ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذرتُه على أمثالهم فعرفت بتابعه
وأقياده وبعد صراميه وآماده ، صحة ما وقفوا لتقديمه منه ولطف ما أسعدوا به . . ^(٢) »

(١) الخصائص ج ١ من ١٩٨ من الطبعة الأولى .

(٢) الخصائص ج ١ من ٤٥ الطبعة الأولى .

واين جتي إذا ما أخذ يناقش بعض المسائل العلمية ناقشها بأسلوب ساحر ومنطق رائع حتى انك لتظن ان الذي كتب هذا الفصل هو إمام من أئمة البيان المعاصرين ، وكتابه (الخصائص) و (الصناعة) مملوءان بالأمثلة على ما أقول ولا بأس من أن أورد مثالا واحداً . قال في الخصائص في (باب ذكر علل العربية) :

« . . . فإن قلت فقد تجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ولا محصاة ، لا تعرف لها سبباً ، ولا تجد الى الإحاطة بعلمها مذهباً ، فمن ذلك إهمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدعو إلى إهماله ، وهذا أوسع من أن يحوج الى ذكر طرف منه ، ومنه الاختصار في بعض الأصول على بعض المثل ، ولا نعلم قياساً يدعو الى تركه ، نحو امتناعهم أن يأتوا في الرباعي بمثال فَعْلَالٍ أو فَعْلَالٍ أو فَعْلَلٍ أو فَعْلَلٍ ونحو ذلك . وكذلك اختصارهم في الخماسي على الأمثلة الأربعة دون غيرها مما تجوزة القسمة ، ومنه أن عدلوا فَعْلَالاً عن فاعل في الفاظ مخفوضة وهي نُعِلَ ، وَزُحِلَ ، وَغُدِرَ ، وَعُمِرَ ، وَزُفِرَ ، وَجُشِمَ ، وَقُشِمَ ، مما يقل تعداده ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد وغير ذلك ولستأ نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أربنا كها دون غيرها ، فإن كنت تعرفه فهاته ، فإن قلت ان العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه الى الفرع وما كانت هذه حاله أقنع منه البعض ، ولم يجب أن يشيع في الكل ؟ قيل فهنا سلمنا بذلك لك تسليم نظرفن لك بالإجابة عن قولنا - فهلاً جاء هذا العدل في حاتم ومالك وخالد وصالح ونحوها دون ناعل وزاحل وغادر وعامر وزافر وجاشم وقاشم ؟ ألك هنا تفق فَنَسْلُكُهُ أو مرتفق فتتوركه وهل لك غير أن تخلد الى خيرة الإجبال وتحمّد نار الفكر ، حالاً على حال ، ولهذا ألف نظير بل ألوف كثيرة ندع الإطالة بأيسر اليسير منها ^(١) » .

(١) الخصائص ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ الطبعة الأولى .

هذا فصل من كلام طويل أوردته ابن جني على لسان خصمه القائل بتفضيل أدلة الفقهاء على أدلة التحويين . ثم يقفني على ذلك بكلام فيهدم ما بناء خصمه في منطق سليم وقول ساحر وعلم غدير ولولا خوف الإطالة لنقلت طرفاً آخر من كلامه .

وقد كان ابن جني شديد الحرص على أن يجعل للنحو أصولاً كأصول الفقه وأصول التوحيد وقد بذل في ذلك جهداً عظيماً وخصوصاً في كتابه (الخصائص) وقد وفق إلى تشييد جزء غير يسير من أركان هذا العلم ، ولكن أحداً من العلماء لم يتم عمله ، غير أن السيوطي جلال الدين قد فعل شيئاً يسيراً من ذلك في كتابه (الأشباه والنظائر) ، ولكنه قطرة إلى جانب بحر أبي الفتح الذي يقول في مقدمة كتابه هذا :

« ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له ، عاكف الفكر عليه ، متجذب الرأي والروية إليه وادّاً أن أجده مهمللاً أمره به ، أو خلالاً أرتقه بعماه ، والوقت يزداد بنواده ضيقاً ، ولا ينهج لي إلى الابتداء طريقاً ، هذا مع إعطائي له ، واعتصامي بالأسباب المتناطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صُنّف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالخيطة والصون ، وآخذه له من حصة التوفير والآوث^(١) ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الارتقان والصنعة^(٢) » .

فهذا يدل على أن أبا الفتح قد أنصرف إلى التأليف في هذا الصنف من البحث الذي ملك عليه شاعره لاعتقاده أنه من خير ما ينبغي أن يبحث عنه

(١) الآون : الدعة والسكينة .

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ٢ .

في لغة العرب لتفهم أسرارها ، ومعرفة بعد نظر أهل اللغة العربية ومطابقة كلامهم لأقبيسة ونواميس مقررة . وقد صرح بهذا المعنى في غير موضع من كتبه ، ومن ذلك ما ذكره في (الرد على من اعتقد فساد عل النحويين لضعفه هو في نفسه عن احكام العلة) : « اعلم أن هذا الموضع هو الذي يتعسف بأكثر من ترى ، وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم [يعني أهل القياس والتعليل] فيرى لذلك أن ما أوردوه من العلة ضعيف واد ساقط غير متعال ^(١) » .

وما كتاب (الخصائص) و (سر الصناعة) و (المذكر والمؤنث) إلا مصنفات وضعها لتبين كيف أن هذه اللغة الشريفة منضبطة القواعد وقد عانى ذلك بنفسه في مؤلفاته فضبط قوانين هذه اللغة وجمع شواردها وهو يرى - في شيء من الغلو - أن أحداً من النحاة قبله لم يفعل ذلك ؛ قال في الخصائص : « . . . وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين - البصرة والكوفة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » ^(٢) وإن كتاب الأصول لأبي بكر محمد بن السري السراج (- ٣١٦) لم يلصم فيه إلا حرفاً أو حرفين وقد تعلق عليه به ^(٣) . وأن أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش (- ٣١٥) وإن كان قد صنف في شيء من المقاييس إلا أنه موجز ليس فيه غناء وإن ما كتبه أبو الحسن كتيب صغير إذا قيس بكتاب ابن جني ^(٤) .

والحق أن أبا الفتح قد سد ثلثة كبيرة ورتق فتقاً عظيماً بهذا العمل الجليل وهذه المحاولات الطيبة التي حارلها في كتبه لضبط قواعد العربية وتعليلها تعليلاً

(١) الخصائص ج ١ ص ١٩١ من الطبعة الأولى .

(٢) مقدمة الخصائص ج ١ ص ٣ الطبعة الأولى .

(٣) ذكر من ترجم ابن السراج مثل ياقوت في معجم الأدباء ١٨ / ٢ من الطبعة الحديثة أنه ألف كتابين في أصول النحو أحدهما كبير والآخر صغير ، ولكنها لم يصل إلى أيدينا .

(٤) انظر بنية الوعاة للسيوطي ٣٣٨ .

أدعى فيه أن علل النجاة والصرفيين أقرب إلى علل المناطقة والمتكلمين ، وإن
 علل الفقهاء لا تُقاس اليها ، لأن علل النجاة مرجعها الحسن ، ولأنهم يحتاجون فيه
 بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك إنما
 إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام ، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا
 ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج ، وفرائض الطهور ، والصلاة ، والطلاق ،
 وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله ولا تعرف علة جعل
 الصلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد ، ولا يعلم أيضاً حال الحكمة
 والمصلحة في عدد الركعات ، ولا في اختلاف ما فيها من التسبيح والتلاوات
 إلى غير ذلك مما يطول ذكره وليس كذلك علل النجاة وسأذكر طرفاً من
 ذلك لنصح الحال به .

قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما فعل ذلك للفرق بينهما ،
 ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل فهلاً عكست الحال فكانت فرقاً أيضاً ؟ قيل :
 الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد
 يكون له مفعولات كثيرة فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة ،
 وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، وبكثير في كلامهم ما يستخفون ،
 فجرى ذلك في وجوبه ووضوح أمره مجرى شكر النعم وذم المسيء في إنطواء
 الأنفس عليه ^(١) .

وأبو الفتح كان يرى أن العرب ما كانت تلتقي الكلام إلقاءً دون أن تفهمه
 وأنها كانت تريد من العمل والأغراض ما نسب اليها النجاة وحملوه عليها .
 ولذلك أطردت في كلامهم القواعد ولم تشذ من الرفع في موضع الفاعلية ،
 والنصب في موضع المفعولية ، والجر بحروف الجر ، والجزم بحروف الجزم ، والنصب
 بحروف النصب وغير ذلك من أحكام التثنية والجمع والإضافة والتصغير

(١) الخصائص ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ فابعدهما الطبعة الأولى .

(التحقير) والنسب وغير ذلك مما يطول تعدادُه ومُشرحه (فهل يحسن - بعد هذا كله - بذِي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع ، وتوارد آتِيهِ ^(١) ؟ . وهو يعتقد لهذا الأمر فصلاً عنوانه « إن العرب قد أرادت من العمل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها » ويقول في هذا الفصل :

« اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به 'مسكة' وعصمة ، لأن فيه تصحيح ما ندَّعيه على العرب ؛ من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا وهو أحزم لها وأجل بها ، وأدلّ على الحكمة المنسوبة إليها من أن تكون تكلفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتقرئها منهجاً واحداً تراعيه وتلاحظه ، وتحمل لذلك مشقة وكلفة ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه ، وليس يجوز أن يكون ذلك كله في كل لغة لم عند كل قوم منهم ، حتى لا يختلف ولا ينتقض على كثرتهم وسعة بلادهم وطول عهد زمان هذه اللغة لم ٠٠ حتى لم يختلف فيه اثنان ٠٠٠ إلا وهم له مريدون وبسيتافه على أوضاعهم فيه معنيوت ^(٢) » .

أما بعد فنحن إزاء آراء أبي الفتح هذه أمام آراء فيلسوف كبير عرف أسرار اللغة ودقائقها حتى ضرب الناس بذلك الأمثال ^(٣) ولا غرو فقد تلقى أبو الفتح اللغة العربية من شيوخ فحول وسبر غورها بنفسه فأحبها وأعجب بها فقد كان لا يمر بدقيقة من دقائقها إلا أظهر إعجابه بها كقوله في الفصل الجميل الذي كتبه في البحث عن مادتي [ق و ل] و [ك ل م] : « ٠٠٠ فهذه أحكام هذين الأصلين على تصرفهما وتقلب حروفهما . فهذا أمر قدّمناه أمام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليُرى منه غورُ هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومبدئها ^(٤) » .

(١) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤٦ الطبعة الأولى .

(٣) انظر كلام ملك النحاة بهذا الخصوص في البنية ص ٢٢٠ .

(٤) الخصائص ج ١ ص ١٥ الطبعة الأولى .

وله في هذا المعنى أقوال كثيرة تدل على شدة إعجابه بأسرار اللغة العربية ، ولعل اطلاعه الواسع على هذه الأسرار وتفهمه لحقيقتها وانفراده بذلك جعله شديد الإعجاب بنفسه كثير الاعتماد بها وبما يكشفه من قواعد وأصول ، وإنك لتري أثر الإعجاب واضحاً كل الوضوح في كثير من كتبه كقوله : « وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبهه هذا الاشباع ومن وجد قولاً قاله والله يمين على الصواب بقدرته »^(١) .

وقال « . . . وقد استقصيت هذا وغيره من لطيف التصريف في كتابي المصنف لتفسير نصريف أبي عثمان رحمه الله تعالى وأثبت بالقول هناك على أسرار هذا العلم ودقائقه »^(٢) .

وقال : « . . . وهو غريب منه ما في أيدي أكثر الناس ، ومنه ما أخرجه لي البحث عنه وطول المطالبة له »^(٣) .

ونحن إذا رحنا تتبع أمثال هذه الأقوال في كتبه جئنا بالكثير الوافر ، وحق له أن يعجب بنفسه ، فقد بذل في اكتشاف أسرار هذا العلم وكشف الخبايا منه جهوداً كثيرة . وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الأصوات ومن ذلك قوله ان أصل الكلمات حين نشأتها هو أسماء أصوات ثم لما تقادم الزمن واستطاع الإنسان أن يربط أسماء الأعيان ، صارت أسماء الأعيان أصولاً للاشتقاق ، وهذه نظرة صائبة وفكرة صحيحة جزاء الله عن هذه اللغة الشريفة جزاء وفاق حبه لها وإخلاصه لخدمتها .

محمد أسعد طلس

(يتبع)



(١) سر الصناعة ص ٥٥ من مخطوطتنا .

(٢) سر الصناعة ص ٨٢ من مخطوطتنا .

(٣) المصدر نفسه ص ٩٤ .

التعريف والنقد

الصحافة والأدب في مصر

محاضرات في صلة الصحافة بالأدب ، ألقاها الدكتور عبد اللطيف حمزة ،
في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وطبعها المعهد
في ١٦٦ صفحة .

وموضوعها تلخيص النهضة الأدبية والصحافية منذ القرن الماضي ، وتأثير
الصحافة في الأدب . فقد قال المحاضر الفاضل في مقدمة الكتاب إن الأدب
المصري الحديث مدين للصحافة المصرية بنشأته ونموه وذيوعه ، وعلى هذا تكون
الصحافة المصرية صانعة الأدب المصري الحديث .

بدأ المحاضر يتحدث عن الفرق بين الأدب والصحافي ، وبين فنون الأدب
وفنون الصحافة ، وبين لغة الأدب ولغة الصحافة . ثم انتقل الى الكلام على
بيئة الأدب والصحافة منذ حملة نابليون على مصر ، فذكر تأثير هذه الحملة ،
وظهور محمد علي وجمال الدين الأفغاني وغيرهما ، وتأثير السوريين الأول في
الأدب والصحافة والمسرح ، والجرائد المصرية ورجالها في القرن الماضي ،
والمباديء السياسية التي كانت سائدة في أوائل القرن الحاضر ، وأهمها مناهضة
الاحتلال الإنكليزي مع التعلق بدولة الخلافة ، وهو رأي الزعيم الفقيه مصطفى
كامل ، ومناهضة ذلك الاحتلال مع الدعوة الى القومية المصرية ، دون الاعتماد
في طلب الاستقلال على الدولة « العلية » ولا على غيرها ، وهو رأي العلامة
أحمد لطفي السيد محرر « الجريدة » في تلك الأيام ، ورئيس مجمع اللغة العربية
في أيامنا هذه .

وسياسة مربى الجيل أحمد لطفي السيد - مد الله في عمره - كانت صحيحة لا غبار عليها ، لأن الشعوب العربية كانت كلها أو جلها ترواح تحت نير الأجانب ، فلا فائدة منها لمصر ؛ أما الدولة العثمانية فكانت في حاجة الى من يأخذ بيدها . وقد أثبتت الحوادث بعدئذ ، ولا سيما قبيل الحرب الكبرى الأولى ، وفي أثناءها ، ان استعمار هذه الدولة في البلاد العربية فاق استعمار الدول الأوروبية بنظائره وبتنكره لأبسط حقوق العرب . وعندى على ذلك أدلة قاطعة تملأ كتاباً برأسه .

وتكلم المحاضر الفاضل على القصة المصرية ونشأتها في القرن الماضي ، ومعالجتها للشؤون الاجتماعية خاصة ، وذكر المجلات المصرية والبنائية التي أنشئت في تلك الأيام ، وتأثيرها وتأثير غيرها من المقدمات التي أدت الى ظهور القصة .

ثم ذكر طلائع القصص المصري ، ومرد شبتاً منها ، وانتهى الى قوله : « أفليس في هذا كله ما يدل على ان القصة الفنية في مصر وغيرها من الأقطار العربية نشأت أول ما نشأت في أحضان الصحافة ، وبأقلام الرجال المشتغلين بالصحافة ؟ »

وعلى هذا المتوال تكلم المحاضر على القصيدة الشعرية وعلاقتها بالصحافة المصرية ، ولا سيما القصائد الاجتماعية ، وقصائد الحركة الوطنية . ثم بحث في تطور المقالة في اتجاهاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وأنتهى هذه المحاضرات بالكلام على مستقبل الأدب في ظل الصحافة ، فقايس بين الكتاب والجريدة مقايضة تدل على علم واسع ورأي نضيج . وقد خلص الى أن الصحافة - على فوائدها - « ليست نعمة على الأدب ولا على الفكر » وان الكتاب لا الجريدة هو الأقدر على تهيئة الأمم للتقدم الذي تنشده ، واعداد الأجيال المستقبلة للنهوض بها الى المستوى الذي تتطلبه .

والخلاصة ان هذه المحاضرات الثمينة تلخيص مانع ومفيد للنهضة الأدبية والصحافية في مصر ، ولتأثير الصحافة في الأدب الحديث .

ومن المؤسف اشتغال المحاضرات على أغلاط مطبعية كثيرة ، حتى في آيات شعرية لشوقي وحافظ استشهد بها المحاضر . فقد أحصيت لها وحدهما خمسة وعشرين بيتاً مشوهاً . وكلها آيات مشهورة نحفظها عن ظهر قلب منذ كنا نتعلم في المدارس . فكيف يميز المحاضر أو المعهد أن يُعبث بها وبأشباهها في مثل هذه المحاضرات النفيسة .

•••••

اللهجات وأسلوب دراستها

وهي محاضرات ألقاها الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس فريجة على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، وطبعها المعهد المذكور في (٩١) صفحة . وقد تخلص الأستاذ فيها موضوعين أساسيين وهما علم اللغات ودراسة اللهجات ؛ ويبحث عن صلتهما بلفتنا العربية ؛ ثم تكلم على الأسس التي قامت عليها اللهجة اللبنانية ، وذكر عبارات عامية لبنانية مثيرة ومنظومة -

وفي المحاضرات آراء طريفة تفيد الذين يعنون بمواضيع اللغة العريضة . وفيها تشاؤم من صعوبة الفصحى ، وظنون بقوائد العامية لا نعتقد بصحتها .

ولترك هذه المحاضرات المعنى بها ، والدالة على فضل صاحبها ، والتي لا يجوز في اعتقادنا أن ينظر إليها وإلى أشباهها إلا نظرة علمية بحتة ، ولنتساءل هل من فائدة للفصحى في تعليم اللهجات العامية في مثل المعهد المشار إليه أم لا ؟

لقد كتب العلامة ساطع الحصري مدير المعهد مقدمة للمحاضرات نوخى أن يثبت فيها فائدة القرار الذي اتخذته المعهد بإدخال دراسة « اللهجات العربية الحالية » في جملة برامجها . وقال ان الغاية القصوى من هذه الدراسة الكشف عن أنجع السبل المؤدية الى جعل لغة الضاد « موحدة وموحدة » في جميع البلاد العربية ، أي أن تكون لغة أمتنا العربية واحدة ، وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب العربية في أمة واحدة .

وعندما يتكلم الأستاذ الحصري أبو خلدوت في مثل هذا الموضوع فهو لا يعوزه الرأي الحصيف ، ولا الفكر العميق ، ولا قوة الإقناع ، ولا الإخلاص فيما يعتقد أو يدعو إليه .

ولكنني على الرغم من تلاوة مقدمته غير مرة لم أقتنع بصحة قرار المعهد . وقد يكون السبب عدم اختصاصي بشؤون التربية والتعليم ، أو فرط تعصي للفصحي ، أو شدة خوفي من طغيان اللهجات العامية .

ومما يكن من أمر فقد حاولت في الكلمات التالية الإفصاح عن رأيي في هذا الموضوع الهام آملاً أن تبرز لنا الخطة المثلى من طيات الآراء المختلفة : فاللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات . وكلها اليوم لا ضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تجديد لمعنى الألفاظ . فهي كلام العامة يستعمل في الأغراض المعاشية ، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض . وهذا الكلام وقتي لا يثبت على مرور الأيام ، وموضعي لا يتحول من قطر عربي إلى قطر عربي آخر .

ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة . وليس في مقدورها أن تعيش طويلاً ، ولا أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة . وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصوراً في قطره ، وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر ، أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر .

فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ، ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة وألقيناها محاضرات أو دروساً على طلاب ، فماذا تكون مقبة هذا العمل ؟ إن أخشى ما نخشاه أن يستهوي هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب ، فيمكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها ، فتكون النتيجة تشويشاً وضرراً يباعد بعض الأقطار العربية

عن بعض ، بدلاً من أن تتوحد بلغتها ، أي تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقعه المعهد من تدريس اللهجات العامية ، وهو خدمة الفصحى .

أما القول بأن تدريس تلك اللهجات يفضي إلى معرفة مشكلات الفصحى ، وإلى مداواة أدوائها ، فهو قول ضعيف في نظرنا .

فأدواء الفصحى معروفة تحتاج إلى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة . وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ، وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والعرف والنحو ، وتبسيط الكثير من تعليقات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الأثبات ، ولا علاقة لها باللهجات العامية وقواعدها وتدريبها . والذي أعرفه أن مجمع اللغة العربية في مصر قد عالج قضية تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وقدم فيها اقتراحات إلى وزارة المعارف^(١) . وقد طال عليها الزمن وهي في الوزارة . والمأمول أن تقرها حكومة الثورة ، فتؤلف على أساسها كتب جديدة مبسطة في تلك العلوم .

ومن الطبيعي القول بأن هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها ، وأنها ستظل صعبة في نظر بعض الناس . ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التي تذهب إلى جعل التبسيط تشويهاً للفصحى .

وأنا لا أنكر الفوائد التي يمكن الحصول عليها من دراسة بعض خصائص اللهجات العربية . ولكن هذه الدراسة لا يضطلع بها إلا علماء أثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم ، وكيف يقربون العامية منها ، وكيف يمنعون طغيان العامية عليها .

فالمرحوم الشيخ أحمد رضا العالمي مثلاً قد أفاد بمجمعه النفيس «ردّ العامي إلى الفصيح» . وكذلك أفاد المرحوم أحمد تيمور في معالجته لأصول الألفاظ

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦ من ١٨٠ - ١٩٧ .

العامية المصرية . وما فيه فائدة أيضا أن يقر مجمع مصر بعض ألفاظ عامية سائفة ، وأن 'تنشر كتب وصحف وإذاعات بلغة عربية سهلة صحيحة الخ . ولكن هذه الأمور وأمثاله شيء ، ووضع قواعد للهجات العامية ، والكتابة بها ، وتعليمها لشبان معهد عربي شيء آخر . فالأول لا ضرر فيه ، بل فيه بعض الفوائد . أما الثاني فقوائده القليلة لا تقاس بأضراره الجمة ، وإن يكن طلاب معهد الدراسات العربية من حاملي الليسانس .

وبعد ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية وتدريبها للطلاب ، بل تحل بوسائل أخرى منها تبسيط قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بإسلامتها ، ومنها على الأخص نشر التعليم في سواد الشعوب العربية ، ومنها فرض التكلم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ في جميع المدارس ، الى غير ذلك من الوسائل التي هي خارجة عن نطاق أعمال المعهد .

ولولا الخوف من أن أتهم بالتعصب لقلت ان من واجب الحكومات التي تنار على لغتها القومية ان تمنع المطابع من طبع كتب أو رسائل بالعامية ، وان تمنع التكلم بها في المدارس والمسارح ومحطات الإذاعة ، حتى في دوائر تلك الحكومات (١) .

—••••—

(١) بعد كتابة هذه الكلمات زارني الدكتور الفاضل عزة النص ، أحد اساتذة المعهد ، وأنبأني أن قرار دراسة اللهجات العامية كان قد اتخذ لإبان افتتاح المعهد ، أما اليوم فقد صُرف النظر عن هذا الموضوع .

البدو والعشائر في البلاد العربية

بمحاضرات في ١٤٣ صفحة ألقاها الدكتور عبد الجليل الطاهر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة . وطبعها المعهد المذكور في أوائل سنة ١٩٥٥ م .

وعنوان هذه المحاضرات يدل عليها . فقد تكلم فيها المحاضر الفاضل على تكوين المجتمع البدوي ، والعصبية وأشكالها ، والتنظيم الاجتماعي لدى القبائل ، وتعريف شيخ القبيلة وقاضيه (السركال) و (الملا) في عشائر العراق ، والسيد والمؤمن عند قبائل الشيعة ، ومفهوم الحقوق والواجبات في المجتمعات البدوية حيث التبعات تكون مشتركة ، وحيث الحقوق لها أعراف خاصة .

وانتقل الى الحديث عن علاقة القبائل بحكومة العراق وسياسة البلاد ، منذ عهد حكومات المغول الى زمننا الحاضر . وعرج على سورية فألمع الى القوانين التي وضعت فيها لتحديد علاقة القبائل بالحكومة .

ثم تكلم على الأمرة البدوية ، ذاكراً شيئاً عن عاداتها في الزواج وعن مساكنها ، ومرد أم خصائص المجتمع البدوي كرحلة الشتاء والصيف والغزو والنخوة والومم وغيرها . وانتهى الى ذكر أم القبائل والعشائر البدوية ولا سيما في العراق وسورية .

أما بقية مواضيع المحاضرات فهي تتعلق بالاقتصاد الزراعي خاصة كإحصاء الأراضي القابلة للزراعة ، وإحصاء الملكيات الزراعية وأنواعها ، وأعمال التآربف (الكاداسترو) تثبيتاً لحقوق ذوي العلاقة بالأرضين الزراعية ، ومشاريع الري في العراق ، والتعاون الزراعي ، والتسليف الزراعي ، والصناعات الريفية الى آخر هذه المواضيع التي يمكن أن يؤلف في كل منها سفر أو أسفار . ولا علاقة للقبائل البدوية بها إلا من حيث تبدل معيشتها وجعلها تعمل في الفلاحة .

وقد خرجت من تلاوة هذه المحاضرات بالتأنيخ الآتية :

١ - معلومات المحاضر الفاضل واسعة لاشك في ذلك . ومحاضراته مفيدة لطلاب المعهد .

٢ - ولكن المواضيع التي بحثها في تلك المحاضرات كثيرة وواسعة ومتشعبة ومتشابهة ، فمن الصعب إجمالها في محاضرات قليلة ما لم تأت تلك المحاضرات مبهمة ومشوشة .

لم يعتن المحاضر الفاضل بلفظ محاضراته ، فالغلط اللغوي فيها كثير لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتاب . وآثار الترجمة والنقل المبسر بادية على كثير من الجمل . أما الأغلاط المطبعية فهي لا تعد ولا تحصى ، وقد شوهت هذا الكتاب المفيد تشويهها . وأنا الذي كنت عاجلت هذا الموضوعات منين عديدة وجدتي أضيقت ذرعاً بالغلط المطبعي في الكتاب ، فكيف تكون حال الطالب ياترى عندما يقرأ مثلاً ، "عشيرة الدولة" ، بدلاً من "عشيرة الرثولة" ، وبادية الحكمة ، بدلاً من بادية الحسكة (ص ٤١) ، ومنطقة حلب ، بدلاً من منطقة حلب ، ومنطقة الحسبة ، بدلاً من منطقة الحسجة أي الحسكة (ص ٨٢) الى آخر أشباه هذه الأغلاط التي لا عداد لها ؟

وباليت المعهد - وعلى رأسه العلامة الحصري المشهور بفرط تدقيقه - يتخذ بعد الآن قاعدة لا يجيد عنها ، وهي أن لا يُطبع كتاب من كتب محاضرات المعهد ، ما لم يجعل في قالب عربي مقبول ، وما لم يشرف المحاضر نفسه على طبعه ، سواء أكان مصرياً أم كان غير مصري .

عبد العزيز

كتاب في سيرة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود ، ألفه المؤرخ الألماني
البحاث داكويرت فون ميكوش ، ونقله الى العربية الوطني المجاهد الكبير
الدكتور أمين رويحة ، فجاءت الترجمة في ٢٨٤ صفحة .

والمؤلف توفي حديثاً . وكان كاتباً بليغاً ، ومؤرخاً معروفاً بوسع اطلاعه
على تاريخ الشرق ورجاله . وقد وضع كتاباً في ترجمة مصطفى كمال ، وآخر
في ترجمة رضا شاه بهلوي . وجاء كتابه هذا على الملك عبد العزيز من أصح
ما كتب الكاتبون في سيرة ذلك البطل العربي العظيم .

وقد سرد المؤلف الوقائع والحوادث على شكل قصص جميل ، وبأسلوب فذ
رائع يستهوي القاري ، ويحمله على متابعة القراءة ، فيصيب في الكتاب لذة
وفائدة على السواء .

وجاء المترجم الفاضل - وهو من أعلم علمائنا باللغة الألمانية - فنقله الى لغتنا
الضادية ، في جمل عربية ناصعة لا يجد الناقد فيها أثراً للترجمة ، ولا لركاكة
الإنشاء أو غموضه ، مما يكثُر في كتابات بعض المترجمين .

ونحن في ديار الشام خاصة نعرف جوانب كثيرة من الثورة العربية في الحجاز
سنة ١٩١٦ م ، ومن دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ م ، ومن الأحداث
السياسية التي حدثت بعد ذلك ، لأن كل هذه الشؤون كانت لاصقة بنا ،
ولأنه كان لرجالنا القوميين والعسكريين يد فيها جميعاً .

أما الجزء الشرقي من جزيرتنا العربية فإننا ما كنا نعرف إلا القليل مما
كان يحدث فيه من حوادث هامة في تلك الأيام . فتأريخ الوهاية وآل سعود
وآل الرشيد أيام الدولة العثمانية ، وفي الحرب العالمية الأولى ، واستقلال نجد

وأطرافها ، ومقارعة الأتراك ثم الانكليز على ذلك الاستقلال ، وتأسيس تلك الدولة العربية العظيمة ، ونشر سلطاتها في مساحة من الأرض تعادل مساحة ثلثي أوربة ، كل هذه الأمور لم نطلع عليها حق الاطلاع ، ولم ندرسها دراسة علمية وقومية واسعة ، على حين انها صفحات خالدة في تاريخ أمتنا الحديث ، وعلى حين ان لما تأثيراً كبيراً في حياتنا القومية .

والى أن يتاح لعمائنا الأثبات تحقيق تلك الدراسة الواسعة لا بد لنا من القناعة بتلاوة الكتب المحملة التي يُعتد بها كهذا الكتاب . وهو في نظري أجمل خلاصة وأدقها وأوثقها للتاريخ الحديث في ذلك الجزء الكبير من الوطن العربي . وهو أيضاً أصدق صورة لحياة بطل عربي قلما يجود الزمان بمثله . وقد أعجبني من المترجم العالم ، الذي طالما أودى في جهاده الوطني ، وفأوه لمن أحسن اليه بإتقاد حياته . فلقد ذكر في مقدمة الترجمة أن الراحل العظيم انتشله من الموت ، وأنقذه مراراً من الأحكام السياسية القاضية بإعدام حياته ، وأسبغ عليه من حمايته ما لا ينساها مدى الحياة .

وبعد اذا كان كتاب لورنس الضخم في الثورة العربية وهو « أعمدة الحكمة السبعة » قد كتب بأسلوب رائع ، وبلغه الأدب الرفيع ، فكتاب صنوه الألماني هذا لا يقل عن الكتاب الأول في أسلوبه وفي بيانه . والفرق بين الكتابين أن الانكليزي رافق الثورة العربية من الحجاز الى دمشق ، فجعل نفسه محوراً ، وأغرق في الكلام ، وتبجح على هواه ، حتى لكأنه صاحب القضية العربية ؛ على حين ان الألماني كتب ما كتب بتواضع العالم المؤرخ الأمين على سرد الحقائق بلا إغراق ولا غابة سياسية أو شخصية .

الشهابي

المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية

(في الأجزاء الثلاثة التي تلي الألف باء)

جمه الدكتور فاخر عاقل أستاذ علم النفس التربوي في كلية التربية بالجامعة السورية
طبع في دمشق سنة ١٩٥٣ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير

سأل صاحب هذا الكتاب أحد مؤلفي كتب القراءة عن الطريقة التي اتبعها في اختيار الألفاظ التي ضمها كتابه فأجاب : نحن نختار اللفظة بحسب الحاجة إليها ، فسأله ما هو المقصود من هذه الحاجة وما هو مقياسه في تفضيل لفظة على أخرى ، فقال : إن الذوق الأدبي هو الذي يرشد إلى هذه الحاجة ويساعد على اختيار الألفاظ . وفي هذا الجواب دليل واضح على أن العنصر الشخصي وذوق المؤلف يؤثران تأثيراً بالغاً في تعيين المفردات . وليس في هذا ضبط علمي ولا مقياس موضوعي ، لأن الذوق الأدبي يختلف باختلاف المؤلفين ، ولأن الكلمات التي نختارها بحسب أذواقنا قد توافقت المستوى العقلي للطلاب أو لا توافقه . فمن الضروري إذن أن نعتمد في اختيار مفردات القراءة على طريقة الإحصاء ، فنبحث عن أكثر الألفاظ تردداً على ألسنة الأطفال والراشدين ، وعن أكثرها تكراراً في كتب الأطفال ، وكتب الأدب ، وكتب العلوم وغيرها . قال المؤلف في مقدمة كتابه : « إن إحصاء المفردات الأساسية يجب أن يشمل القرآن والإنجيل والحديث والكتب الدينية » والكتب الأدبية القديمة والحديثة « والكتب المدرسية في مختلف حقول العلم ، كما يجب أن تشمل لغة الصحافة والمجلات والأدب العامي . » إن إحصاء كهذا يسهل لنا الحصول على قائمة بالكلمات الأساسية التي يجب استعمالها في كتب القراءة ، كما يسهل علينا أيضاً تعليم اللغة العربية .

ولكن أنى لعالم واحد إحصاء المفردات الأساسية المستعملة في جميع هذه النواحي . إن عملاً كهذا يتطلب تعاوناً عالياً واسع النطاق بين كثير من العلماء . فلا بد إذن في بداية الأمر من تحديد نطاق الإحصاء وحصره في ناحية واحدة .

هذا ما فعله الدكتور عاقل ، فهو قد قصر بحثه على دراسة كتب القراءة المستعملة في الصفوف الثلاثة التي تلي الصف الأول من المدرسة الابتدائية ، وهي كتاب الجديد الذي ألفه الأستاذ خليل سكاكيني لمدارس فلسطين ، وكتاب القراءة المصورة الذي وضعه جماعة من الأساتذة لمدارس لبنان ، وكتاب القراءة الطريفة الذي وضعه الدكتور حلي اللحام لمدارس سورية ، وكتاب مبادي القراءة الرشيدة الذي وضعه محمد عبيد ، وعبد الفتاح صبري ، وعلي عمر لمدارس مصر ، وكتاب سلم القراءة العربية الذي وضعه أحمد السباعي لمدارس الحجاز ، وأضاف إلى هذه الكتب بعد ذلك كتاب القراءة العربية الذي ألفه لمدارس العراق منى عقراوي ، ومحمد ناصر ، ومحمد بهجت الأثري ، وعبد الحميد كاظم ، ورشيد الشلي . فوجد عدد الكلمات الدارجة الواردة في هذه الكتب (١٨٨٠٨٨) كلمة ، وعدد الكلمات النوعية (١٠٦٤) ، وعدد الكلمات الأساسية (٣٠٠٠ — ٤٠٠٠) كلمة .

وبديهي أن نتائج هذا الإحصاء لا تصدق إلا على الألفاظ الواردة في هذه الكتب ، لأن تكرار بعضها أكثر من بعض ليس دليلاً على أن أكثرها تكرر في الكتب أقرب إلى مدارك الأطفال وأكثر انتشاراً على ألسنة الناس . مثال ذلك أن لفظ (تأمل) يتكرر (١٤٤) مرة في حين أن لفظ (سافر) لا يتكرر إلا (٥٠) مرة . وبينما نجد لفظ (سبب) يتكرر (٧١) مرة نجد لفظ (بقرة) لا يتكرر إلا (٢٩) مرة . فهل يدل هذا على أن الطفل

يفهم لفظي (تأمل) و (سبب) أحسن مما يفهم لفظي (سافر) و (بقرة) ؟
 لا اعصري . إن هذا الإحصاء لا يعطينا إلا نتيجة واحدة وهي انه يصدق
 على الكتب التي استعملت هذه الألفاظ لا على الأطفال والراشدين الذين
 يستعملونها في كلامهم . وقد أشار الدكتور عاقل نفسه الى أن لفظ (خب)
 تكرر (١٩) مرة في حين ان لفظ (خرب) لم يتكرر إلا مرة واحدة .
 والسبب في ذلك ان الكتاب الثالث من السلسلة السورية يشتمل على قصة عنوانها
 (الخب والمغفل) يتكرر فيها لفظ (خب) هذا العدد من المرات . ولولا
 ذلك لما جاءت مرتبتها في الإحصاء أعلى من مرتبة (خرب) . ونعتقد أن
 علاج ذلك لا يمكن أن يتم بما يسميه العلماء بالمدى (Range) مادام الإحصاء
 مقصوراً على هذه الكتب . نعم إن كلمة تتكرر خمس عشرة مرة في
 خمسة عشر كتاباً أهم من كلمة تتكرر عشرين مرة في كتاب واحد . ولكن
 ذلك لا يمنع أن يتكرر اللفظ المجرد ثلاثين مرة في خمسة عشر كتاباً ، ولا
 يتكرر اللفظ الحسي في الكتب نفسها إلا خمس عشرة مرة . فهل يدل ذلك
 على أن الألفاظ المجردة أقرب الى مدارك الأطفال من الألفاظ الحسية ؟

وقصارى القول ان الإحصاء الدقيق الذي قام به الدكتور عاقل يبين لنا
 نسبة تكرار الألفاظ في كتب القراءة الموجودة بين أيدينا ، لا نسبة تكرارها
 الحقيقية ، وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه البحوث لإصلاح كتب القراءة على
 أساس علمي واضح ، فنشكر لصديقنا الدكتور عاقل مجهوده العالمي الكبير ،
 ونرجو أن ينتفع مؤلفو الكتب المدرسية ببحوثه القيمة ، وأن يكون بحته هذا
 حافزاً على القيام ببحوث علمية أخرى ثممة له .

جميل صليبا

مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية

من مسودات سور : الأعلى ، الشمس ، الليل ، الملق ، النينة ، الكافرون
صححه وعلق عليه ، مع مقدمة بالانكليزية عبد الصمد شرف الدين . مطبعة « ق »
بمباي ، الهند

ليست هذه المجموعة المؤلفة من تفسير هذه السور الست للإمام أحمد بن تيمية
(البالغة ٤٨٠ صفحة عدا الفهارس) تفسيراً لها فحسب ، بل هي في الحقيقة
تفسير لبعض سور القرآن ، ومناظرة لعلماء الكلام ، المؤولة لآيات الصفات ،
والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية ، كالجهمية والمعتزلة والقدرية ، وتوفيق بين صحيح
المنقول وصريح المعقول على أفضل الوجوه . وقد كملت هذه المجموعة بتعليقات
الأستاذ المولع بدراسة كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، السيد
عبد الصمد شرف الدين ، فقد بين بتعليقاته المبهمة ، وفصل الجمل ، وأوضح
المشكل ، وملاً البياض ، بما نقله من كتبها مفصلاً عن الأصل ، وبما أضافه
من قوله طبقاً لما اقتضاه البحث ، وخارج الأحاديث ، وترجم للأعلام ، وذكر
ما اشتهروا به ، مع تاريخ وفياتهم .

وقد ظفر الأستاذ بهذه المجموعة في كتاب « الكواكب الدراري في
ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري » لابن عروة الدمشقي الحنبلي
(المتوفى سنة ٨٣٧) المحفوظ بجزالة دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٤٥) تفسير .
وهذه المجموعة مما كتبه شيخ الاسلام في آخر عمره ، وهو منعزل عن الناس
في خلة السجن ، كما تراه في مقدمة السيد شرف الدين . وقد طبعها على
أحدث ما بلغه فن الطباعة من إتيان ، وجعل في رؤوس الصفائف اليمنى أسماء
السور المفسرة ، وفي اليسرى خلاصة ما تضمنته تلك الصفائف من مباحث ،
وفي الشواهد القرآنية - وما أكثرها - أسماء سورها وأرقام آياتها ، وبين كل
بضعة أسطر من الأصل ، عنوان للناسر بما اشتملت عليه ، وفي أول الكتاب فهرس

عام لمباحث سورہ المفسرة ، وفي آخره فهرس مفصل لأسماء الأعلام ، والفريق ،
والأماكن ، والكتب ، مع الإشارة إلى أرقام صحائفها مما تكررت ، ويتلو
هذا الفهرس جدول الخطأ والصواب . وختمه بمقدمة الكتاب باللغة الانكليزية .
ومن غرر مباحث الكتاب : صفة العلو ، ومسألة النزول ، والرد على دائرة
المعارف الإسلامية ، وعلى ابن بطوطة (وقد ردّ عليهما من قبل كاتب هذه
السطور في مجلة الرسالة المصرية ، وبجلة العالم الإسلامي البغدادية) ، قيام
إبراهيم وموسى ومحمد بأصل الدين - التوحيد - حل مشكلات تفسير سورة التين .
أقول : أما صفة العلو فقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن
الله تقدست ذاته هو فوق سمواته ، التي هي مقر ملائكته ومهيطة وحيه ، وأنه
مستور على عرشه ، وبائن من خلقه ، لا يحل فيهم ، ولا يجتزع بهم . ومن هنا
يُعلم المراد من المعبة في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إني معكما
أسمع وأرى » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، « إن الله مع الذين
اتقوا » فليس حقيقة هذه المعبة المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما هي معبة
العلم والقدرة والإحاطة ، ومعبة النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب .
وأما وحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، فقد بين أن المنسوخ الذي
تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فإت
الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله
واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف ،
وآل حم ، وآل طس ، وآل الر ، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها
شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل
والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم .
رحم الله المؤلف ورضي عنه ، وجزى أفضل الجزاء الناشر ، وكل من عاونه
في إبراز هذا الكتاب الجليل ، وقد ذكرهم في مقدمته ، وأثنى عليهم أطيب الثناء .

التفسير القيم

للامام ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١)

جمعه الأستاذ السلقي الشيخ محمد أويس الندوي

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ، بمصر

محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (الجوزية إحدى مدارس دمشق) هو إمام في لغة القرآن وأسلوبه ، وفقهه وتشريعه ، وإيجازه وإعجازه ، وحقيقته ومجازه ، وقد جمع في هذا « التفسير القيم » ما قرأه الأستاذ الندوي في كتب ابن القيم المطبوعة تفسيراً لآيات متفرقة من الذكر الحكيم من نحو سبعين سورة . فمنها ما توسع في الكتابة عند كسورة الفاتحة التي بلغ تفسيرها أكثر من مائة صفحة ، وكالمعوذتين فقد فسرنا بنحو مائة صفحة . أما السبع الطول فقد بلغ ما فسر من أولها - وهي سورة البقرة - سبعين صفحة . ومن آل عمران دون الخمسين . ومن سورة النساء نحو عشر صفحات ، ومن المائدة خمسا ، ومثلها من الأنعام ، وفسر آيات من سورة الأعراف - وهي آخر السبع الطول - بنحو خمسين صفحة . ومنها - أي السور - ما فسر آيتين منها أو ثلاثاً ، وهناك سور كثيرة لم يرد لها ذكر .

وعلى كل فإن الواقف على هذا التفسير ، يجد فيه ما لا يجد في غيره من حقائق التنزيل والتأويل ، وله في تفسير بعض الآيات صبح طويل ، وهذا بعض مشتملات تفسير « إياك نعبد » فقط : أهل مقام « إياك نعبد » أربعة أصناف ، الصنف الأول : نقاة الحكم والتعليل . (٢) القدريّة النفاة . (٣) الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس . (٤) وهم الطائفة المحمدية اليراهيمية . بنى « إياك نعبد » على أربع قواعد . جميع الرسل دعوا إلى « إياك نعبد » . الله تعالى جعل العبودية وصف أكمل خلقه . لزوم « إياك نعبد » لكل عبد

إلى الموت . انقسام العبودية إلى عامة وخاصة - مراتب « إياك نعبد » علماً وعملاً - رحي العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة - أما عبوديات اللسان الخمس . . . - العبوديات الخمس على الجوارح .

وقد استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين صفحة ! وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الإمام يرى أن سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد وإياك نستعين » ؟ وأنه قد شرح كتاب منازل السائرين إلى الله لآبي اسماعيل الهروي بثلاثة مجلدات كبار ، وسمى شرحه : (مدارج السالكين) ، بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » . ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل : « لكربانازل في القلوب منازل » .

وإن أدري كيف فات جامع الكتاب والمعلق عليه ، إضافة بعض الآيات أو السور إليه ، كسورة العصر مثلاً ، وهي في (ص ٢٥ ج ١) من إغاثة الالهان الكبرى لابن القيم ، وقد طبعت (١٣٥٢ / ١٩٣٩ م) بتحقيق وتصحيح وتعليق صديقنا الشيخ محمد حامد الفقي ، مصحح « التفسير القيم » والمعلق عليه ، مع أن هذا التفسير قد جمعه الأستاذ محمد أديس الندوي بما فسرّه ابن القيم من الآيات الكريمة في كتبه المطبوعة ، واستدرك عليه الأستاذ الفقي ما فاته منها ، وكالآيات (٥٢ و ٥٣ و ٥٤) من سورة الحج ، وهي في (ص ٩ و ١٠ ج ١) من الإغاثة الكبرى أيضاً ، مع أنه فسر من هذه السورة الآيتين (٣٠ و ٣١) نقلاً عن بدائع الفوائد ج ٤ ص ٢١ والآية (٧٣) نقلاً عن أعلام الموقعين (ج ١ ص ٢١٦ و ٢١٧) .

والذي يظهر أن الأستاذ الندوي جامع هذا الكتاب أخذ ما تيسر له الاطلاع عليه من كتب ابن القيم المطبوعة ، واقتصر من الشوارد ما اتفق له ،

وأحسب ان ما فاته أكثر مما التقطه بكثير ، والاستقراء الصحيح الذي يضمن له الاستقصاء هو أن يقرأ كتبه المطبوعة واحداً بعد واحد ، وينقل من كل كتاب جميع آياته المفسرة ، وبعد أن يفرغ منها كلها ، يجمع بينها ويرتب صورها ترتيب القرآن ، ويفسر آياتها معدودة بالأرقام ، ويثبت في أعلى الصفائف أسماء السور المفسرة ، أو عناوين لمباحثها ، ويضع جدولاً للخطأ والصواب ، واليك تصويب المهم مما عثرنا عليه الآن : (د) رعى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة ، (هـ) آمنوا ، (ط) « أنت وليي » ، (ك) « ما اتخذ » « ومن لم يجعل الله له » ، وفي (ص ٣٩٤ س ٧) : والقيم (و س ١٦) : متكلاً به ، (ص ٥٠٦ س ٤) : كان معبراً . تجزى الله المؤلف والجامع والمحقق والمعاونين والناشرين خير الجزاء .



دلائل النبوة

لحافظ الكبير والمحدث الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ هذا كتاب جليل ، قد ضم خمسة وثلاثين فصلاً ، جمع فيها المنشور من الروايات في النبوة ودلائلها ، والمعجزات وحقائقها ، وخصائص المبعوث محمد (ﷺ) إلى العالمين ، فالفصل الأول منها في ذكر ما أنزل الله تعالى في كتابه من فضله ، والفصول بعده في حسيبه ونسبه ، وبيان أسمائه ، وإقسامه تعالى بحياته ، وما فضل به هو وأمه ، واشتهار أخباره عند ملوك اليمن والروم وفارس ، وما سمع من الخفاف باسمه ، وذكره في الكتب المتقدمة ، ثم وصف حياته مفتحة بمناب أجداده ، فتاريخ ميلاده ونشأته الطاهرة ، وبشته العامة ، واحتماله الأذى في صبيها ، ومخرجه من مكة إلى المدينة مهاجراً . والفصل الثاني والعشرون إلى السابع والعشرين في إقبال الشجر إليه ، وتسليم الشجر والمدر عليه ، وذكر

حنين الجذع إليه ، وفوران الماء من بين أصابعه ، وذكر ربو الطعام بوضع يده عليه ، وتسبيح الحمى .

الفصل الثامن والعشرون في ذكر ماجرى من الآيات في غزواته ومراياه ، ذكرها مرتبة من غزوة بدر إلى غزوة تبوك ، مبيناً موضع الدلالة منها ، ووجه الآية فيها ، « وفي جميع ذلك دليل على ما قلناه من أنه (ﷺ) لم يخل شيء من أحواله عن آية شاهدة له ، ومعجزة جارية على يديه » وذكر ماجرى من الدلائل في غزوة مؤتة ، وغزوة الطائف ، ومصرية زيد بن حارثة ، وقصة هدم بيت العزى .

الفصل التاسع والعشرون : ما أخبر به (ﷺ) من الغيوب فتحقق على ما أخبر به في حياته وبعد موته .

الفصل الثلاثون : في ذكر ما ظهر لأصحابه في حياته ، والفصل الحادي والثلاثون : ما وقع من الآيات بعد وفاته ، الفصل الثاني والثلاثون : ماجرى على يدي أصحابه بعده . الفصل الثالث والثلاثون : في فضائل الأنبياء قبله وفضائله ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي . الفصلان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون وهما الختام في رواية خبرين يشتملان على جمل من صفاته وأخلاقه وأحواله ، وما يتضمن ذلك من آدابه وسننه وشرائعه الموافقة لقضايا المعقول في الصحة والجواز . وقد اشتمل الكتاب على « ٥٦٦ » صفحة .

هذا وإن كتب الحديث - كما قال أئمة هذا الشأن - على طبقات مختلفة ، ومنازل متباينة ، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث ، ليعرف الصحيح من غيره ؛ أما ما كان ضعيفاً ، أو موضوعاً ، أو منقطعاً ، أو مقولاً في سنده أو متنه ، أو من رواية المجاهيل ، أو مخالفاً لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة ، فلا سبيل إلى القول به . وكان أبو نعيم رجلاً عالماً بالحديث ، لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب ليعرف أنه قد روي ، كالمفسر الذي ينقل أقوال

الناس في التفسير ، وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد بصحته ، بل يعتقد ضعفه ، لأنه يقول : نقلت ما ذكر غيري ، فالمعدة على القائل ، وفي منهاج السنة : ان ابا نعيم روى كثيراً من الأحاديث التي هي ضعيفة بل موضوعة باتفاق علماء الحديث ، وهو وإن كان حافظاً ثقة ، كثير الحديث ، واسع الرواية ، لكن روى ، كما هو عادة المحدثين يروون ما في الباب لأجل المعرفة بذلك ، وإن كان لا يخرج من ذلك إلا ببعضه .

لم نجد في الكتاب جدولاً للخطأ والصواب . وفي (ص ٢ منه س ١٠) « ولقد أرسلنا » والتلاوة : « لقد أرسلنا » (سورة الحديد الآية ٢٥) .



رسالة في الهداية والضلالة

تأليف صاحب بن عباد

أخرجها الأستاذ حسين علي محفوظ

هذه الرسالة صغيرة الحجم ، جمّة الفائدة ، ألفها صاحب بن عباد الأصمغاني الشهير ، الذي أخذ عن أبي الفضل بن العميد الشيء الكثير ، واستوزره مؤيد الدولة الدبلي ، ثم أخوه بقر الدولة ، (توفي سنة ٣٨٥) وقد ألف هذه الرسالة - في الهداية والضلالة - ردّاً على الحشوية والقدرية والمجبرة ، الذين قالوا بقول المشركين : « لو شاء الله ما أمركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمتنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون » .

وغرض المؤلف (رحمه الله) من ذلك ظاهر ، وهو إثبات العدل ، ونفي الظلم عن الله عز وجل ، ولكنه لم يستقص آيات الهداية والضلالة ، ولا المشيئة والإرادة الواردة في القرآن ، كقوله : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ،

« فلو شاء لهذاكم أجمعين » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » ، ولا شك أن الهداية في القرآن نوعان ، هداية الدلالة والبيان ، وهي التي يملكها الإنسان ، وهداية التوفيق القلي والالهام ، فالأولى هداية شرعية « وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » والثانية هداية أزلية « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » ومثلها المشيئة الأزلية أو القدرية : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء ربك ما فعلوه » وخاصله أن الخلق المكلف بحاسب بما هو صادر عنه من الأفعال ، لا بما هو جارٍ عليه من الأقدار ، وليس في ما يسند إليه إكراه ولا إجبار ، ولكن الصاحب بن عباد معتزلي العقيدة ، فهو من نقاة القدر ، القائلين (إِنَّمَا الْأَمْرُ أَتَى) وللإمام أحمد بن حنبل في الرد عليهم جملة ذهبية ، فقد كان يقول : « ناظروهم بالعلم ، فإن هم أقرّوا به رجعوا ، وإن أنكروه كفروا » ومراده : هل يعلم الله الأشياء قبل وقوعها أم لا ؟ وليس في علمه الأزلي بها إلزام بفعلها أو تركها ، بل للمكلف الخيار ، والله عالم بما يصنع فمحاسبه عليه ، وهذا هو القول الوسط الذي لا تفريط فيه ولا شطط .

وفي طليعة الرسالة - بعد كلمة التصدير - وصف النسخة ، وخصائص رسمها ، وصفحات من نسخة الأصل المخطوطة في سنة ٣٦٤ هـ ، وصورة خط الصاحب ابن عباد في آخر نسخة الأصل ، وترجمة المؤلف وتآليفه وقد بلغت (٣٧) كتاباً ورسالة ، مع الإشارة إلى ما طبع منها ، ومراجع ترجمة المؤلف وقد بلغت خمسة وثمانين مرجعاً ، على أن ترجمته لم تزد على الصفحة الواحدة إلا قليلاً ، ومراجع التعليق وقد بلغت (٢٨) مرجعاً .

وبعد فالرسالة تجمة نفيسة بذل ناشرها الأستاذ حسين علي محفوظ في تصحيحها جهداً عظيماً ، استحق عليه شكراً جزيلاً .

المبادئ الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية

في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف : الحامي صبحي محصاني

مكنّا عرضنا في هذه المجلة بعض مؤلفات الدكتور المحصاني ، ووصفنا الأستاذ المؤلف بأنه واسع الاطلاع على أمهات المراجع الإسلامية ، فهو ينقل عنها بعناية وأمانة ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه إلى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه في ما يترجم من المواد والأحكام عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم .

وهذه مجموعة من المحاضرات (تبلغ ٢٦٠ صفحة) أعدت لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت ، وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له ، فالقسم الأول في أحكام الحجر وفاقدي الأهلية ، والثاني في الوصية ، والثالث في النفقات ، والرابع في المواريث . وقد اشتمل القسم الأول على سبعة أبواب وهي : الحجر والولاية ، والصغر ، والجنون ، والعتق ، والحجر على السفیه ، ومرض الموت ، وأهلية المرأة ، وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) على ثلاثة : أحكام عامة ، شروط الوصية ، آثار الوصية . (والثالث) على خمسة : نفقة الزوجة ، نفقة الفروع ، الأصول ، ذوي الأرحام ، قواعد عامة في النفقات . (والقسم الرابع) على ثمانية أبواب : أحكام عامة ، موانع الإرث ، أصحاب القروض ، العصبات ، والموّل والرد ، ذوو الأرحام ، الحجب ، مسائل متنوعة . ووراء كل باب فصول وفروع منسقة مستوفاة .

قدّم الدكتور المحمّداني لكتابه مقدمة ملائمة لهذا الموضوع ، أصلاً لهذه الفروع ، وهي في علم الفقه وأقسامه ، وتاريخ التشريع الاسلامي وتطوره ، وقد قسمه إلى أدوار : عصر الجاهلية ، النبوة ، الخلفاء الراشدين والأمويين ، العصر الذهبي العباسي ، عصر الانحطاط والتقليد ، عصر النهضة ، وبين المذاهب السنيّة والشيعة ، وذكر العهد العثماني والعصر الحاضر ، إلى أن بلغ القوانين الجديدة . وختم هذه المقدمة ببيان الأدلة الشرعية الأربعة التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وذكر أدلة أخرى غير متفق عليها ، كالاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والاستدلال ، واصطحاب الحال . ثم مقارنة بين مصادر التشريع الاسلامي ، ومصادر التشريع اليوم : وهي التشريع الوضعي ، والعرف والعادة ، والاجتهاد القضائي .

وقد أحصى في آخر المبادئ الشرعية أم المراجع ، مرتباً أسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مما تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ، ثم جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس ، والمحاماة والتأليف .

عما لاحظناه (في ص ٢٠) : تعريف المؤلف للمصالح المرسلة بأنها الخارجة عن القياس للمصلحة ، وقد عرّفوها بأنها التي لم يشهد باعتبارها ولا بإلغائها دليل معيّن من الشرع . والشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي (م ٧١٦) رسالة مستقلة في رعاية المصالح المرسلة من أدلة الشرع ، وقد طبعت أخيراً بمصر . (وفي ص ٢٢ س ٣) : أبو إسحق الفيروزيادي ، صاحب كتاب المذهب : هو أبو إسحق الشيرازي .

(مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه)

(محاضرات) ألقاها الأستاذ عبد الوهاب الخلائف على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٤م

جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية

لما ضعفت الملكات الدينية في الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مجانستها
النياية ، وتغلغل النفوذ الغربي فيهم ، واتسعت دائرة المعاملات معهم ، استمدوا
من قوانين الغرب ونظمه ما ظنوا أنهم يستشفون به من أدوائهم ، ويجددون به
عهد قوتهم ونشاطهم ، ولكنهم ازدادوا وهناً على وهن ، وصح فيهم قول القائل :
إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أهلك ما شفاك

ذلك بأنهم خرجوا عن قواعد الشريعة والطبيعة معا ، وفاتهم أن لكل أمة
شريعة ومنهاجاً ملائمين لحياتها ، فإذا حادت عنها أوردت أنفسهم موارد الهلكة ،
وهذا هو الذي جرى للحكومة العثمانية أيام ضعفها وانحلالها ، لا في زمن فتوحها
واستقلالها ، فقد كانت أيام نهضتها عاملة بشريعتها ، محتفظة بقوتها ، حامية
لملكتها ، فينبغي للمؤرخ المنصف أن لا يغفل عن هذه الحقيقة .

والكتاب الذي نتصفحه الآن هو محاضرات للعلامة الخلائف ، أثبت فيه
أن الشريعة الإسلامية تنمى مع العصور ، وتتطور بارتقاء الزمن في معاملاتها
الدينية ، وأن لها من كلياتها الفقهية وقواعدها العامة ما تستطيع أن تستنبط
منه أحكاماً للحوادث والوقائع التي تتجدد على تراخي الزمن ، واختلاف البيئات
والأقاليم ، وقد وصف في هذا الجزء (الذي بلغ مائة وخمسين صفحة) أهم
مصادر التشريع الإسلامي الذي لا نص فيه ، فكلّم على خمسة منها وهم :
القياس والاستحسان والاستصلاح والعرف والاستصحاب ؛ وقد أحسن الأستاذ
صنعاً بنشره رسالة النجم الطوفي العالم الحنبلي (م سنة ١٢١٦هـ) في رعاية المصلحة ،

وبيان منزلتها العظمى من أدلة الشرع ، وهي التي شرح فيها حديث (لا ضرر ولا ضرار) من الأربعين النووية المشهورة ، وكان جرّدها أستاذنا الشيخ جمال الدين القاسمي وعلّق عليها وطبعها في مجموعته الأصولية ، ونشرتها مجلة المنار بمصر في المجلد التاسع ، ثم طبعت بمصر مستقلة مصححة على نسخ خطية ، والرسالة من النفائس ، وهذه المحاضرات للأستاذ الخلفاء حجة على من يرمون الإسلام بالجمود ، ويحاولون إزالته من الوجود ؟!! (ألا خاب هذا والمشيرون خيب) .

ونلاحظ في هذه الرسالة الطوفية أنها قد حظيت بعناية العلماء الأجلاء ، ولكن أحداً منهم لم يُنَ بتخريج أحاديثها على قائلها ، ومن ذلك الحديث الذي أورده الطوفي بلفظ : « اتبعوا السواد الأعظم » فإنه من شدّة ، شدّة في النار ، ويد الله مع الجماعة » علّق عليها الأستاذ الخلفاء بقوله : « هذه الجملة من [ب] - أي من ثمانية النسختين الخطيتين المحفوظتين في الخزانة التيمورية من رسالة الطوفي - وقد وجدت هنا - يد الله على الجماعة - فصحتها » اه أي صححها بلفظ (مع الجماعة) ولو رجع الأستاذ إلى كتب السنة لما صححها ، فقد وردت باللفظين (مع وعلى) وقد روى الحديث الترمذي وحسنه بلفظ : « يد الله على الجماعة » وفي رواية له عن ابن عباس « يد الله على الجماعة » اتبعوا السواد الأعظم ، فإنه من شدّة ، شدّة في النار » وهي أشبه برواية الأصل على ما فيها من تقديم وتأخير .

وهنا اقتراحان ، (الأول) : رجائونا من معهد الدراسات الإسلامية أن يدرس بعد هذه المحاضرات النادرة كتاب (فقه الإسلام) للأستاذ الجليل الشيخ حسن أحمد الخطيب المطبوع بمصر ، فهو من أفضل آثار هذا العصر في التشريع الإسلامي ، وقد كتبنا عنه ووصفناه في مجلة مجتمعنا العلمي . (والثاني) : رجائونا

من جامعة الدول العربية وحكوماتها الإسلامية أن تستمد أصولها وقوانينها من هذا المعين الذي لا ينضب ماؤه ولا تبلى جدته (أعني فقه الإسلام) ، فهو يرشد هذه الحكومات العربية الى وحدة لا انفصام لها ؛ ويخلصهم من هذا الضعف والانحلال ، اللهم ألهمهم الصواب ، وهبهم الحكمة وفصل الخطاب .

وقعت أغلاط قليلة توجه النظر اليها : منها في الذيل (ص ٧٧) : ابن القيم توفي سنة ٢٥١ صوابها : (سنة ٧٥١ هـ) ، ومنها (ص ١٢٧ س ٨) : متى يوجد : (حتى) ، ومنها (ص ١٢٨ س ٢٣) : إلّا استثناء : إلّا ما استثناء . و (ص ١٤٩ س ٧) : في اصلاح : « في اصطلاح » . وفي صفحة الفهرس آخر الكتاب : بين المساومات : « المتساويات » . إقصاؤها إلى : « انقضاؤها » . مروية مصادر الخ : « مرونة » .



(محاضرات في الميراث عند الجعفرية)

ألقاها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

على طلبة قسم الدراسات القانونية ، في جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٥

الأستاذ أبو زهرة فقيه ضليع ، وفرضي بارع ، ومن شواهد ذلك محاضراته هذه في الفقه الجعفري ، أو الإمامي الاثني عشري ، وهو عالم سني . وقد اشتمل كتابه هذا على مباحث مهمة ؛ أولها بيان الباعث على اختيار موضوع الميراث عند الجعفرية للدراسة ، وفيه اختلاف وجهة النظر في الأحكام ، وبيان أن تعدد الآراء والمذاهب ، ينشأ من سعة العلوم وتنوع المدارك ، ومن مشتملات هذه المحاضرات : الإمامة بالشيعه ، حياة الإمام جعفر الصادق - الميراث عند الإمامية الاثني عشرية - الوصايا النافذة - حق الورثة - أنصبة الورثة -

ميراث القرابة - ميراث المرتبة الأولى من الأقارب - ميراث المرتبة الثانية - المرتبة الثالثة . والناظر في هذه المباحث التي عقدتها لهذه المسائل ، يرى الفرق واسعا بين المذهبين السني والشيعة في المواريث المستخرجة من النصوص ، المستنبطة من أدلتها ، دون الفرائض الصريحة المنصوص عليها ، التي لا لبس فيها ولا غموض . قال المؤلف : « وعلى ضوء هذه الدراسة أيضا ، نبهنا في ما كتبنا في أبواب الفقه ذلك المنهاج المستقيم ، وهو الاقتباس من هذه المذاهب ، والإشارة إلى ما نراه قوي السند ، واضح المعتمد من آراء الشيعة ، كأقوالهم في أيمان الطلاق ، والطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ، وعدم وقوع الطلاق البدعي ، واشتراط الإشهاد لإيقاع الطلاق ، ونحو ذلك من الآراء التي نرى في الأخذ بها إصلاحا ، ونجد في دليلها قوة ، ولا تتجافى عن المعاني الإسلامية جملة أو تفصيلا » .

(أقول) : الطلاق على هذا المنهاج القويم شرعي غير بدعي ، وهو - ولا ريب - سني شيعي ، أخذ به كثير من علماء الحديث وأئمة السلف وفقهاء المذاهب ، وهو منطبق تمام الانطباق على مذهب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، كما بيناه من قبل في فصل اختيارات شيخ الاسلام (ص ٩٣ - ١٠١ ج ٢) من محاضرات المجمع العلمي ولو رعى الناس النصوص في أمر الطلاق حق رعايتها لضمنت لهم سلامة الأمر ، بل سعادة البشر ، وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثا واستدلالا ، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهة ولا مقالا ، بل أوردت جميع مقالاتهم فيه وأتت عليها نقضا وإبطالا .

ولنعد إلى ما نحن فيه من الميراث الجعفري ، بإيراد أمثلة توضح الخلاف مع الميراث السني :

١ - الأخت الشقيقة تجبب الإخوة والأخوات للأب ، ولا يأخذون معها شيئا ، بل يرد عليها ، وإن هذا يختلف فيه نظر الإمامية عن نظر أهل السنة

والجماعة ، فان أولاد الأب يرثون مع الشقيقات إذا كان نصيبهن بالفرض ، ولا تجب الأخت الشقيقة أولاد الأب .

٢ - لو كان للمتوفاة زوج وأخ لأم وأخت شقيقة ، فان الزوج يأخذ النصف ، والأخ لأم السدس ، والشقيقة تأخذ الباقي ، ولو كان أقل من النصف لأنه لا عول عندهم . وقد أجمعت الشيعة الإمامية على أنه لا رد على أولاد الأم مع وجود الشقيقات لأنه تضافرت الرواية عن أمتهن في ذلك .

٣ - إذا كان للمتوفى أب وأم ، وأبو أبي أب ، فان الميراث كله لأبي الأم ، لأنه أقرب درجة ، وقد اتفرد في طبقته فلا يشاركه فيها أحد .

٤ - لو كان أحد الزوجين مع الأب والأم ، فان الأم تأخذ ثلث الكل ، وأحد الزوجين يأخذ فرضه ، والأب يأخذ الباقي . (أي للزوج النصف ، والأم الثلث ، وللأب السدس ، وهو الباقي) .

نكتفي بهذا القدر ، ونثني أطيب الثناء على معهد الدراسات العربية العالية ، فقد سار في طريق جمع فيه بين السنة والشيعة في الميراث ، وهما أكبر مظهر للمسلمين اليوم . وقد ختم المؤلف كتابه بقوله : ونضرع اليه سبحانه أن يجمع شمل المسلمين فقد طال عهد الفرقة ، إنه سميع مجيب . ونحن نؤمن على دعاء هذا الأستاذ الكبير الذي زرناه بداره في الإسكندرية هذا العام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) فوجدناه من رجال العلم والإصلاح .

وكنا نرجو أن يوضع جدول لبيان ما وقع من سهو قلبي أو مطبعي ، واني أصوتب ما رأيته من ذلك : (من ٢ س ٨) : على أن يدرس ، (١١ / ٣) : غيره ، (١٢ في الذيل) : « وما » « ادعهم » ، (٢ / ٢٠) : فلما (مكررة) ، (٢٩ في الذيل) : الباقر ، (٢٠ / ٣٠) : القياسيين ، (٢١ / ٣٠ و ٢٢) : كأيده ، (١٢ / ٣٢) : وولده ، (١٤ / ٤٠ من الذيل) : ولم يقدم تمييزه

وتكفيه فقط ، (٢١ / ٤٣) : أن هناك رأياً ، (١٢ / ٤٤) : لأن يمتلك ،
 (٦ / ٤٧ من الدليل) : حق استجلاصها فقط ، (٩ / ٥٢) : « بعض » ،
 (٤ / ٥٨) : بل تأخذ الفريضة الشرعية فقط ، (١ / ٧٦) : ليست لهم ،
 (٣ / ٨٨) : « يوصيكم » ، (١٠ / ٨٨) : فاعتبروا ، (٨ / ٩٢) : « وورثه » ،
 (٢ / ٩٦) : الدلاء ، (٢٣ / ٩٨) : السنة ، (٩ / ٩٩) : والجدات ،
 (١٩ / ١٠٣) : لا تتجاوز ، (١٩ / ١٠٤) : الخمسين ، (١٨ / ١١٢) : اثنتين ،
 (١٤ / ١٢٢) : للجد ، (٢ / ١٣٢) : أحكام ، (١٥ / ٣٥) : إذا ترك ،
 (١٠ / ١٤٠) : السنين .



محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي

الجزء (٢) عصر نشأة المذاهب

القائم الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥ م
 رعى الله . معهد الدراسات العالية في جامعة الدول العربية ، فقد طلع علينا
 - وهو حديث النشأة - بكتب ذات شأن ، في التوجيه العربي الصحيح ،
 والتشريع الإسلامي القويم ، المستمد من نصوص كتاب الله الحكيم ، ومن السنة
 النبوية القولية والعملية ، وأماي الآن الجزء الثاني ، من تاريخ الفقه الإسلامي ،
 وهو محاضرات ألقاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات
 القانونية ، وكانت ظهرت الحلقة الأولى منذ عام ، وكان موضوعها « فقه الصحابة » ،
 والتابعين » . وهذه الحلقة الثانية في « عصر نشأة المذاهب » والتيارات التي سبقتها ،
 والعوامل التي أدت إليها . وقد أدار البحث في هذه الرسالة على خمسة أقطاب ،
 جعل الأول منها « تمهيداً عاماً » مذكراً بتطور الفقه ، وبطرق الأحكام أيام

الصحابة والتابعين ، الى أن انتهى منه ببيان أنه كان لابد من الاختلاف في الآراء ، وطرق أخذها واستنباطها ، وبيان الأسباب الرئيسية لهذا الاختلاف .
(والثاني) « زمن أتباع التابعين » وفيه بيان طرقهم الفقهية وطبقاتهم ، وأثر العباسيين في الفقه ، وتدوين السنة وأثره ، وتدوين الفقه .

(٣) « النزاع في أصول الفقه وأدلته » وما كان لذلك من نتائج في الفقه نفسه وأحكامه ، وفي المذاهب التي قامت فيها بعد .

(٤) مصطلحات الفقه وأصوله ، وفيها بحث المراحل التي مرت بها حتى تم تدوينها برسالة الإمام الشافعي .

(٥) « خاتمة البحث » ونتائجها ، وفيها الإشارة الى المذاهب التي انقرضت ، والمذاهب التي قامت بعدها .

ومن أمتع ما جاء في هذه المحاضرات ، رسالة إمام دار الهجرة مالك بن أنس إلى فقيه مصر ، الليث بن سعد ، وجواب هذا له ، وهما مثالان رائعان من علم السلف وهديهم . هذا وجدير بطلاب العلوم الدينية والمدنية ، ان يتقنوا من مثل هذا الكتاب على قواعد الفقه الإسلامي وشواهد ، لا سيما ما لا نص فيه - كالقياس والاستحسان - وعلى مصطلحات الفقه وأصوله ، وأول من دون فيه ، وحاجة الفقيه إليه .

وجملة القول : إن هذه الرسائل التي ينشئها أساتذة « معهد الدراسات البالية » هي من خير الرسائل وأهداها الى ما يجب على العلماء الاطلاع عليه ، والسير مع طلابهم فيه ، ليكونوا جميعاً واقفين على أسرار التشريع ، وكنه الزمن وحاجة الأمة ، ولتكون فتاويهم وأحكامهم هادبة إلى حفظ وحدتها ، وتنمية ثروتها ، وحماية حوزتها ، ودفع عوادي الشر عنها ، مع إثبات أن ذلك هو الذي يقتضيه هدي الإسلام ، وترشد إليه آيات القرآن ، ثم ختم الكتاب ببيان المراجع التي أوردها تحت عناوين سبعة ، وهي القرآن والحديث ، أصول الفقه ، الفقه ، بحوث فقهية حديثة ، تاريخ الفقه ، تاريخ وتراجم ، مراجع عامة .

هذا وقد قال الأستاذ المؤلف عن «المصالح المرسله» أو الامتصلاح «
تفرد به مالك بن أنس وأصحابه (ص ١٠٢) . والصواب أنهم لم يتفردوا به .
ومن أنفع ما أُلّف في موضوع «المصالح المرسله» رسالة للشيخ نجم الدين الطوفي
الحنبلي (المتوفى سنة ٧١٦ هـ) وقد طبعت بدمشق ومصر .

قال المؤلف (في ص ١٤٢) : وفي السنة أخيراً نجد قوله (^{بالتحقيق}) «ما رآه
المسلمون حسناً» فهو عند الله حسن» . قلت ما هو بجديث مرفوع بل هو
موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد في كتاب السنة (لا في
المسند) وفيه زيادة ، وأخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في
الاعتقاد موقوفاً على ابن مسعود أيضاً . (راجع كشف الخفاء)

اكثف الدكتور بتصحيح كلمة واحدة من كتابه ، وترك الباقي إلى فطنة
القارئ ، وهي (ابن أبي ليلى) وكتبت خطأً (ابن أبي يعلى) . وعندنا أن
الصواب ، بيان الخطأ والصواب ، ليكون القارئ على بينة من أمره ، وإني
مورد صواب ما رأيت من خطأ ، عنايةً بالكتاب وقرائه :

(ص ٢٦ س ٩) : بعد ، (١٧/٢٢) : أن بقاء ، (١/٢٨) : وأشهرآ ،
(١٥/٤٢) فقط : مقدمة عن موضعها ، وحملها قبل : بل نشط الخ ، (٣/٦٥) :
واسم أبي الزناد ، (٧٥ في الذيل) : الفلسفة ، (٩١ في الذيل) : أحكام ،
(٧/٩٤) : الزهري ، (٢١/١٠٠) : سمياً واحداً ، (١/١٠٥) : هذا
المذهب ، (٩/١٣٢) : بينهما ، (٩/١٥٠) : «وامتشهدوا» ، (٢٠/١٥٣) :
أن بعضه ، (١٢/١٥٤) : أن منه فرضاً أو واجباً ، (١٥٧ في الذيل) :
شيء ، (٢١/١٦٢) : وخبرتهم ، (٥/١٦٥) : شيئاً . (وفي ذيل الصفحة) :
العماد (مكررة) ، (١٦٧) : رقم ١ و ٢ ، (٩/١٧٠) : الاجتهاد .

موجز أمراض الجلة العصبية

تأليف الدكتور حسني صبح

أستاذ الأمراض الباطنة وسريراتها في كلية الطب بدمشق

وعضو الجمع العلمي العربي

الطبعة الأولى . عدد صفحاته ٤١٦ . طبع ب مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٣

إذا حق للجامعة السورية أن تفخر بما أسدته الى اللغة العربية من الخدمات الجلى من حيث جعلها لغة التدريس الوحيدة في جميع كلياتها على وفرة عددها وتنوع علومها واختلاف فروعها ومباحثها وفنونها وأعمالها . فهي لا تزال في عجز من حيث السير قدماً بمؤلفاتها مع هذه العلوم التي هي كل يوم في شأن وكل حين في تقدم . وانه ليسرني أن أشيد اليوم بجهود زميلي الدكتور حسني صبح الذي لا يأل جهداً في سد هذا النقص في مؤلفاته في الأمراض الباطنة التي تجاوز عددها خمسة عشر مجلداً ضخماً خلال سنين معدودات . وقد اطلعت أخيراً على موجزه في أمراض الجلة العصبية فألفيته يتمشى مع سير هذا العلم ورفقه كما انه يراعي مقتضيات مصلحة الطالب والمراجع من حيث الإيجاز والوضوح وسهولة التعبير وحسن العرض ووفرة الصور والرسوم والجمع بين بعض العلامات والتناذرات المتشابهة في جداول خاصة يسهل على المطالع معها التمييز بينها . وقد بدأ المؤلف هذا الموجز بمنهاج فحص المريض وتدوين الملاحظة والبحث عن الأعراض وتعليلها ثم أخذ يدرس بالتتابع الأعراض الشخصية والمروية وأمراض العقل وأمراض الجلة العصبية المحيطه وأمراض السحايا والتهنخاع الشوكي وعمل المنع وأخيراً بحث في اضطرابات الجلة العصبية الانبائية والغدد الصم . واختم هذه الأبحاث في الغلال العصبية الوظيفية والطب النفسي البدني .

والكتاب حسن الطبع . جيد الورق . يجد فيه كل طالب بعينه . وكل مراجع غابته . فنرجو للمؤلف دوام التوفيق في عمله في خدمة اللغة والعلم .

الدكتور أسعد الحكيم

أعلام العرب في العلوم والفنون

لمؤلفه عبد الصاحب الدجيلي

يقع في جزئين ، عدد صفحات الجزء الأول منه (٢٠٤) صفحات
والثاني (١٨٧) صفحة من قطع الوسط ، طبعا في النجف عام ١٩٥٤

جمع المؤلف في هذين الجزئين تراجم أعلام العرب في العلوم والفنون وقد بلغ مجموع هذه التراجم (٢٢٣) ترجمة . وغاية المؤلف من عمله هي الإشادة بعلماء العرب والنايئين منهم وإظهار قدرة العرب على الإبداع الفكري وعنايتهم بالقيم الخلقية والروحية ومساهماتهم الكبيرة في بناء الحياة العلمية وفضلهم على تقدم الحضارة البشرية ، ردًا منه على الشعوبيين الذين أنكروا على العرب فضائلهم وعقريتهم ورموهم بالعقم الفكري وزعموا أن الحضارة العربية ونهضتها العلمية هي من بناء غيرهم من الشعوب الذين خضعوا لسلطانهم ، وان إقبالهم على الغزو والفتوحات يفوق إقبالهم على العلوم والفنون .

إني أكبر شعور المؤلف وأدرك نبل غايته ولكنني أعتقد أنه أخطأ الهدف بحصره أعلام العرب بهذه القلة التي يجد فيها خصوم العرب حجة يعززون بها أباطيلهم . إن ثقافة الأمة العربية هي مثل غيرها من الثقافات وحدة لا تفتزأ ، يدخل في حضيرة حملة مشعل علومها كل من كتب بقلمها وفكر بعقلها وسام في تقدم ثقافتها معها كان عنصره ، ولا يصح أن تدرس ثقافة أمة على هذا الأساس العنصري ، وأخشى إن سلمنا بنظرية المؤلف أن يضيق الشعوبيون عيون متخلهم فينازعونا في هذه القلة بعض من جزم المؤلف بصحة عروبتهم ، وعلينا أن لا ننسى أنه ما زال يتنا من يقول بأشورية الراق وآرامية الشام وفينيقية لبنان وفرعونية مصر وبربرية المغرب ويحصر العنصر العربي في جزيرته

وكل ما عداها في نظره دخیل علیه . ولو ذهبت أي أمة هذا المذهب في استقصاء حسب ونسب أعلامها لما سلمت من العقم .

وحسب العرب فخراً وعظمة انهم حملوا الى العالم مشعل نور الحضارة وحببوا الى أمم المشرق والمغرب لغتهم وثقافتهم وحملوا اليها أساليب تفكيرهم وصهروا من بينهم في بوتقة العروبة ، فليس من حقنا اليوم أن نبتذ من حضيرة العروبة من قبلوا مختارين الانضواء تحت لوائها .

إن هذه الملاحظة الشخصية التي أوردتها لا تنقص من قيمة هذا الكتاب ولا تقلل من فائدته فهو قيم في موضوعه مفيد في أسلوبه فنشكر للمؤلف جهده ودقة استقصائه .

جعفر الحسني

بغداد

الصحافة في العراق

هي محاضرات ألقاها الأستاذ رفائيل بطي على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية الذي أنشأته جامعة الدول العربية بالقاهرة .

والأستاذ رفائيل بطي من أبرع رجال الصحافة في العراق في فن الصحافة ، ومن أحرصهم على تتبع الحركات الأدبية والسياسية في بلاد العرب ، ومن أعرفهم بأدباء العرب المعاصرين ، وقد رافق تطور العراق في نهضاته السياسية والاجتماعية والعلمية ، ولذلك كان أجدر الناس في الكلام على الصحافة في العراق .

وقد ألم الأستاذ المحاضر بالفعل إلماماً وافياً بنشأة الصحافة في العراق وتطورها ، وما كان لها من الآثار في صفحات الحياة في العراق من سياسة واجتماع وأدب ، وقد تكونت عنده فكرة منذ زمن بعيد أن تاريخ الصحافة العربية يصور بعض مظاهر اليقظة ودرجات التهورض للعالم العربي .

وينحصر نطاق بحث المحاضرات - كما ذكر الأستاذ في تمهيده - في نشوء الصحافة في العراق بظهور أول جريدة بمعناها الصحفي سنة ١٨٦٩ ، وفي صحافة العهد العثماني قبل انفصال العراق عن تركية ، وفي صحافة الاحتلال البريطاني ، وفي صحافة الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وأخيراً في استعراض حال الصحافة منذ تأسيس مملكة العراق الحديثة سنة ١٩٢١ ولا سيما صحف الأحزاب السياسية . ولم يغفل الأستاذ المحاضر تنوع الصحف الأدبية والعلمية في العراق ، وغيرها من المجالات المختصة بالعلوم والفنون ، وأساليب الكتابة الصحفية ومشاركة المرأة ، كما أنه خص حرية الصحافة العراقية ببحث وافٍ ممتع .

ويشهد مطالع هذا الكتاب بأن مصنفه كاتب واقفي منصف يذكر لكل صحافي عراقي يبحث عنه ماله من حسنات وفضل ، وماله من هنوات سياسية بأدب لسان ، وحسن يات .

ويظهر أن الذين أشرفوا على طبع هذه المحاضرات لم يعنوا بمعارضة خبراتها (بروقاتها) معارضة صحيحة ، فوقع في الكتاب هنوات مطبعية منها (ص ١٨) : « وعهدت بحريتها الى موظفون » ، وفي (ص ٥٨) : « وهم يندابرون الخطط للثورة » ، وفي (ص ٦٧) : « أمكذا يكون جزاء الدين رفوا مقعد حكمت » والصواب رفعوا ، وفي (ص ٧٩) : « ولقد ارتأى الزعماء المحترمين الناهضين لنهطير بلادهم » ، وفي (ص ٩٩) : « تسابق هؤلاء الجيران المكتشفون بالعراق » وفي (ص ١٠٠) : « إصداره جريدة باسم (العهد) وهو الاسم التاريخ المحبب » والصواب (التاريخي) ، وفي (ص ١١٨) : « وصوتها الداوي صداها » والصواب (المدوي) ، وفي (ص ١٣٣) : « على حد القول المأثور (اللهم تفتح اللهم) » ، وصواب القول ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة قال : (ومن المجاز « اللهم تفتح اللهم » أي العطايا) ، وأصل اللّهُوة مقدار ما ينطرح في فم الرّحى وتجمع على لمى ، قال عمرو بن كلثوم يصف رحى الحرب :

يكون ثقالاً شرقيّ نجد ولهو لها قضاة . أجمعينا
 أما (اللّهي) بفتح اللام فجمع لآية المعارضة في الخلق ، ومعنى هذا القول
 المأثور : الإحسان ينطق اللسان ؛ ومن هفوات اللغة (ص ٩٦) : « أوقفها
 على مناقشة المأخذ » ، و (ص ١٣١) : « أشغل حيزاً بارزاً » والصواب :
 وقفها وشغل حيزاً بدون تعدية ، ومن هذه الهفوات المطبعية (ص ١٣٢) :
 « ومقالاتها وشذارتها » والصواب (وشذراتها) ، وفي الصفحة نفسها : « وإذا
 عطف ذمام الحديث » والصواب (زمام) كما لا يخفى .

لقد ساء الأستاذ رفائيل بمخاضاته النفيسة هذه فراغاً هو أجدر الناس بسده ،
 وقد عرفناه في العراق مثال الأديب العراقي الناهض ، والصحافي المنصف البارع ،
 فهو أولى الناس بتحديث أبناء قومه العرب بما في العراق الشقيق من نهضة
 صحافية وعلم وأدب .

اللسان الحديث

للأستاذ يوسف سمادة - منشورات الحكمة

الأستاذ يوسف سمادة من أسانذة العربية ببلدان ، وقد ذكر في مقدمة
 كتابه هذا أنه كان يشعر ، وهو تليذ ، بصعوبة قواعد العربية ، ويتمنى أن
 يعالج المعلمون موضوع تيسير تعليمها ، ثم أصبح التلميذ معلماً ، فحاول تعديل
 الصعب من هذه القواعد في كتابه هذا الذي أسماه (اللسان الحديث) ؛ على
 أني أرى أن مردّ هذه الصعوبة يرجع الى عاملين : أحدهما سيطرة العامية على
 الفصحى بغلبة الأُميين في بلاد العرب ، والثاني ضعف أساليب التعليم ، بضعف
 المعلم والمفتش ، فالمعلم البارع هو الذي يجتنب طلابه بدرس العربية ، والمفتش
 البارع هو الذي يحسن النقد والتوجيه ، وقد حرمت المدارس منها إلا قليلاً .

وطريقة التأليف التي اتبناها أن يذكر القواعد والشواهد على مذهب الجمهور ،
ثم يذكر التعديل في آخر البحث ، فمن القواعد التي عدلها :

تعديل حركة عين المضارع الثلاثي ، وحركة همزة الأمر ، وتعديل فاء
السببية ، والفاعل ، و (ما) المشبهة بليس ، وخبر أفعال المقاربة المقرون بأن
جوازاً ووجوباً ، وتعديل (إن) وأخواتها ، وضمير الشأن ، ولا سيما وخلا وعدا
رساشا ، واسمي المكان والزمان ، وتعديل الأعداد ، والاسم المنوع من الصرف ،
واسم المفعول المتحول عن صيغته ، وأفعال المدح والندم .

إن تعديل قواعد العربية فحواً وصرفها من خصائص الجامعات الفلجية ،
ولا يتم لها ذلك إلا بمؤازرة وزارات المعارف العربية . مؤازرة صادقة ، وإلا كانت
هذه التعديلات مجرد اقتراحات نظرية ، كما حدث في مؤتمر بيت مري سنة ١٩٤٧
فانه لم يعمل بشيء من إصلاحاته .

وإذا كانت الجماعات قد يفتي عليها الصواب ، فما قولك بالفرد الذي لا يجد
من يناقشه ليأمن النار ، أذكر مثلاً لذلك ما وقع في هذا الكتاب قوله : (ص ١٥) :
« حركة عين المضارع الثلاثي الضمة : بمظم ، ينظر ، يشرب » ثم نقض
هذه القاعدة (ص ١٨) في حركة همزة الأمر بقوله : « تكون مضمومة
إذا كانت عين المضارع الثلاثي مضمومة : أنصر من ينصر » وعلى هذه القاعدة
كان يجب أن يقول (أشرب من يشرب) ، فقد ضم الراء من مضارعها (ص ١٥) .
ويقول في تعديل (ما المشبهة بليس) ص ١١١ مانصه : « إن ما المشبهة
بليس تكون مفعلة ، ويقال لها التيمية : ما أخوك جبان » . وترك ما الحجازية
وهي الفصحى لغة مضر .

وأذكر من أمثلة التحقيق في التعديل قوله (١١٣) مانصه : « تدخل
(أن) وجوباً على خبر أفعال القرب والرجاء : كاد الفجر أن يطلع . . . »

والقرآن يقول : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ولم يدخل أن - وجوباً - على خبر كاد ، ويقول ابن مالك :

وكونه بدون (أن) بعد عسى نزرّو (كاد) الأصر فيه عكسا
أي ان اقتران خبر (عسى) بأن كثير وتجريده من أن قليل بعكس (كاد) -
فيكون الكثير في خبرها أن يتجرّد من (أن) ويقل اقترانه بها ، وجاء في :
القرآن أيضاً : « من بعد ما كاد يزيغ فريق منهم » ، ولعل المؤلف أوجب
دخول (أن) للإصلاح والتعديل !

وفي تعديل الأعداد (ص ٢٥٩) يجعل حكمها أن تطابق معدودها في
التذكير والتأنيث نقول : كاتب واحد و كاتبان اثنتان ، وثلاث كتب ،
وأربعة مجلات ، وخمسة عشرة ريشة ، وستة وعشرون مسطرة ، وثلاث وثلاثون
قلماً . ، ومثل هذه التعديلات يجنب إليها أيضاً من يرون من تسهيل العربية
أن تكتب بالحروف اللاتينية ، ولو فصموا عرى الوحدة القومية بين العرب .
ومن أغلاط الطبع التي لم تذكر في جدولها اعرابه في (ص ٢٥٨) :
« طالعت الأربعة والعشرين فصلاً » : الأربعة مفعول به ، والعشرين معطوف
بالواو على (الأربعة) تبعه في الرفع ، وعلامة رفعه الياء لأنه ملحق بجمع
المذكر السالم ، والنون عوض عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد ، (فصلاً)
تميز ، فتأمل !

وكثيراً ما يستشهد المؤلف بنصوص من القرآن مشوهة كقوله (ص ٣٢٢) :
« فأوحينا إليه أن اصنع الفلك ... » وفي (ص ٣٢٥) استشهد بآية :
« هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافراً » ، والتلاوة في الآية الأولى :
فأوحينا ... ، وفي الثانية : وإما كفوراً . وهو إلى تبديل النصوص القرآنية
أقرب منه إلى الأخطاء المطبعية ، وكأن هذا التبديل من ذلك التعديل !

كنوز الذهب في تاريخ حلب

تأليف بسط ابن العجمي

الجزء الثاني - ١٩٥ صفحة - دمشق ١٩٥٠

Les Trésors d'or , de sibt ibn Al - Ajami

Tome II , 195 pages , Damas 1950 (I F D .)

عني الأستاذ المشرق الفرنسي جان سوثاجه بمدينة حلب عناية كبيرة خلال سنين طويلة قضاها في البحث عن عمرائها وتطورها من حيث البناء ، وما تحويه من آثار وكتابات وتقوش . ونشر في سبيل ذلك عدداً من الدراسات لا تخفى على الباحثين في تاريخ المدن . وقد قام بترجمة ابن الشحنة الى اللغة الفرنسية ، فكان الجزء الأول لما سماه : « المواد الأولية لتاريخ مدينة حلب » . وهذا هو الجزء الثاني ، ترجم فيه كتاب « كنوز الذهب في تاريخ حلب » لبسط ابن العجمي ، معتمداً على نسخة خطية قديمة لما تنشر بعد . ومؤلف الكنوز هو أبو ذر أحمد بن ابراهيم بن محمد بن خليل ، الشيخ موفق الدين الشهير بسبط ابن العجمي ، ولد في حلب سنة ٨١٨ هـ ، ودرس فيها ، وألف عدداً من الكتب في شرح الجامع الصحيح للبخاري ، والاسطرلاب ، وفصائل الشيخين ، وهذا الكتاب .

وكنوز الذهب مصدر هام لتاريخ العمران في حلب خلال القرون الوسطى ، صوّر فيه تطور البناء وما طرأ عليه من تبدل وتغيير ، وما حلّ به من نكبة خلال هجمات تيمورلنك ، وفي الكتاب قائمة بالأبنية العاصرة ، وثبت بالمساجد والجوامع والحمامات والخانات ، جملة على غرار « الأعلام الخطيرة » لابن شدّاد ، وأكمل ما جاء فيه ، وأورد سيرة وحكايات تتعلق بتاريخ هذه المدينة . ولكن المشرق الفرنسي جذف ما يخصّ الأدب والحكاية ، وأشار إلى ما حذف

في اختصار ، كأنه يريد أن يصرف اهتمام الباحث العربي إلى الناحية العمرانية في الكتاب فحسب .

وهذا المستشرق كان على علم بموضوعه واقفاً على ما جاء فيه ، لهذا جاءت ترجمته دقيقة ، وتعليقاته صحيحة ، وقد ذيل هذا الجزء - كما ذيل الجزء الخاص بابن الشحنة قبله - بترجمة الألفاظ الفنية في العمران مثل بادهنج وبوب وحوش ، وغيرها من كلمات ما تزال على ألسنة الحلبيين إلى اليوم مع شيء من التحريف أو الإمالة .

وقد طبع المعهد الفرنسي بدمشق هذه الترجمة بعد موت الأستاذ المستشرق ، ووقف همه على إخراج صورة شبيهة بالجزء الأول ، على ما بين صدور الجزءين من زمن ، فجاء خلواً من التعليقات المطولة إلا ما جاء في كتابي الشيخ راغب الطباخ والشيخ كامل الغزي ، فقد جعلها المترجم أساساً يرجع إليه في تحقيق بعض الأعلام والاشارة إلى بعض الحوادث . وما يزال الكتاب في انتظار محقق باحث يشرف على إخراج المخطوطة إلى ميدان النشر العلمي محلاةً بالتعليقات والتنبيهات والاشارات على ما جاء فيه من حكميات وقصص لا تقف للبحث العلمي ولا تثبت للنقد التاريخي . وقد جمع المؤلف في القرن التاسع الهجري كل ما وقع له من تاريخ حلب عن المدارس وشيوخها ومحدثيها وفقهائها على اختلاف مذاهبهم من حنيفة وشافعية ومالكية وحنابلة ، وما كانوا يقرءون من كتب وما يتداولون من مراجع ومظان في الفقه والحديث الشريف . وما نظن أن المستشرق سوفاجه ممن يعنون بهذا أو يحدون فيه ، فذلك يجهد الناشئين من علمائنا أجدر وهم به أحق . ولنا بهذا ثقل من أهمية هذه الترجمة الدقيقة فقد جعلها صاحبها لرجال الهندسة المعمارية والتاريخ العمراني ، فأصاب كبداية الموضوع واستحق جهده التنويه والذكر .

ديوان أبي الأسود الدؤلي

بتحقيق الأستاذ عبد الكريم الدجيلي

٢٨٥ صفحة - طبع بغداد سنة ١٩٥٤

يقول الجاحظ في أبي الأسود الدؤلي : « أبو الأسود معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها . كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأسراء والدهاء ، والنحويين والحاظرين الجواب والشيعة والنجلاء . . . » وناشر الديوان قد تمشى مع قول الجاحظ ، فأفرد لكل صفة فصلاً خاصاً بها ، فجعل مقدمته في ثلاثة عشر فصلاً ، حلّ في كل منها ما كان عليه أبو الأسود الدؤلي من وقوف على الفقه والحديث والنحو ومن ميل إلى التشيع والنجل والدهاء والشعر ، حتى تجاوزت هذه المقدمة مئة صفحة ، فكانت دراسة في نواحي الرجل لا تمهداً للديوان فحسب . وعنده في ذلك أن المعاصرين لم يقتصروا هذا العالم بكتاب ، ولم يفرّدوا له بحثاً مطولاً ، فهو أول بحث في العربية لا يأمن هذه .

وقد كان في الظن أن يتناول حياة الرجل كلها جملة وتفصيلاً ، ثم يعكف على أدبه وشعره وشخصيته وأثر ذلك في الديوان . ولكنه فعل كما يفعل كثير من الناصرين ، إذ تطرّق إلى النواحي كلها وتسمها مشابعة للجاحظ فألزم نفسه بذلك إلزاماً خرج به في بعض الفصول عن ميدان التوفيق .

وهو حين بلغ إلى شاعرية الرجل أورد رأي المستشرق الألماني نولده حيث يقول فيه : « وبصورة عامة فإن شعره خفيف من ناحية المعنى ومن ناحية القيمة الشعرية ، وفي قليل من المواضع يرتفع شعره أو يكون اعتيادياً على الأقل » . ثم قال الأستاذ الدجيلي بدلي برأيه : « أما ونحن قد حكنا على

شعر أبي الأسود فلم نجد له مكاناً بين الشعراء الخالدين والأفذاذ الموهوبين الذين لا يأتون إلا على رأس قرن أو قرنين» . ثم يقول : « فهو في الواقع ناظم لا شاعر » .

وهذا حكم جيد يطلقه السيد عبد الكريم الدجيلي أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين ببغداد ، فكأنه يريد أن يقول إنه عني بالديوان عناية فائقة لأن الرجل شاعر كبير ، بل لأن لهذا العالم جانباً كان مغفلاً مطوباً فوضّحه ونشره في الأدباء . وقد فعل ذلك بهمة لا تعرف السكال ، على اعتقاده بضعف الشاعرية عند أبي الأسود ، ولعله حقق الديوان عوناً للتاريخ الأدبي أو تاريخ النحو ، ليبسط أمر الرجل ويشارك في تعريفه .

وقد ظهر أثر هذا الجهد في هذه المظان الكثيرة التي تقع عليها في كل صحيفة من الديوان سواء في المقدمة أم في حواشي المقطعات والقوائد . وعمد إلى ثلاث مخطوطات أولها نسخة ليتبنيك وثانيتهما نسخة الأب أنستاس الكرملّي وثالثتها نسخة الشيخ محمد السماوي . وأقدم هذه النسخ هي الأولى ولكنها لا ترقى في خطها إلى أبعد من ثلاثة قرون ، وهذه النسخة نفسها حصل عليها منقولة بقلم الدكتور سليم النعيمي . وقد نشر صوراً شمسية عن هذه النسخ الثلاث وبسط أمرها ، وحكى قصة حصوله عليها ، ثم نشر الديوان وعلق عليه تعليقات مطولة ضافية ، فلما انتهى من المخطوطة جعل بعدها ذيلًا للديوان نشر فيه كل ما وقع عليه في كتب الأدب والتاريخ من شعر أبي الأسود الدؤلي ، فاستقصى بذلك استقصاءً يحمد عليه ، ويستحق له الأجر والثواب .

وأضاف إلى الديوان وذيله شروحاً لغوية موسعة ، وأتبع ذلك بفهرس للأعلام ، فاستوفى حق النشر العلمي ، واضطلع بتحقيق الديوان في أمانة ودقة . وإذا كنا نأخذ عليه في الذيل إعادة الشعر الذي جاء في صلب الديوان

والإفاحة في مرد الفوائد التاريخية فأننا نرى أن الناشر خاف أن تفوته الشوارد فاصطادها ليظهرنا على جهده وعنايته وهما ظاهران .

وقراء الأدب يملكون الآن ديوان عالم نحوي لغوي يستطيعون أن يرجعوا إليه ليروا كيف كان شعر العلماء في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بالعراق ، ويستطيعون أن يقرأوا الشعر وأن يحلّوه وأن يظهرونا على هذه الألوان والصيغ التي نظم بها أبو الأسود ديوانه إذا صحّت نسبته كله إليه . والناشر الكريم لم يعرض لصحة الشعر ودقة نسبته إلى هذا العالم بالناقشة العلمية ، ولم يوغل في نقد الشعر وبيان موازنه بالعصر الذي قيل فيه ، والمفاضلة بينه وبين شعر العلماء والأدباء لذلك العصر في العراق ، ولو فعل لكان جهده كاملاً ، ولكن الكمال لله وحده .

المكتبة سامي الدعان

بلدان الخلافة الشرقية

تأليف : لسترايخ

وتعريب : بشير فرنسيس و كوركيش عواد

في ٥٨٨ صفحة - مطبعة الرابطة ببغداد سنة ١٩٥٤

البروفسور غي لسترايخ مستشرق انكليزي معروف ، مات في سنة ١٩٢٣ عن عمر ناهز الثمانين سنة ، قضى أكثره في خدمة علوم الاستشراق والدراسات الاسلامية ، والخطط والبلدانيات العربية ، وألف عدة كتب في التاريخ الاسلامي وجغرافيته ، وكتب دراسات متعددة في فن الخطط العربية وعلم البلدانيات ومن أجل آثاره هذه :

• فلسطين في عهد المسلمين

• بغداد في عهد الخلافة العباسية

• بلدان الخلافة الشرقية

كما نقل بعض كتب الجغرافية العربية والفارسية الى لغته الانكليزية مثل :

الجزء الخاص بفلسطين من كتاب « أحسن التقاسيم » للعلامة المقدسي -

والجزء الخاص باقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخي . وله ،

غير هذا ، ترجمات وبحوث أخرى تتعلق بالآداب العربية والفارسية ، وهي كلها

تدل على علو كعبه في الاستشراق بصورة عامة ، وفي علم البلدانيات

والجغرافية بصورة خاصة .

أما العربان فهما الأستاذان الفاضلان بشير فرنسيس أحد أفاضل علماء العراق المحدثين ورجاله المنكبين على الدراسة والبحث والترجمة ، وهو الذي ترجم في سنة ١٩٣٦ كتاب « بغداد في عهد الخلافة العباسية » للبروفسور غي لسترايخ ، وكور كيس عواد ، الباحث المنقب ، والمؤلف العراقي المعروف بدقته في بحوثه ، وحسن استيعابه ، وأمانته في ترجماته .

★ ★

والكتاب الذي ترجمه هو من عيون ما كتبه العلماء المستشرقون مما يتعلق بتاريخنا العربي وجغرافيته ، وقد قرأت الترجمة فأعجبني أسلوبها المشرق ، ودقتها الصادقة البارة ، وقد تجل لي مقدار العناية الذي عاناه المترجمان الفاضلان يرجوعهما الى الأصول العربية التي رجع المصنف اليها ، فوجدت أن عملها جدير بكل ثناء ، ولا يعني بهذه المناسبة إلا أن أطلب اليها أن يعمل على ترجمة كتاب (فلسطين في عهد المسلمين) للمصنف لسترايخ فإن هذا الكتاب متم لأخوبه ، وحاجة الخزانة العربية اليه هي حاجة ملحة ، فإن ما بقي من تراث علمائنا القدماء في فن البلدانيات والجغرافية الاسلامية هو شيء يسير وناقص فيجب أن نتممه بتعريب ما ألفه المستشرقون في هذا الباب .

إن فن البلدانيات والخطط الاسلامية ، هو فن جليل الخطر كثير الأهمية ، وكتب أسلافنا القدماء رحمهم الله في هذا الفن - على وفرتها - قد ضاع كثير منها ، والذي لم يضع محتاج الى النشر ، والذي نشر محتاج الى تمحيص ونخل وتبويب وترتيب .

وما أعلم أن أحداً من علمائنا المتأخرين انصرف الى دراسة هذا الفن دراسة جدية وافية ، مثل الدراسة التي انصرف اليها العلامة الانكليزي المستشرق لسترايخ ، ولكن الرجل لم يستطع أن يوفي هذا البحث ما يستحقه من العناية والتوسع ، كما انه لم يستطع أن يؤلف فيه كل ما يجب أن يؤلف ، فقد ذكر

في مقدمة كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) : « حاولت في هذه الصفحات أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافي القرون الوسطى ، العرب والفرس والترك عن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والأصقاع الدانية من آسية الوسطى ، وما نقلت عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الأقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك - أي بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى - ففي وصفنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية . وما الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء إلا تكملة لكتاب (بغداد في عهد الخلافة العباسية) المطبوع سنة ١٩٠٠ . وصلة للبحث الجغرافي الذي بدأت به بكتاب (فلسطين في عهد المسلمين) المطبوع سنة ١٨٩٠ ولكي أحافظ على اعتدال حجم الكتاب ضربت صفحا عن جغرافية جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدولة بني العباس . وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدري به من الباحثين فيكتب الجغرافية التاريخية لجزيرة العرب ومصر الفاطمية في الجانب الثاني من البحر الأحمر ، ويصف أقاليم شمالي افريقية المختلفة وبلدان الخلافة الفرية في الأندلس البعيدة التي ازدهرت على قصر عمرها فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الإسلامية .

وإن أردنا أن يكون التاريخ الاسلامي متمما مفيدا ، وأن يفهم على حقيقته فهما صحيحا ، وجب علينا أن نبحث في الجغرافية التاريخية للشرق الأدنى خلال العصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا . وهأنذا قد بذلت أول جهد في هذا السبيل ^(١) . ثم يصرح الأستاذ بتواضع العالم النبيل ، عن أن عمله هذا ليس كاملا وإن هو إلا باكورة قد مهدت الطريق لمن يريد أن يتناول الموضوع من بعده ، وإن ما ذكره في الحواشي من المراجع والملاحظات والتقويمات وإصلاح أخطاء

بعض القدماء من العلماء ، يجب أن يحفز من همم العلماء لإتمام هذا البحث من بعده ويقول : « فكان ما بحثت به با كورة التأليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفاً كاملاً خلال هذه الحقبة . وما كتابي إلا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل شاردة وواردة فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذي أردته له ، إلى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية البناء من مؤلفي الإسلام ترجمة كاملة » . فهو كما ترى قد ألف في بعض النواحي وترك نواحي أخرى هي جزيرة العرب وديار مصر ، والشام ، وشمالي إفريقيا ، وديار الأندلس ، فهذه موضوعات تنتظر الباحث ليكتب فيها - شرقياً كان أو غريباً - ولكن أحداً من علمائنا - فيما أعلم - لم يهتم بهذه النواحي ولم يعمل على تكميل النقص وسد الفراغ الذي خلفه هذا المستشرق الفاضل .



وبعد فلا يعني في ختام هذه الكلمة ، التي أردت بها أن أقرظ تعريب الأستاذين الفاضلين ، وأبين الجهد العظيم الذي بذلاه في صدق التعريب وأمانة النقل ، إلا أن ألاحظ بعض الملاحظات على هفوات قليلة أو سقطات مطبعية أو غلطات كان يجدر بها الانتباه إليها ، ولكن ما أعرفه عنها - رعاها الله - من التخلق بأخلاق أفاضل العلماء ، يدفعني إلى أن أبين لها ذلك فأقول :

١ - جاء في ص ١٠ س ١٦ : (على تجارات وصناعات الشرق الاسلامي) والصواب (على تجارات الشرق الاسلامي وصناعاته) .

٢ - جاء في ص ١٦ س ١٣ : (ما بين النهرين الى اقليمين : الأسفل والأعلى) والصواب (أسفل وأعلى) .

٣ - جاء في هامش ص ٢٣ س ٦ : (ولا شك ان نظام الطرق) والصواب (ولا شك في أن) .

- ٤ — جاء في ص ٣٤ س ١٥ : (ولا ريب انه) والصواب (في أنه) .
- ٥ — جاء في ص ٣٥ س ١٠ : (كقربة الآس ، وقربة الجمل ٥٥٥٥٥٥)
- اشتران) والصواب (كقربة الآس وقربة الجمل) — بالجمع — لأن اشتران بالفارسية جمع اشتر ولأنت الجمل بالفارسية هو (أشتر) و (شتر) والجمع (اشتران) و (شتران) .
- ٦ — جاء في ص ٤٤ س ١٣ : (وقد عاصر النبي محمد) والصواب (محمداً) لأنه مفعول به .
- ٧ — جاء في ص ٧٨ س ٣ : (فأنشأ هناك البساتين والأجنحة) والصواب (والجنان أو الجنات أو الجنان) لأن (الأجنحة) جمع جنين وأما جمع (جنة) فهو جنات وجنان وجنائن ، راجع القاموس وشرحه والتاج والصحاح .
- ٨ — جاء في ص ١٢١ س ٧ : (نهر دافوق) و (مدينة دافوق) والصواب (نهر دقوق) بدون ألف ، أو (نهر دقوقاه) ممدودة أما دافوق فهذه تسمية عامية .
- ٩ — جاء في ص ١٢٥ س ٤ : (رأس العين) والافصح بل الأصح أن يقال (رأس عين) بدون تعريف المضاف اليه كما ذكر ذلك ياقوت في بلدانه .
- ١٠ — جاء في ص ١٣٣ س ٤ : (بين الرقة والرافقة) ولم يذكر المصنف ولا العربان شيئاً عن الرافقة بعد القرن الخامس فقد ظلت الرافقة حتى ما بعد القرن الخامس ، وقد اتخذها المرداسيون عاصمة لهم قبل استقلالهم بحلب ولما ذكر كثير في ديوان الشاعر أبي الفتح بن أبي حصينة شاعرهم . راجع ما قلناه عن الرافقة في ديوان ابن أبي حصينة الذي نحققه الآن .
- ١١ — جاء في ص ٤٧٩ س ٥ : (هو النهر المعروف اليوم بسرخاب) والافضل كتابتها منفصلة (بسرخ آب) . وكذلك ما ورد في ص ٤٨١ س ٥ : (وخشاب) .

آراء وأبناء



وفاة الأستاذ محمد البزم

فقد المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ محمد البزم عضواً عاملاً مشهوداً له
بالشعر وسعة العلم باللغة والنحو وفنون الأدب العربي .
عرف الفقيه في شبابه شاعراً يطبع على غرار الفحول من شعراء العرب

ويحقق في اللغة ، ثم لما درّس العربية في المدارس الثانوية بدمشق ظهر فضله وتضلعه في النحو وفنون الأدب ، واستفاد منه تلاميذه الكثيرون مدة طويلة تزيد على عشرين سنة . وظل يفيد منه الطلاب حتى حال المرض بينه وبين الدرس منذ بضع سنين .

كان شاعراً فصيحاً طویل النفس نظم في أغراض متعددة أهمها قصائده القومية ، وقد يلتزم في شعره ما لا يلزم جريباً على طريقة أبي العلاء الماعري في اللزوميات . وله شعر في معان طريفة منها قصيدة في الشطرنج وأخرى في الشتاء . وكانت واسع المعرفة في اللغة حسن التحقيق صحيح الذوق تستهويه الجزالة وتعيجه الرصانة ، وهو واسع الرواية كثير المحفوظ من الشعر والنثر والحكم والأمثال والأجوبة المسكتة وأخبار العرب وشعرائهم وخطبائهم وفصحائهم ، فإذا تحدث في هذا الشأن أصعب وأطال وأتى بالمفيد الممتع . ولقد حجب إليه النحو فعمق في درسه واطلع على مذاهبه وكان له رأي في نصرة بعض المذاهب وترجيح بعض الأقوال كما كان له رأي خاص في طريقة تدريسه .

انتخبه المجمع عضواً عاملاً سنة ١٩٤٢ وعهد إليه في بعض الشؤون اللغوية كالنظر في بعض المعاجم والمصطلحات التي عرضت على المجمع ، كما كلفه إلقاء قصيدة في المهرجان الذي أقامه للذكرى الألفية لأبي العلاء الماعري سنة ١٩٤٤ . ولقد ألحت عليه الأمراض منذ أكثر من ثلاث سنوات فانقطع عن العمل وأقام في المستشفى العسكري بالمرّة حتى وافاه الأجل صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من أيلول سنة ١٩٥٥ وهو في عشر السبعين من عمره . رحمه الله رحمة واسعة وأحسن عزاء العربية وآدابها .

رأي في منع الصرف

اخواني الأفاضل

كانت كلتي اللغوية في الجلسة الماضية أكثر فائدة من كلتي التي ستكون في هذه الجلسة : من حيث أن الكلمة الأولى تضمنت تقرير قاعدة جديدة في اللغة يخرج عليها طائفة من شواذ الكلمات القديمة وما ضرب على غرارها من الكلمات الحديثة وقد عنونت هذه القاعدة بعنوان (توهم اصالة الحرف الزائد) الى آخر ما قلت يومئذ . أما كلتي في هذه الجلسة فموضوعها خلاف كان جرى^(١) بيني وبين الأستاذ فارس الخوري في كيفية إعراب الكلمة غير الممنوعة من الصرف إذا منعت في الشعر من الصرف .

لا ينبغي عليكم أيها السادة أن الاعم المنوع من الصرف قد يصرف لضرورة الشعر وهذا مسلم لا خلاف فيه . وكذا العكس أي أن الاعم المنصرف كزبد مثلاً يمنع من الصرف أيضاً لضرورة الشعر ولا خلاف في منعه بين النجاة وإنما الخلاف في كيف يكون منعه ؟

أشهر أحكام منع الصرف عدم دخول الجر وعدم التنوين ، فالاعم المنصرف اذا منعناه من الصرف للضرورة الشعرية وكان مجزواً : هل نجنبه الجر والتنوين معاً أو نجنبه التنوين وحده ؟ يعني هل نقول لضرورة الشعر مثلاً (مررت بزبد) مكشفين بمحذف التنوين أو نقول (مررت بزبد) أي بمحذف التنوين وجعل الكسرة فتحة ؟ قلت انا نقول (مررت بزبد) وقال الأستاذ فارس بل نقول مررت بزبد .

(١) كان ذلك في إحدى جلسات المجمع العلمي .

واحتدم النزاع بيننا في بعض مجالسنا الليلية ولم يكن بين أيدينا شيء من كتب المراجع في ذلك الحين ثم ما عثم أن غادر الأستاذ دمشق إلى أميركا لمهمته السياسية المشهورة وغادرت أنا مجلس المناظرة إلى غيابة الدهول والنسيان . ثم عادت إليّ ذكرى هذا الخلاف بيت (الثيرية) وهو قولها :

(أطمع أتأوي من غيركم فلا من مراد ولا مذهب)

فقولها من (مراد) بفتح الدال أو كسرهما ؟ ناظر إلى ما قلنا . ولنمثل له بالشواهد التي ذكرها النخاعة ، من ذلك بيتان من الشعر تخلّوهما جدّنا الأكبر آدم عليه السلام وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح

تغير كل ذي طعم وريح وقلّ بشاشة الوجه المليح

واعربوا (بشاشة) تمييزاً وهو مصروف لكنهم منعوه من الصرف يحذف تنوينه للضرورة ، غير أنه لما كان منصوباً أبقوا الفتحة عليه . وهذا البيت لا يصلح أن يكون شاهداً لتصوير الخلاف الذي بيني وبين الأستاذ . أما ما يصلح أن يكون شاهداً من الشعر القديم الفصيح فهو قول ابن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيهِ وتبدى عن خدام العقيلة العذراء

وقد أراد الشاعر بالشام بلاد الشام كلها أو ما سماه فتيان الشاعري الطراز الأخضر مذ قال في مدح السلطان صلاح الدين :

خلعت عليه خلعة الملك التي زبدت بهاء بالطراز الأخضر

والخدام بكسر الخاء جمع خدّمة بالتحريك وهو الخلخال ويجمع أيضاً على خدّم . ومن المجاز إطلاق الخدّمة على الساق نفسها تسميةً للمنجل باسم الحال ،

ومنه حديث سلمان الفارسي « إنه كان على حمار وعليه سراويل وخدمته تذبذبان)
 أي سافاه . وإلا فان سلمان الفارسي ما كان يلبس الخلاخيل . أما قول
 ابن قيس الرقيات (وتبدي عن خدام) فيحمل الأمرين أي أن يكون
 أراد بالخدام أن العقيلة تكشفت عند ذهول الغارة عن خلخالها أو عن ساقها .
 وكان من خبز هذين البيتين أن قائلها ابن قيس الرقيات الذي لقبه كثيرون
 بشاعر قريش في الإسلام كان من شيعة عبد الله بن الزبير وحارب مع مصعب
 فلما قتل مصعب هرب وتوارى ثم أمته عبد الملك بن مروان فلما مثل بين يديه
 قال لمن في مجلسه أتعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هو الذي يقول : كيف نومي
 على الفراش البيتين ، فقالوا يا أمير المؤمنين (اسقنا دَمَ هذا المنافق) فقال : لا
 قد أمته .

فقول ابن قيس الرقيات (وتبدي عن خدام العقيلة العذراء) أقرؤه أنا
 (عن خدام) بكسر الميم مانعاً صرف خدام ومقتصراً في هذا المنع على عدم
 تنوينه والابقاء على الكسرة ، أما الأستاذ فارس بك فيقرؤه (عن خدام)
 يحذف تنوينه وينصب الميم أيضاً . واحتج بأنه في ذلك يتحقق معنى منع صرفه
 إذ أن ملاك منع الصرف عدم التنوين وعدم الجر معاً وقال إن هذا هو المقرر
 في كتب القواعد النحوية التي درسها في حديثه ، وقلت راداً عليه : إني لا أذكر
 نصاً ما تعلمته في الحديث ولكنني أعلم أن الضرورة تقدر بقدرها : فإذا حذفنا
 قولنا (عن خدام) استقام وزن الشعر فلم يبق ثم حاجة لنصب (خدام) وجعل
 كسرتها فتحة ويبقى الجمال اللفظي الذي تشعر به نفسنا عند التللفظ بالكلمة المحرومة
 بحرف الجر . فكم يكون الفرق عظيماً في ذوق النفس بين قولنا (عن خدام)
 بالجر وقولنا (عن خدام) بالنصب .

ومن حسن المصادفة أيها السادة أنني تصفحت أخيراً دفترأ أودعته دراسات لغوية ونحوية استخرجتها من كتاب (عبث الوليد) لشيخنا شيخ المعرة فوقع نظري فيه على قول المجتري في القصيدة التي مطلعها :

أني كل دارٍ منك عين تفرق وقاب على طول التذكر يخفق
واذا هو يقول فيها :

وقفت وأوقفت الجوى موقف الهوى ليالي عود الدهر فينان مرق
فقال أبو العلاء ما خلاصته فينان من الفتن فهو فيعال لا فعلان والواجب صرفه وتنوينه فيقال (عود الدهر فينان) لا فينان فهو مصروف لكنه منع للضرورة ثم قال (وترك تنوين الاسم المنصرف ضرورة كثرت في أشعارهم) وأتى بشيء من تلك الأشعار ثم قال مانصه :

والتأخرون من البصريين إذا حذفوا التنوين (من الاسم المنصرف) وكان الاسم مخفوضاً تركوا الكسر على حاله (أي كما قلت أنا في قول ابن قيس الرقيات) أما الكوفيون فيفتحونه تشبيهاً لما ينصرف بما لا ينصرف كما شبهوا ما امتنع من الصرف بالمصروف . انتهى قول المعري . فيكون قول الأستاذ الخوري (وتبدى عن خدام) بفتح الميم هو قول الكوفيين . وقولي (وتبدى عن خدام) بالكسر هو قول البصريين فالمسألة فيها قولان ككل مسألة في العالم . ويكون شيخنا رهين المحبين أحسن الله إليه قد أصلح بيتي وبين زميلي الأستاذ الخوري وانتهت المشكلة .

تسمية السيارة بالباس

هل لها وجه في اللغة العربية ؟

كتب إلي بعض الإخوات قائلاً :

ماذا يقول أخونا «المغربي» في تسمية سيارة تقل الركاب بالباس هل لها وجه في اللغة العربية ؟ فأجبت :

كان زميلي في تحرير (المؤبد) المرحوم سليم مركيش يروي أن العلامة (سليمان البستاني) مترجم الإلياذة حدثه قائلاً انه كان موظفاً في العراق في العهد التركي وبينما كان مسافراً في بعض البوادي على فرسه إذا أعراية تستنجد به في بعض ما أهمها من الأمر فتادته قائلة (يا أبا المناظر يا أبا المناظر) تريد يا صاحب النظارات أو العيونات كما يغلب استعماله في لهجاتنا . وكانت على عينيه نظارات فهي أي الأعراية تضع للعيون كلفة (المناظر) جمع (منظر) اسم آلة للنظر من دون استئذان علماء اللغة . وسمعت بعض الفضلاء يقول انهم سألوا أعراية وقد رأوها تنزو متعجبة الى (اوتومبيل) يجري أمامها . بأعراية ماذا تسمى هذه المركبة ؟ أنسبتها (مطية) ؟ قالت لا ! المطية للبل (تريد الايل) وانما أسميها (الفرارة) وهي صيغة مبالغة في التي تنفر كثيراً . ولا جرم أن السيارة كما هي كثيرة السير كثيرة الفرار . واستعمال الفرار في اللغة إنما يكون في الشخص الذي يُطلب فيفر وركاب السيارة عادة لا يكونون مطلوبين حتى يقال انهم فارّون وسيارتهم فرّارة . نعم ! ولكن الأعراية رأت أن إمعان السيارة في سرعة السير يشبه الفرار الذي يفعله المرء حين يطلبه طالب . فهذا الجدة في الجري يكفي في ذوق أهل اللسان العربي أن يسموا جري السيارة فراراً وإن لم يكن راكبوها فارين هاربين من طالب يطلبهم .

ومن هنا ننتقل الى جواب البائل في تسمية سيارة الركاب العامة باصاً .
 أول ما شاع استعمال (الباص) في لهجة أهل فلسطين وكلمة باص محرفة من
 كلمة (بوس) (bus) ومعناها المركبة مع كلمة (أوتو) (auto) ومعناها
 المتحرك بذاته في قولهم (أوتوبوس) قلبوا واو (بوس) ألفاً وصينها صاداً وقالوا
 (باص) على ان (bus) في اللغة الانكليزية تلفظ (باص) بالألف . وان
 جواز استعمالها في لغتنا العربية مبني على قاعدة (التعريب) . وجوازها في اللغة
 يكاد يكون إجماعاً . والذي يروج هذا التعريب ويدنيه من القبول في الذوق
 العربي أن مادة (باص) في اللغة العربية تفيد معنى الهروب والفرار ؛ ففي النهاية
 لابن الأثير أن عمر بن الخطاب أراد أن يستعمل سعيد بن العاص
 (ومعنى يستعمله يوليه عملاً من أعمال المسلمين) فباص سعيد منه . وقد فسروا
 باص بالهروب أي أن سعيداً هرب من الولاية التي أرادها عمر عليها ففر منه وفاته .
 سيارة الركاب التي تحمل اسم (الباص) يمكن للعربي الذي يتشائم من
 استعمال الكلمات الأعجمية أن يحوله الى اللسان العربي : فانها أي السيارة
 تهرب من فيها من الركاب وتفر جادة في السير كأنها هاربة فارة وإن لم يكن
 راكبوها هاربين ولا فارين على حد الفتوى التي أسمعنا إياها تلك الأعراية
 منذ سميت السيارة (فارة) أي شديدة الجري وان لم يكن من فيها فارة .
 على أن (البوس) كما يكون بمعنى الفرار يكون بمعنى السبق والتقدم كما في
 كتب اللغة . والحق ان كلمة (الباص) أعجمية وان القول بأنها من أصل عربي
 فيه تكلف لإحاجة اليه واللغة العربية في غنية عنه والسلام .

المعربي

كلمة الأمير مصطفى الشهابي

رئيس وفد الحكومة السورية وممثل المجمع العلمي العربي

في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني بالقاهرة في ٥ ايلول « سبتمبر » ١٩٥٥ .

يسر وفد الحكومة السورية أن يحيي هذا الحشد الكريم أجمل تحية ، وأن
يتغنى لهذا المؤتمر التوفيق في خدمة أمتنا العربية .

وبعد رب قائل يقول : ان كشف النقاب عن أمرار الطبيعة وقوانينها يحتاج
الى مال كثير ، وأدوات عديدة ، واختصاص واسع ، وانقطاع الى العلم
النظري والى التجارب العملية . ويقول : ان هذه الأشياء هي اليوم وقف على
فتة من علماء الدول الكبرى وحدها . أفينكون في مقدور علماء العرب أن
يشاركوا فيها ، وهم بعد أبناء أمس في مدارس العلوم الحديثة ؟

والجواب عن ذلك بسيط لا يخفى على جمهرة المثقفين من الناس . وهو ان
العلوم في أيامنا هذه خضم واسع مترامي الأطراف ، فثن تعذر علينا مزاوله
بعض هذه العلوم لأسباب مادية ، فليس من المتعذر معالجة بعضها بجهد الرجل
العالم وصبره وإخلاصه لعلومه ولأتمته وللبشرية جميعاً .

وهناك ثلاثة ميادين على الأقل لا يعجز علماءنا الاثبات عن أن يجولوا فيها ،
وأن يكونوا فيها من المبرزين . فالأول دراسة تراث أجدادنا العلمي والأدبي
والفلسفي دراسة تخصص وتعمق واستقصاء ، بغية إحياء الصالح لزمتنا من هذا
التراث العظيم ، وهو شيء كثير ، وبغية الإفصاح عما لم يبق له إلا قيمة
تاريخية جلية ، بعد أن اتسعت العلوم الحديثة ، وضارت تعالج بالأسلوب
العلمي وحده .

والثاني دراسة شؤون أمتنا العربية وشؤون بلادنا العربية . فأمامنا متسع من العمل في مدارس أخلاق شعوبنا وعاداتها وتقاليدها ، وما فيها من قوى كامنة ، وما هي في حاجة اليه من وعي قومي صحيح ، وتفكير علمي سليم ، وسلوك في الحياة قويم ، ومعارف عامة يتميز بها الشعب الواعي من الشعب الجاهل .

وأمامنا أيضاً مجال واسع لمدارسه خطط بلادنا ونباتها وحيوانها ومعادنها ومياهها وقابلياتها الزراعية والصناعية والاقتصادية وغير ذلك من الأمور اللاصقة بنا التي لا تعالج إلا بالأساليب العلمية الراسخة .

أما الميدان الثالث فهو ميدان لغتنا الضادية المضربة وما لها من حق على علماء أمتنا العربية . فهي لغة القراءات الكريم ، وهي أم رابطة تشد بعض الشعوب العربية الى بعض . فهل عمل كل عالم من علمائنا وكل أستاذ من أساتذتنا جامعاتنا على جعلها تنسج للعلم الذي انتقطع لمدارسه ؟ ان هذا المجال الحيوي ما يرح أمامنا واسعاً ، وان مجمع اللغة العربية ، وفيه فقهاء أعلام بالعلوم والآداب واللغة ، ما يرح بأمل أن يتلقى من كل أستاذ نتيجة جهده المشكور في مصطلحات العلم الذي اختص به ، لكي يناقش هذه المصطلحات الموضوعية أو المحققة ، فيقرر أرجحها ، ويتجاوز عن المرجوح منها .

هذه ميادين ثلاثة ذكرتها للتمثيل لا للحصر . وهي ميادين من العار علينا أن يسابقنا فيها غيرنا من العلماء الأجانب فيكونوا فيها من المجاين ، وننجي ، نحن بدمهم في المصلين .

ثم لا يجوز أن تظل أعمالنا فيها وفي غيرها أعمالاً فردية محصورة في رقعة صغيرة من أرض الوطن .

ولعل من أهم الأغراض التي تنشدها جامعتنا العربية وينشدها المؤتمرون أن ينشأ عندنا في أقرب وقت اتحاد علمي عربي يكون أداة فعالة في جعل علمائنا

كجُذاع الثريا بتمارفون ويتآزرون ويتبادلون نتائج مجوثرهم ودراساتهم ، أي يعملون في مجال العلوم عمل أمة عربية واحدة ، في وطن عربي واحد ، لا عمل أفراد متفرقين بآداب يجمع كل منهم في بيئته الضيقة فلا يطلع على عمل زملائه في الأقطار العربية الأخرى ، ولا يطلعون هم فيها على عمله .

وسورية التي فيها نشأت فكرة العمل المنظم للقضية العربية ، والتي جعلت في صلب دستورها واجب السعي الى توحيد صفوف العرب في جميع ميادين الحياة ، ومنها ميدان العلوم النظرية والتطبيقية يسعدها أن تشارك في أعمال هذا المؤتمر العلمي العربي ، ويسعد وفد حكومتها ومجمعها العلمي العربي أن يشكر للأمانة العامة للجامعة دولنا العربية ، ولجنة إعداد المؤتمر ، جميل عنايتهما به ، وحسن تدبيرهما لشؤونه .

أما مصر العزيزة رئيساً وشعباً وحكومةً فلها من صميم أئدتنا محبة المؤمنين بأنها في العالم العربي قطب الرحي ، ومستند الإلهام ، ومعقد الرجاء ، والرأس الذي تقوم عليه الأعضاء ، ولا غنى له عن الأعضاء .

تقرير عن المؤتمر

... قام كل عضو من أعضاء الوفد السوري بالواجب الملقى على عاتقه خير قيام فقدم بحثاً فيه من الطرافة والابتكار وحسن التعبير والاداء مع الإيجاز والاختصار ما جلب اليه الأنظار وما جعل موضوعه حديث المؤتمرين وموضع إعجابهم وتقديرهم .

١ - قدم الدكتور شوكت الشطي بحثاً عنوانه « الوراثة وتحسين النسل » ضمنه الآراء القديمة والحديثة وتعرض فيه الى موضوع الساعة وهو تعقيم المصابين بالأمراض الوراثية بين أنصاره وخصومه كما عالج الناحية الدينية في هذا الموضوع مبيناً أن ليس في هذا التعقيم ما يعارض تعاليم الإسلام وقواعده الفقهية .

٢ - قدم الدكتور أنطون الجنادي بحثاً عنوانه « الطاقة الذرية في خدمة الإنسان » تلخص فيه ما دار من مباحث ذات شأن في مؤتمر جنيف عن الطاقة الذرية في خدمة السلم ، فجاءت كلماته سادة الفراغ العلمي العميق الذي كان يشعر به كل متابع لهذا البحث من المؤتمرين .

٣ - قدم الدكتور صبحي المظالم بحثاً عن استعمال الأراضي الصحراوية في سورية تناول فيه يلاغة وإيجاز كل ماله صلة بهذا الموضوع ثم خص البلاد العربية كلها ببحثه مينا إمكانياتها العظيمة شارحاً طرق الاستفادة من ثروتها المائية الضائعة اليوم .

٤ - وقد عنت بموضوع المصطلحات فقدمت بحثاً عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » بينت فيه رأيي في أوجز طريقة فيحدر بنا اتباعها لتوحيد تلك المصطلحات في مدة وجيزة وهي إقامة تعاون بين مجمع اللغة العربية في مصر والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ولغيف الأساندة والعلماء العرب القادرين على وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها ضمن العلوم التي اختص كل واحد منهم بها . وخلاصة هذا البحث إيجاد معجم افرنجي عربي للمصطلحات العلمية ينفق عليه مجلس جامعة الدول العربية بين ٥٠٦٠٠٠ و ١٠٠٦٠٠٠ جنيه مصري ، ويقوم مجمع اللغة العربية على إدارة العمل وإقرار المصطلحات كما يقوم العلماء العرب الاختصاصيون بوضع قوائم أو معجمات صغيرة في اختصاصاتهم . وقد قدرت في بحثي لهذا العمل خمس سنين من الزمن . وهذا البحث كنت قدمته الى مجمع اللغة العربية وباحث فيه وزير التربية والتعليم في مصر والأمين العام لجامعة الدول العربية .

ولا يخفى أن كبار المشتركين في المؤتمر بتشيعون لثلاثة مذاهب :
يقول أولها يجمل لغة التدريس العالي في البلاد العربية أجنبية ويزعم أن
اللغة العربية عاجزة عن مسايرة التطور في التعليم الجامعي .

- وبوصي ثانيها بالتوسع في التعريب توسعاً زائداً .
- وبوصي ثالثها بعدم الالتجاء الى التعريب إلا إذا تعذرت الترجمة واستجالت .
- وقد استطعنا أن نجعل المؤتمرين يقرّون مبدأنا الأخير ويسيطرون على ضوئه .
- • • هذا وسيطبع المؤتمر في كتاب خاص بجميع البحوث التي بحثت مع عرض المناقشات والتوصيات التي اتخذت .

مصطفى الشهابي

مهم

محاضرة الأستاذ غيوم

ألقى المستشرق المعروف الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم عضو المجمع العلمي العربي محاضرة في استكهولم (عاصمة بلاد السويد) عن (الدين الإسلامي في العصر الحديث) ذكر فيها أثر المعاهد العلمية والدينية العصرية في العالم الإسلامي ، وتكلم عن الأزهر وعن الجامعة السورية وعن المتحف الوطني في دمشق ، وأسهب في الحديث عن المجمع العلمي العربي وعن مجلته (رفيعة المستوى) ، وأثنى في مواضع كثيرة من محاضراته على صفات المروءة والكرم والنجدة والأخلاق الكريمة التي يتحلى بها سكان الشرق العربي والتي تجلت للمحاضر إبان رحلاته العديدة في البلاد الغربية . ثم عقب على المحاضرة بإجابة محكمة على الأسئلة التي وجهها الحضور إليه في بعض القضايا الإسلامية .

وقد اتصل بالمجمع نبأ هذه المحاضرة الرصينة فكتب إلى صاحبها يحمده له جميل قوله ويثني على نبيل شعوره ويشكر له إنصافه العرب والمسلمين .

هذا وقد علم المجمع أيضاً أن الأستاذ غيوم قد فرغ من ترجمة (السيرة) إلى الانكليزية وأنه سينشر هذه الترجمة في شهر تشرين الثاني من هذه السنة .

مهم

ملاحظات على

ديوان النابغة الشيباني^(١)

المطبوع بناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

— ١ —

لا أريد التعمق في حياة هذا الشاعر الذي نبغ في عصر كثير فيه الشعراء
المفلقون ، ولكن يقتضي النظر فيما قاله أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني
وبكره من تبعه أنه كان نصرانياً ولعله ذكر البيتين (ص ١٠٨) :
آلَيْتُ جَهْدًا وَصَادِقَ قَسَمِي رَبِّ عَبْدِ تَجَنَّدَ الْكَرُّحُ
فَهُوَ يَتْلُو الْإِنْجِيلَ بِدَرْسِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَلْبُهُ قَفِيعُ
ولكن رب الراهب هو أيضاً رب كل المسلمين ولا حجة في البيتين على أنه
كان نصرانياً بل يظهر من البيتين الآتين أنه كان مسلماً (ص ١٧) :
وَيَزُجُّنِي الْإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ وَالنَّقْيُ فِي الشَّيْبِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ
وأيضاً (ص ٦٩) :

وَلَهُ تَنْجَبَةٌ إِذَا قَامَ يَتْلُو سُورًا بَعْدَ سُورَةِ الْأَتَقَالِ

ولهذين البيتين وغيرهما في الديوان لا أشك بأنه كان مسلماً .

والنابغة الشيباني من الشعراء المقلين ولولا النبذ التي أوردها الأصبهاني والنسخة
الفريدة من ديوانه التي هي أصل الطبعة لذهب ذكره وهذا عجيب إذ في ديوانه
من غريب اللغة ألفاظ كثيرة لم تدخل في معاجم اللغة العربية ولم يذكر
صاحب اللسان وناقله صاحب تاج العروس إلا بيتاً واحداً في مادة (يهل)
ولم أجد زيادات على ما في ديوانه إلا في حماسة البحتري (ص ٨٩ و ٢٢٨ و ٢٩١)

(١) من مخططات المشرق الكبير المرحوم سالم الكرنكوي تقتصرها الآن . (المجلة)

و ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٩) ولم يكن للناشر إلا نسخة حديثة العهد محفوظة في خزانة دار الكتب المصرية مكتوبة بخط العلامة المرحوم محمد محمود الشنقيطي نقلها عن نسخة وجدها في إحدى خزائن الآستانة لم تكن في جودة سائر النفاثس التي استنسخها العلامة المذكور فكان من حسن حظي ان صديقي المرحوم الأستاذ رودلف ماير أعارني في سنة ١٩٢٢ تصاوير شمسية حصلها من الآستانة وقد أنسيت مكان النسخة الأصلية ولكن لا شك أنها النسخة نفسها التي نقلها الشنقيطي إذ وجدت في طرة صفحة ٥٠ من أصلي بخط مغربي : « قلت صوابه نَسِيل بالتوف وكتبه محمد محمود » . وكان في الأصل يسيل بالياء المشاة (ص ٤٥ سطر ١١ من الطبعة) وفي المقابلة وجدت اختلافاً كثيراً بين نسختي والمطبوعة فوقع لي أن أفيد محبي الشعر العربي القديم بما قرأت أنا في الأصل ليحكموا بنفسهم هل أخطأ العلامة الشنقيطي في نقله ؟

ص (١) في نسب النابتة نجد غلطين الأول سليم بن خصيرة وفي الأصل سليمان أي سليمان وقد نجد في النسخ القديمة الامم سليمان مكتوباً بلا ألف ، والثاني حماد وفي الأصل حمار بكسر الحاء وبالراء ، والميم غير مشددة وهو الصواب إذ حمار امم إسلامي وقد كثر اسم حمار في الجاهلية مثلاً في نسب عدي بن زيد بن حمار العبادي الشاعر المشهور والمعقر بن حمار البارقي الشاعر في عهد بني أمية وغيرهما .

صفحة سطر

١ ، ٦ : أي داء أصابه .

٨ : في الأصل ديبه .

٩ : وأعجب سلمي ...

٢ ، ١ : في الأصل الحر بالضم وهو الصواب إذ الحر لقب للأفنى .

صفحة	سطر	
٢	٤	٦ : كُتِبَ فوق بِرْ هِرْعَة شرحاً شافية .
		١٠ : الأُصل يَنْبِلْه .
٣	٤	٦ : فذو الصوت لا يَجْلَى .
		٨ : اذا أُنْشِدَتْ .
٤	٤	٦ : الأُصل الزَيْتُ قَتَلْها بفتح الفاء .
		٨ : الأُصل رَبَاعِها بفتح الراء .
		٩ : الأُصل أَفْجَذْ وهو خطأ .
٥	٤	٥ : الأُصل ويروى آرقُ .
		٦ : الأُصل يَمَرِّقُ .
٧		٧ : في الأُصل وأُصْحَتْ : صَوِّبَتْ كما في المطبوعة ولكن الصواب فَصِيحَتْ بالجيم المشددة .
٦	٤	٧ : قبل الاشوه في الأُصل شُوه : نعام .
٧	٤	٤ : الأُصل الجَنْ .
		٥ : الأُصل جَانِلًا بالجيم .
		٩ : الأُصل لَهَا تَصَعَّجٌ من خلف .
٨	٤	٣ : من خذته وفي الأُصل من زَرَتْه أي من عضه .
٩	٤	١٠ : الأُصل صَفَّحَتْ بلا تشديد وكذا في سطر ٣ .
٩	٤	٤ : الأُصل تَرْتَنَدِي .
		٥ : الصواب الجوزاء ..
		٦ : تَجْمُومٌ وفوق نيرتا شرحاً لون .
٧		٧ : في الأُصل يَتَشَقَّقُ وفي الهامش خ يَتَشَقَّقُ .

صفحة	سطر	
٨	٤	٩ : الأصل المحزّق بكسر الزاي .
١٠	٥	١٠ : الأصل وجمَلَق بفتح اللام .
١١	٥	١١ : الأصل تُلَوِي بضم التاء .
١٢	٥	١٢ : الأصل سَعْرَة بالعين وفي الهامش خ وسُفْرَة .
٩		٩ : الأصل صَدَتِي وفي الهامش صَدَتَا كلاهما بالتشديد .
١٣	٣	١٣ : الأصل فوق عَنَس كَنَبَنَقَر .
	٤	٤ : الأصل رَقَّت جلوداً .
	٥	٥ : الأصل عَنَاقِدْهَا .
١٤	١	١٤ : الأصل يَسْتَبِيحِي .
	٢	٢ : الأصل مُحَصِيدَا بالتصغير ورُمَاح بالضم .
١٥	١	١٥ : الأصل مُنْزَنَقَة وفي الحاشية ويروى يَجَاوِبُه .
	٧	٧ : الأصل يُجِرُّ .
١٧	٥	١٧ : الأصل من العُتْق بضم العين .
	٦	٦ : الأصل قَاتِر بالقاف وهو الصواب .
١٨	٢	١٨ : الأصل الآخر كما في المطبوعة والصواب آخِر بلا ألف ولام .
	٣	٣ : الأصل يَغَيِّب .
	١٢	١٢ : الأصل إومن يَصْرِف .
١٩	٨	١٩ : الأصل يَخِير بفتحش مُشْنَهَا .
٢٠	٢	٢٠ : الأصل كَانَتْ تَنَازِيرَ ... دِمَاء .
	٣	٣ : الأصل دَارُهَا مَنِي (كَذَا) .
	٦	٦ : الأصل وَسَاحَتَه .
	١٠	١٠ : الأصل رَاتِمَة .

صفحة سطر

- ٢١ ، ١٠ : الأصل أَهَشُّ .
- ٢٢ ، ٩ : الأصل وحنك (بدل ولحدك في المطبوعة) .
- ٢٣ ، ٨ : الأصل عَذَابٌ لَوْ يَجَادُ بِهِ .
- ٢٥ ، ١ : الأصل الْمُطَّسُّ بِالْعَيْنِ .
- ٢ : الأصل أَجْنُ بفتح الألف .
- ٣ : الأصل الركبُ .
- ٥ : الأصل عَرَّهْنِ بِعلامة إهمال الراء .
- ٢٦ ، ١ : الأصل حوص بِعلامة إهمال الحاء ، ومنها رقاب الركب .
- ٣ : الأصل سُدَّسٌ بضم السين .
- ٥ : الأصل يعلقُ بها .
- ٢٧ ، ٣ : الأصل دُومَةُ بضم الدال .
- ٨ : الأصل شَتَانٌ بفتح النون .
- ٢٨ ، ٥ : الأصل يَجِيلُ بِالْجِيمِ .
- ٨ : يَصِيدُكَ بفتح الياء .
- ٩ : الأصل قَعَسُوا بفتح العين .
- ١٠ : الأصل رُكِسُوا .
- ٢٩ ، ٦ : الأصل خَمِسُوا بِكسر الميم .
- ٣٠ ، ١٣ : الأصل عَلِيٌّ قَدُورٌ .
- ٣١ ، ٢ : الأصل ومخوام .
- ٣ : الأصل فَإِنْ امْرَأٌ أَدَا أَيُّ أَدَّى .
- ٩ : الأصل قَوَايَةِ بفتح القاف .

(يتبع)

سالم الكرنكوي

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

- ٢ -

- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٤ - مركب إضافة additive compound
- قلت : مركب انضمامي ، من (انضم قبض شيء الى شيء وقد ضمّه فانضمّ اليه وتضامّ ، وضامّ الشيء جمعه الى نفسه) ففيها معنى الجمع والاندغام .
- أما الإضافة فهي مجرد المزج والخلط ، وليس هو المقصود من الكلمة الافرنجية .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٥ - خاصة جمعية additive property
- قلت : خاصة انضمامية ، للسبب الآنف الذكر في الكلمة السابقة .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ١٦ - تفاعل إضافي additive réaction
- قلت : تفاعل انضمام أو تضام ، للسبب المذكور في الكلمة السابقة لئلا يلبس بمعنى الكلمة الافرنجية (supplémentaire) .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٥ - امتزّ adsorbe
- قلت : استجذب ، من (جذبّه مدّه والشيء حوّله عن موضعه) وتجنّده شربه) ، تمييزاً من (الامتصاص absorption) .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٦ - ماز adsorbent
- قلت : متجذبة ، وزان مفعلة الدال على الذي يفعل . فالجذبة ذلك الجسم الذي يتجذب الشيء الموضوع معه .
- صفحة ٢٦٥ عمود ١ سطر ٢٧ - امتزاز adsorption
- قلت : استجذاب ، للسبب المذكور في الكلمتين الآتيتين .
- صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٤ - مذكّ adulteration
- قلت : تمويه ، غش . أما المذّق فهو مزج اللبن بالماء ، يقابل الكلمة

الافرنجية (mouillage) • وكذا النكلات المشتقة من المذق المذكورات
في العمود نفسه (س - ١ - ٢ - ٣ - ٥) •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٩ - ألفة affinity •

قلت : وكذا (العلاقة) أيضاً للمعنى ذاته •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٠ - عامل حفاز catalytic •

قلت : عامل وسيط ، من (الوساطة) ، و (الوسيط) ، المتوسيط بين
المتخاصمين ، وتوسط بينهم عمل الوساطة) ، لأنه يتوسط لإتمام الفعل الكيميائي
بين الجسمين المتماثلين • أما الحفاز فمن (حفزه) أي دفعه من خلفه ، وعن
الأمر أعجبه وأزعجه وليس فيها المعنى المراد من الكلمة الافرنجية • فالعامل لا يدفع
ولا يحث إنما يتوسط لحدوث الفعل لا أقل ولا أكثر •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٨ - الزلال albumin •

قلت : آح ، وهو أبيض البَيْض • أما الزلال فهو صفة للماء ، يقال
ماء زلال أي عذب • وليس بين الماء العذب والآح وجه شبه من حيث
الصفاء ولا من حيث الطعم •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ١٩ - الكحول alcohol •

قلت : غُول • انظر ما قلته في (كلمة الكحول الصرف رقم ١٦) •
وكذا ما ورد في السطور ٢٠ - ٢١ - ٢٢ : (غولي ، مقياس الغول ، قياس الغول) •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٣ - حَلَكَل alcoholyse •

قلت : غَوَحَل ، من (غول - حل) كما في الافرنجية •

صفحة ٢٦٥ عمود ٢ سطر ٢٤ - تَحَلَكُل حَلَكَلَة alcoholysis •

قلت : تَغَوَحُل - غَوَحَلَة ، كما في الافرنجية •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٥ - تقليّة alcalinisation •

قلت : قَلَوْنَة ، اشتقاقاً من القِلْيِ والقِلْو كَصَبْر • أريد بها جعل الشيء قلوباً أي ذا خواص القلويات • أما (التقليّة) فهي من (قلا الطعام أنضجه في المقلاة) فلا يصح استعمالها إلا لما يقابل الكلمة الافرنجية (to fry و frire) أي قَلَأ • ومن هذه الكلمة تشتق بسهولة الكلمات : (قَلَوْن alcaliniser) ، (مقلون alcalinisé) •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٦ - قَلَى alcaliniser •

قلت : قَلَوْن ، للسبب المذكور آنفاً •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٧ - شَبَقِي alcaloide •

قلت : قَلَوَيْد ، باستعمال الوَسمَة (يد) على النمط الافرنجي المتفق عليه بين جميع الكيميائيين •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٨ - أَلْكِيل alkyl •

قلت : غَوَلِيل ، من كلمة (غَوَل) موسومة بالوسمة (يل) المتفق عليها بين جميع الكيميائيين للدلالة على الجذور والكلمة بالفرنسية alcoyle •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٤ - متعَاوَر alterné •

قلت : متناوَب • ومثلها الكلمة التي بعدها في السطر ١٥ (تناوَب) بدلاً من (معاوَرَة) • يقال عَاوَرَ المكايل ، لغةً في عَايَرَهَا ، وتعاوروا الشيء ، بَدَاوَلُوهُ ، من العَوَر أي العيب • أما التناوب ، فمن النَّوْبَة وهي الفرصة ، وتناوبوا على الماء تقاسمونه على حصاة القسَم ، هذا مرة وذاك مرة •

صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ١٩ - اَمِيد (جمعه اميدات) •

قلت : قد جمعته على (أواميد) دفناً للبس حتى لا يتوهم أن (ات) تقابل (ate) الافرنجية الدالة على أملاح الحموض الاكسجينية ، كقولنا مثلاً : كبريتات ، ازوتات ... الخ •

- صفحة ٢٦٦ عمود ١ سطر ٢١ - أمين (جمعه امينات) .
- قلت : اوامين ، كما في اواميد دفعا للبس ، على النحو المذكور آنفا .
- صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٥ - تزييف anhydride .
- قلت : بلا ماء (لا مائي) . أما التزييف ، من (تزييف فلان دمه كعيني)
- سال حتى كاد يفرط فهو منزوف وتزييف (فلا يجوز بوجد من الوجوه أن يطلق على ما يوافق ال (انيدريد) أي عديم الماء .
- صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ٦ - غامد anhydrous .
- قلت : ثامد ، من (التمد والتمد والتمد : الماء القليل لا مادة له أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف ، والتمد ماء نقد من الزحام عليه إلا أقله)
- ففي كل هذا ما يدل على قلة ماء أو نقاده ، فكلمة (ثامد) إذن أصلح من (غامد) من (تتمدت الركبة ذهب ماؤها وتتمدت كفاح كثر ماؤها أو قل .
- والغامد البئر المندفنة أو السفينة المشحونة) ففي كثرة المعاني المتضادة ما يبرر إهمال كلمة (غامد) .
- صفحة ٢٦٦ عمود ٢ سطر ١٠ - انتيمون antimoine .
- قلت : اصطلحنا عليه بالكلمة العربية (إثم) وهو حجر للكحل معروف .
- صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ٧ - حامض الصمغ الجاوي benzoic acid .
- قلت : حمض الجاوي ، إذ ليس اليخور الجاوي بصمغ إنما هو راتنج résine فيجب حذف كلمة الصمغ .
- صفحة ٢٦٧ عمود ١ سطر ١٤ - تربينات ثنائية biterpènes .
- قلت : تربينات ، بفتح الباء لثلا بلبس بالتربين terpene .
- صفحة ٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ - سحاحة burette .
- قلت : سقالة ، من (سقل ، سال فطرانا أي قطرة قطرة كالدمع والأولو)

إذ يُستَل منها المائع (أي يصب قطرة قطرة) على وعاء التفاعل الموضوع فيه الشيء المطلوب عياره . وكذا القطارة . أما السحاحة فهي لما يقابل (pissette) .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ١٩ — سلسلة مقفلة closed chain .

قلت : سلسلة مغلقة . فالقفل ، الحديد الذي يغلّق به الباب . وليس للسلسلة هنا قفل تقفل به إنما هي رمز لانغلاقها على نفسها ، على خلاف السلسلة الخطية لصنع الأجسام اللادورية .

صفحة ٢٦٨ عمود ١ سطر ٢٢ — شَيْبَقْرَاء colloïd .

قلت : شَيْبَوَيْد ، من القُرْأ موسومة بالوصمة (يد) .

صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٧ — نقطة الانعقاد congelation .

قلت : نقطة التجمّد أو الجُمُود . وبما أن المصطلح الأفرننجي خاص بالماء فالأولى أن يقال (نقطة الجُمُوس) لأن الجموس هو الجمود وأكثر ما يستعمل في الماء . وليلة جماسية باردة يجمس فيها الماء وكذا (الجنّس) فهو جمود الماء وغيره .

(يتبع)

الكواكبي

—••••—

تصويب أغلاط مطبعية

وفت في كلمة الدكتور الكواكبي

(مجلد ٢٩ جزء ٢ صفحة ٣٠٤ سطر ١٠) :

صواب

خطأ

كما هي عليه المقاييس

كما هي عليه القواميس

وفي السطر الأول من حاشية الصفحة نفسها لم تذكر كلمة raffinage

فلتضف .

شجرة الدارم ومزيتها

راجعاً إلى ما كتبت في مجلة المجمع العلمي الدمشقي (مج ٢٩ ، ص ٤٧٦ وما بعدها) أخبر أهل العلم بكل سرور أن الأستاذ ليوين (من أبسالا) عثر على نسخة المجلد الثالث من كتاب النبات للدينوري ، في إحدى مكاتب أميركا وسيفشره عن قريب إن شاء الله .

وفي هذا المجلد « باب الشجر الذي نتخذ منه المساويك وبعض ما نستحسن وضعه من وصف السياك والاستياك » . فأقبس منه ما ورد عن الدارم تنميلاً لما ذكرت قبل هذا وشاكراً للأستاذ الاسوجي الفاضل . وهو كما يلي :
« وأخبرني بعض الأعراب أن الدارم شجر شبيه بالقضا ، يستاك منه النساء ، فيُحمر لثانتهن . وشفاهن حمرة شديدة . وهو حريف . وأنشدني بعضهم :
إنما سلّ فؤادي دارم بالثقتين

ونسأؤم بهجهم (؟ يعجبهن) ذلك لعجب رجالهم . ولذلك يستعملن مضغ الفوفل مع التامول ^(١) لتجدير لثانتهن وشفاهن ، وإن كان يشد اللثة ويطيّب النكهة . حتى أن الرجال ليفعلون ذلك » .

محمد حميد الله

(باريس)

هدية الى الظاهرية

أهدى الأستاذ رفيق التميمي الى دار الكتب الظاهرية مجموعة من الكتب العربية والأجنبية بلغت (١٦٣) مجلداً ، فله الشكر الجزيل .

محمد

(١) والمادة لا تزال في باكستان وفي الهند الى هذا اليوم .

استدراك على (كتاب اللمعة للأنباري)

نشرنا على صفحات هذا الجزء (من ص ٥٩٠ الى ص ٦٠٢) كتاب اللمعة صنعة الشعر للأنباري ، معتمدين صورة مخطوط استانبول . فلما كاد يتم طبع الجزء بعث الدكتور صلاح الدين النجدت مذكوراً إلى المجمع العلمي صورة مع رسائل للأنباري مأخوذة عن مخطوط محفوظ في خزانة كتب أحمد الثالث استانبول . وجاءت هذه الرسائل في الصفحات (٨٩ إلى ١٢٠) من هذا المخطوط . من هذه الرسائل التسع كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري . وصورة كتاب هذه أوضع رسمًا من صورة المخطوط الذي اعتمدناه في نشر الكتاب لكنها تنزل عنها صحة وضبطًا ، على أن الخلاف بين نصيهما يسير في جملته . نحن مثبتون هنا المهم من وجوه الاختلاف :

السطر	النص المنشور في هذا الجزء	نص المخطوط الثاني
٧	في صنعة الشعر	في صنعة الشعر ومعرفة فنونه
١٥	وهي أكثر فنون	وهي من أكثر فنون
٢	البلا	البيلى
١٦	ملكها واحد	شكها واحد
٤	الكلم متساوية	الكلم متعادلة
١٣	١٠ -	١٠ - المبالغة :
١٧	١١ -	١١ - الإيفال :
١٨	كأن قلوب الطير الخ .	كأن قات العين في كل منزل تزلن به حب القنا لم يحطتم
٢٠	بمعنى غير مشروح	بمعنى مشروح
١٠	ان كنت عاذلي الخ .	ان كنت كارمة ليعتتنا
١٢	يذكر مثلاً يحترز	هانا فعلتي في بني بلسو يذكر بيتاً لا يحترز
٦	فنا حين	فنا حين

الفهرس العام

لمواد المجلد الثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

(ب)	(أ)
البدو والعشائر في البلاد العربية (كتاب) ٦٢٩	آراء وأبناء ١٥٧، ٦٣٢٨، ٦٧١٤٤٩٠٦٣٢٨
بديع الزمان الهمداني (كتاب) ٤٦١	ابن الرومي (كتاب) ٤٦٢
بلدان الخلافة الشرقية (كتاب) ٦٦٦	ابن الطيب محشي القاموس ٨٧
(ت)	أبو الفتح بن جني ٤٤٠، ٦٠٨
تاريخ العراق بين احتلالين (كتاب) ٤٨٦، ٣٢٣	أخطاء شائعة (الرماح الدينية) ١٧٢
تاريخ فكرة إعجاز القرآن ١٠٦، ٢٩٩	أساليب تدريس اللغة العربية في الصفوف
تاريخ مصر (١٣٨٢-١٤٦٩) (كتاب) ١٥٠	الابتدائية (كتاب) ١٣١
تاريخ الوزارات العراقية (كتاب) ٣٢٦	استدراك علي (كتاب اللمعة للأنباري) ٦٩٥
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (كتاب) ١١٩	أعضاء المجمع العلمي العربي (١٩٥٥) ١٥٧
تحت قناطر أرسطو (كتاب) ٤٧٩	أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون (١٩٥٥) ١٥٩
تسمية السيارة بالباس ٦٧٧	أعلام العرب في العلوم والفنون (كتاب) ٦٥٥
تصويب أغلاط مطبعية ٦٩٣	انتخاب أعضاء مراسلين ٤٩٠
التعريف والتقدير ١١٤، ٦٣١، ٤٥٨، ٦٢٣	

(ذ)	التفسير القيم لابن القيم (كتاب) ٦٣٨
ذكريات (كتاب) ٣٢٧	تقرير عن المؤتمر العلمي العربي الثاني ٦٨١
(ر)	تلخيص البيان في مجازات القرآن
رأي في منع الصرف ٦٧٣	(كتاب) ٤٥٨
رسالة حي بن يقظان مع شرحها	(ج)
لابن سينا ٩١ ٢٨٨ ٤٢٧	جرير ١٧٧ ٣٥٣ ٥٢٩
رسالة في الهداية والضلالة (كتاب)	الجزء الثالث من محاضرات المجمع العلمي
٦٤٢	(كتاب) ٤٧٠
الرماح الردينية ٤٣٨	جوقة أم كورس ? ١٧٠
(ز)	أجولة لغوية في كتاب النبات للدينوري
زبدة الحلب من تاريخ حلب (كتاب)	٤٢
٤٨٥	(ح)
(ش)	الحديث والفكر ١٨
شجرة الدارم ومنريتها ٦٩٤	حدود العقل عند الفزالي ١٩١
شرح لزوم ما لا يلزم (كتاب) ٤٩١	الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية
الشعر في العصر الأموي ٣	(كتاب) ١٣٢
(ص)	الجفنة (الجزائر) (كتاب) ٣٢٤
الصحافة والأدب في مصر (كتاب)	(نخ)
٦٢٣	الخزائن الشرقية (كتاب) ٥١٠ ٤٣٣٩
الصحافة في العراق (كتاب) ٦٥٦	(د)
(ط)	دلائل النبوة (كتاب) ٦٤٠
طليعة التشكيل بما في تأنيب الكوثر	دهاليز أم كواليس ? ٣٤٧
من الأباطيل (كتاب) ١٥٦	ديوان أبي الأسود الدؤلي (كتاب)
	٦٦٣

(ع)

عبد العزيز (كتاب) ٦٣١

عثرات الأقلام والأقلام ٥٠٠

العرب والهندسة المستوية ٢٠٢

علم السموم (كتاب) ٣١٩

العلم يدعو للإيمان (كتاب) ١٣٨

عمر بن عبد العزيز، أبو طالب، جعفر

ابن محمد (كتاب) ١١٤

(غ)

غلط مطبعي في مقالة كتاب الفنون ٥١٩

غيايات (كوالبس) ٥٢٥

(ف)

فقه الإسلام (كتاب) ٤٨٠

فلسطين بين تاريخين (كتاب) ١٢٢

فهرست مؤلفات ابن عربي ٥١ ٢٦٨ ٤

٣٩٥

في إعجاز القرآن ٥٦٠

في اللغة أبناء علل ٢٥٣

(ق)

القرآن المجيد (كتاب) ٣١٤

(ك)

كتاب الجليس والأنيس للمعاني بن

زكرياء النهرواني ٣٨٠

كتاب الكتاب وصناعة الدواة والقلم ١٣٦

كتاب اللمعة في صنعة الشعر للأنباري

٥٩٠

كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفلة

استقباله في مجمع مصر ٣٢٨

كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفلة

افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني ٦٧٩

كنوز الذهب في تاريخ حلب (كتاب)

٦٦١

(ل)

اللسان الحديث (كتاب) ٦٥٨

اللغة العربية في أفغانستان ٣٦٧

اللوحيات وأسلوب دراستها (كتاب) ٦٢٥

(م)

المباحث اللغوية في العراق (كتاب) ٤٧٢

المبادئ الشرعية في الحجر والنقبات

والموارث والوصية (كتاب) ٦٤٤

مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية

(كتاب) ٦٣٦

مجموعة علمية تشتمل على أربع رسائل

(كتاب) ١٥٢

محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي

(كتاب) ٦٥١

محاضرات في الميراث عند الجعفرية

(كتاب) ٦٤٨

ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع ١٦١	محاضرة الأستاذ الدكتور الفرد غيوم ٦٨٣
ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني ٦٨٤	محمد كرد علي : حياته وآثاره ٢١١ المدخل الى علم النفس الجماعي (كتاب)
ملاحظات على مصطلحات كيميائية ٦٨٩ ٥ ١٩	٤٧٦ مذكرات سائح في الشرق العربي (كتاب) ١٣٤
منازل القبائل العربية حول دمشق ٦١ موجز أمراض الجملة العصبية (كتاب) ٦٥٤	المسوغات العقلية للبلاغة ٣١ مشاركة في دراسة استخراج دهن الكنان (كتاب) ١٣٤
مي زيادة (كتاب) ٣١٨ (ن)	مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه (كتاب) ٦٤٦
نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب (كتاب) ٤٦٤ (هـ)	المصطلحات العلمية في اللغة العربية (كتاب) ٣١٢
هدية الى الظاهرية ٦٩٤ هدية العارفين (أسماء المؤلفين) (كتاب) ١٢٩	معجم اللسان العربي الفصيح (كتاب) ٤٨٧
(و)	المغرب في حلي المغرب (كتاب) ١٦٧ المفردات الأساسية للقراءة الابدائية (كتاب) ٦٣٣
وصية ابن قتيبة الى ولده ٥٤٤ وفاة الأستاذ محمد البزم ٦٧١	مقدمة المرزوقي لشرح حماسة أبي تمام ٥٧٢ ٤ ٤١١ ٤ ٣٨١ ٤ ٧١

فهرس الاعلام

أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقة على حروف الهجاء

(خ)	(أ)
خالد بن محمد النرج ١٧٢	إسحق موسى الحبيبي ٥٤٤
خليل مردم بك ٣ ١٧٧ ٤٢٩٤٣٥٣	أصعد الحكيم ١٣٣ ٤ ٦٥٤
(س)	ألبرت دبتريش ٣٨٠
سالم الكرنكوي ٦٨٤	أنيس المقدسي ٣١
سامي الدهان ١١ ٢١١ ٦٣٨٧ ٦٦١ ٦٦٣	(ب)
(ش)	بشر فارس ٥٢٥
شفيق جبوري ١٢٢ ٤٥٨ ٤٦١ ٤٦٤	(ج)
٤٦٧ ٤٦٤	جعفر الحسني ٣٢٣ ٤ ٣٢٤ ٤ ٣٢٦
(ص)	٣٢٧ ٤ ٤٨٥ ٤ ٤٨٦ ٤ ٦٥٥
صلاح الدين المنجد ٦١	جميل صليبا ١٨ ٤ ١٩١ ٤ ٤٧٦ ٤
(ع)	٤٧٩ ٤ ٦٣٣
عارف النكدي ١١٤ ٤ ١١٩	جورج حداد ١٥٠
عيد القادر المغربي ٤٢ ٤ ٢٥٣ ٤ ٥٠٠	(ح)
٦٧١ ٤ ٦٧٣ ٤ ٦٧٧	حسني صبح ٣١٩
عيد الهادي هاشم ٥٩٠ ٤ ٦٩٥	حكمة هاشم ١٣٦
عيد الوهاب عنزام ٤٩١	

محمد صلاح الدين الكواكبي ١٣٨ هـ	عن الدين التتوخي ١٢٩ هـ ١٣١ هـ ١٦٧ هـ
١٧٠ هـ ٣٤٧ هـ ٥١٩ هـ ٦٨٩ هـ	٦٥٨ هـ ٦٥٦ هـ
محمد الطاهر ابن عاشور ٧١ هـ ٢٨١ هـ	(ق)
٤١١ هـ ٥٧٣ هـ	قدري حافظ طوقان ٢٠٢ هـ
محمد العربي المزوزي ٨٧ هـ	(ك)
مرشد خاطر ٣١٢ هـ	كارل شتولز ٣٧٦ هـ
مصطفى جواد ١٦١ هـ ٣٣٩ هـ ٥١٩ هـ	كور كيس عواد ٥١ هـ ٢٦٨ هـ ٣٩٥ هـ
مصطفى الشهابي ١٣٤ هـ ٣١٨ هـ ٣٢٨ هـ	(م)
٤٧٠ هـ ٤٧٣ هـ ٦٢٣ هـ ٦٢٥ هـ	محمد أسعد طلس ٤٤٠ هـ ٦٠٨ هـ ٦٦٦ هـ
٦٢٩ هـ ٦٣١ هـ ٦٧٩ هـ ٦٨١ هـ	محمد بهجة البيطار ١٢٤ هـ ٣١٤ هـ ٤٨٠ هـ
(ن)	٥٦٠ هـ ٦٣٦ هـ ٦٣٨ هـ ٦٤٠ هـ ٦٤٢ هـ
نعيم الجمعي ١٠٦ هـ ٢٩٩ هـ	٦٤٤ هـ ٦٤٦ هـ ٦٤٨ هـ ٦٥١ هـ
(و)	محمد حميد الله ٦٩٤ هـ
ولينك عرفات ٢٤٨ هـ	محمد صغير حسن المصومي ٩١ هـ
	٢٨٨ هـ ٤٢٧ هـ



فهرس الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

صفحة	
٥٢٩	جزيير (٣) للأستاذ خليل مردم بك . .
٥٤٤	وصية ابن قتيبة الى ولده للأستاذ اسحق موسى الحسيني .
٥٦٠	في إعجاز القرآن للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٥٧٢	مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٦) للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور .
٥٩٠	كتاب اللغة في صنعة الشعر للأستاذ عبد الهادي هاشم .
٦٠٨	أبو الفتح بن جني (٤) للدكتور محمد أسعد طلس .

التعريف والتقد

صفحة

للأمير مصطفى الشهابي . . .	٦٢٣	الصحافة والأدب في مصر
	٦٢٥	اللهجات وأسلوب دراستها
	٦٢٩	البدو والمثائر في البلاد العربية
	٦٣١	عبد العزيز
للدكتور جميل صليبا . . .	٦٣٣	المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية
	٦٣٦	مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية
	٦٣٨	التفسير القيسم للإمام ابن القيم
	٦٤٠	دلائل النبوة
للاستاذ محمد بهجة البيطار . . .	٦٤٢	رسالة في الهداية والضلالة
	٦٤٤	المبادئ الشرعية في الحجر والتفقات والمرايخ والوصية
	٦٤٦	مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه
	٦٤٨	محاضرات في الميراث عند الجعفرية
	٦٥١	محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي
للدكتور أسعد الحكيم . . .	٦٥٤	موجز أمراض الجملة المعيبة
للأمير جعفر الحني . . .	٦٥٥	أعلام العرب في العلوم والفنون
للاستاذ عز الدين التوخي . . .	٦٥٦	الصحافة في العراق
	٦٥٨	اللسان الحديث
للدكتور سامي الدهان . . .	٦٦١	كنوز الذهب في تاريخ حلب
	٦٦٣	ديوان أبي الأسود الدؤلي
للدكتور محمد اسعد طلس . . .	٦٦٦	بلدان الخلافة الشرقية

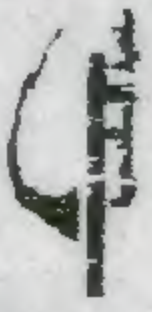
آراء وأنباء

للاستاذ عبد القادر المقرني . . .	٦٧١	وفاة الأستاذ محمد البرز
	٦٧٣	رأي في منع الصرف
	٦٧٧	تسمية السيارة بالباس
للأمير مصطفى الشهابي . . .	٦٧٩	كلمة الأمير الشهابي في حفلة افتتاح المؤتمر العلمي العربي الثاني
	٦٨١	تقرير عن المؤتمر
للاستاذ سالم الكرنكوي . . .	٦٨٣	محاضرة الأستاذ الدكتور ألفرد غيوم
للدكتور محمد صلاح الدين الكواكي . . .	٦٨٤	ملاحظات على ديوان النابتة الشيباني (١)
	٦٨٩	ملاحظات على مصطلحات كيمياوية (٢)
	٦٩٣	تصويب أغلاط مطبعة
للدكتور محمد حمزة الله . . .	٦٩٤	شجرة الدارم ومزيتها
	٦٩٤	هدية إلى الظاهرية
للاستاذ عبد الهادي هاشم . . .	٦٩٥	استدراك على (كتاب اللغة للأنباري)
	٦٩٦	الفهرس العام لمواد المجلد الثلاثين
	٧٠٠	فهرس الأعلام

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - البصرة لبازيار العزيز بالله الفاضلي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع و ترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم : حققه و جمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ - ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الرعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد
- ٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .
- ٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الامتانيولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٣ — خريدة القصر وخريدة المعصر للعبد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء
الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٤ — النبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٥ — المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الرعي
- ٣٦ — تكملة إصلاح ما تفلظ به العامة للجوابي
- ٣٧ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبل الحلي
- ٣٨ — الرسالة النبانية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٣٩ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٤٠ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني



Bibliotheca Alexandrina



0652756